

المحتوى

كلمة

٢ هؤلاء البضعة.. واتحادُ مواجهة - جورج مغماس

مداراتُ الجامعة

- ٤ في افتتاح الاحتفالات بعيد
الجامعة العشرين
٩ أمين الريحاني في بانتيون
الجامعة
١٤ من فرع الشوف



- ١٥ تكريم مي شدياق
١٨ مع جوقة الجامعة
١٨ في الميلاد: دعوة إلى
فحص الضمير



في اليوبيل ٣٢٥ لدير سيّدة اللويزة. مركز
الرئاسة العامّة للرهبانيّة المارونيّة المريميّة.
تحتفل وليدتها العظمى: جامعنا. بعيدها
العشرين: وكلاهما ينظر بعين الشكر إلى
جميل الذين أوقفوا وأسّسوا ووضعوا يدهم
على المحراث وقالوا لتكن كلمة معلّمة
باسم الكلمة المعلّم! أمّا مواسم الخير
والبركة التي تواتت من نعم "الست". فأولّها
أرضٌ وبذار. هما تجليات "الروح" في سلهب
الحاقلاني وعبدالله قراعلي: القلب الملهم
والعقل المدبّر!! ونسأل بعد: كيف كان لبنان.
وكيف لا يكون؟! إنّ بعضه المضيء. بل
أكثره. هو من سُود العباءات والحروف. ولقد
تلازمت وأتامت... فأللهمّ أكرم وإنعم. التّحرير

عدد ٣٩

آذار ٢٠٠٧

ndu
spirit

NDU Spirit دورية حول

علامات الحياة في عالم
جامعة سيّدة اللويزة

هاتف: ٢١٨٩٥٠ (٠٩) - مقسم: ٢٤٧٧

فاكس: ٢٢٤٨٠٣ (٠٩)

بريد الكتروني: nduspirit@ndu.edu.lb

موقع الكتروني:

www.ndu.edu.lb/newsandevents/nduspirit

رئيس التحرير

جورج مغماس

التحرير بالانكليزية

كينيث مورتيمر

تتبع أنشطة

غادة معوض

تنفيذ بالعربية

ليديا زغيب

تصوير

عبدو بجاني

تصميم وإخراج

تكنوبوب

طباعة

مطابع معوشي وزكريا

شعريّات

٥٨ مدينة النعاس والمطر - القطار

- روبرغانم

مراجعات

٥٩ ندوة حول كتاب: في خلقية المدينة

٦٦ منصور عيد في شرارات الرماد

- د. يوسف فرج عاد

٦٩ سهيل مطر في كتاب للحب في

زمن الحرب

- د. عصام الحوراني

- د. أنطوان صفيير

أحداث

٢٠ مئوية رحيل خليل الخوري

- د. جوزف العجمي

مباحث

٢٣ تهريب الأموال.. والضمانات

- القاضي د. فايز مطر

٣٠ حزب الاتحاد اللبناني..

- د. برجيس الجميل

٣٥ لبنان ودوره الرائد في النهضة

- د. عصام الحوراني

٤١ الجيوسلوكية.. في بلاد فارس

- د. أنطوان صفيير

٤٤ الواقعية في أدب نجيب محفوظ

- د. زهيدة درويش جبور

مقالات

٥٠ الأموال العامة وكرامة المواطنين - د. دياب يونس

٥٣ رائد الرواية العربية فرح أنطون - د. جميل جبر

٥٥ من نبض باريس - جورج مغماس

أن تكون قائداً هو أن تكون قدوة. فبماذا نقتدي وعند من؟

○ | إن الجراح في جُسمنا وفي نفوسنا.. وفي أرض الوطن كله؛ ونعرفُ نعرف من تسبب فيها ولما يزلُ يمعنُ في نكثها، فكيف نُسلسُ له القيادة أو نرشقه بالسَّهام في مخادعنا فحسب؟! ثم كيف وإلى متى لا نُنشئ، نحن المتضررين، اتحادنا الضارب، فنعلن حربنا على حربهم؟ فوالله نحن الغالبون لا هم. وليثب شبابنا إلى رُشدِهم، فإنهم، وهم أداة حربهم، هم وقودها أولاً وأخيراً؛ وما مستقبلهم إلا الأضحى على مذبح أنانياتهم!

○ | أن تكون قائداً هو أن تكون قدوةً. فبماذا نقتدي وعند من؟

ألهمَّ عفوَّك، إنِّي جعلتُ نفسي إمامَ نفسي إلى أن...

وسأبني وطني.

○ | الدَّوامةُ قاتلةٌ، والخروجُ منها ليس بمعجزةٍ، إن أحسنَّا الصَّنيعَ بانتهاجِ أوضح المسالك: النقد..

فبالنقدِ نراجعُ ونناقشُ ونقابلُ ونزنُ ونوازنُ ونقومُ، فتنتشعُ أعماقُ وأبعادُ، وتنجلي قائعٌ وحقائقُ، فتتأخَّرُ مصارحةٌ ومكاشفةٌ، وتمثُلُ خياراتٌ ومواقفٌ تستوجبُ قولةً نعم أو لا.. نعم للحياة ولا للموت، نعم لصنَّاع الحياة ولا لصنَّاع الموت، نعم نعم ليوْمنا وغدنا ولا لا لِماضي القبور المفتوحة..! فهل، بعدُ، من لم يتبيَّن الخيطَ الأبيض من الخيطِ الأسود؟!

أما روحُ القاعدةِ ونبضُها فهُمُ الشبابُ الأحرارُ الأريحيون، الناظرون إلى عين الشمسِ ببدائع الخيال. إنهم الرهان، والغدُ من حجارةِ أيديهم بالتأكيد. ألا بارك الله بعافيتهم، فهي جوازُ عبورنا إلى ضفةِ العافية!

○ | وإذا كنَّا إلى اليوم لم نَنفذْ إلى فضاءِ النور، فلأننا لم نُقلعْ عن عادةِ تجييرِ شبابنا وتسخيرهم في خدمةِ مآربنا الصَّغرى؛ بل نحن لم نوفرْ لهم بيئاتِ النشوءِ السليمِ، فبثنا عقْدنا في جلودهم النديَّة، واتخذنا من صدورهم أوكاراً وأوجاراً لأفَاعينا والثعالب. وقد بات لزاماً علينا وعليهم أن نعملَ معاً على التأهيلِ لصفحةٍ جديدة، نكتبُ عليها بدايةَ القيامةِ.



○ | جورج مغماس

هؤلاء البضة.. واتحاد المواجهة

○ لا. لا يُعقل أن نستسلم. فبضة في ظهرنا ليسوا ليقترعوا على مصائرنا ويتجروا بها في سوق النخاسة. وقد آن لنا أن نُعلي الصوت والسيّاط بوجههم، ونطردهم من هيكل الوطن، لئلا يأتوا على بقية باقية من روائح الجنة فيه. ولننشرن الرايات البيض فوق جسده، لا تلك السود التي تعمي القلب وتستسقي القيظ والغيط وعويل الزمان.

○ هؤلاء البضة الذين يشهرون، فوق رؤوسنا، سيوف الـإمّا... أو...، لن يحلنا من شرهم إلا المواجهة الصريحة الصلبة المطردة؛ فهي حرب ضروس! وعلى أهل الحق والخير، ولاسيما في كل ملتقى جامعي أو ثقافي، وآخر نقابي ومن سائر هيئات المجتمع المدني، أن يضطلعوا بمهمة التنوير والتشهير ورسم خريطة الطريق إلى دولة المواطنة بالنضال الديمقراطي الشعبي الصادق المخلص الدؤوب.

فإن من الأهمية بمكان أن يكون لكل قمة، في دعوات الشأن العام، قاعدة شعبية، تضمن الفاعلية وديمومتها. فلتكن لنا هذه القاعدة إذا. فلتكن الآن، وليس بعد فوات الأوان، حين لا يتفجع ندم ولا أسف أو صريف أسنان.

○ وإذ نحن في مهب رياح المجهول الجراح المقيت، نرى المستقبل النازف كماء التّجيع بين الأصابع، فلا نملك أن ندعو أولادنا للبقاء في الوطن، بل لعلنا نرجو لهم أبواب علم وعمل.. وأكثر، في الخارج؛ أما صار السعي إلى جنسية أخرى مدعاة ترحيب وتبريك، ومعدّ آمال وأحلام... ثم الحصول عليها مفخرة ومأثرة؟! وكيف لا يكون ذلك، والحياة عند أهل الحياة هي الأعلى، والكرامة عند أهل الكرامة هي الأعلى؟!

أوصحيح إذا أن جبل مرقد العنزة يصغر في عيوننا، ويعظم اغتراب وشتات؟!
فيا للقدر ما أظلمه!

○ | القدر! ولم لا نكون نحن قدره؟!

بلى. نحن نقدر أن نكون للقدر قدره. وما علينا هو أن نريد. فمن أراد شيئاً حقاً انخفض له حتى جناح المستحيل!

لا يبني الأوطان ويهدمها كأبنائها؛ مقولة مفهومة معلومة. إلا أن العجيب الغريب اليوم في لبنان، وفي غمرة التأكيد الذي لا يحول ولا يزول على السلم الأهلي ومكوناته وموجبات حمايته ونمائه، أن أولي الأمر ومن يلوذون بهم ويرتزقون لا ينفكون يمعنون في القالوا ونقول، فيؤججون غير نار حارقة ويؤلبون نفوساً ومشاعر... فإذا نحن في محابس الطائفية والمذهبية، والأكثرية والأقلية، واستقطابات المحاور الدولية والاقليمية، والانزياحات صوب متاهات الفقر والجهل والهجرة.. والفتنة الكامنة! أقلن نؤتى اتعاضاً وارعوا، لئلا نبلى، بعد، بعود على بدء دموماً ودموماً؟!

□ | المحور الثاني: الأوضاع

الأكاديمية: بحيث استطاعت الجامعة، وفي فروعها الثلاثة، أن تستقطب حوالى ٥٠٠٠ آلاف طالب، من الساعين إلى الدراسة، بحسب المنهجية الأميركية، وبحسب أحدث المناهج التعليمية، عاملين على اجتذاب الأساتذة، من لبنان ومن الخارج، وذلك لتأمين أفضل سبل التعلم والتخرج لهؤلاء الطلاب.

□ | المحور الثالث: البحوث

والدراسات: إذ إن جامعتنا لم تنغلق على نفسها، بل عملت على أن تكون في خدمة المجتمع والوطن. ولهذا كثرت فيها المؤتمرات والندوات والدراسات والأبحاث. كما كان لها دور كبير في عقد عدّة حلقات بحثية بموضوع «الشأن العام»، ممّا جعلها، بالفعل، لا بالقول، مصنع إنتاج فكري يليق بلبنان. وما وجود مراكز الأبحاث اليوم، في الجامعة، وهي حوالى الستة، إلا دليل على هذا الدور الوطني الاجتماعي الكبير.

■ اعتبار التربية مسؤوليّة جماعيّة، تتجاوز التعليم إلى البحث والدرس والتخطيط.

وعلى ضوء هذه المبادئ، حدّدنا أهداف الجامعة من حيث المساهمة في إعداد وبناء مواطن صالح، مثقف، أخلاقيّ، مؤمن، حرّ ومنتج. وهي كلمات ستّ، تختصر نظرنا إلى الإنسان، الذي نريده، ونعمل على تنشئته ورعايته.

وكي لا تكون هذه الكلمات- أي المبادئ والأهداف- كلمات على الورق، أو نظريّات فارغة من أيّ مضمون، بدأنا العمل الفعليّ على تجسيد هذه الأهداف، فعملنا، وأنتم شهود على ذلك، على خمسة محاور:

□ | المحور الأوّل: البناء والتجهيزات: فإذا بهذه الجامعة، اليوم، من أكبر جامعات لبنان، مساحةً وبناءً،

حيث تتوفّر فيها التجهيزات المختلفة: الملاعب، المختبرات، المشاغل، الآلات الحديثة، المطابخ قاعات المسارح والامتحانات... هنا، وفي فرعي الجامعة في برسا (الشمال) وفي دير القمر (الشوف).

تاريخ ١٤/٨/١٩٨٧، موقّع من وزير التربية، رئيس مجلس الوزراء، الدكتور سليم الحصّ، ورئيس الجمهورية الشيخ أمين الجميل. فشكراً لمن درس ولمن قرّر ولمن وقّع. ومن جديد تحية تقدير للذين ساهموا يومذاك من آبائنا في هذا الإنتاج الكبير، عنيت الأبوين العامّين السابقين: مرسيل أبي خليل وأنطوان صفير. أمّا الجنود المجهولون من إخواننا العلمانيين، داخل الجامعة وخارجها، فلهم الفضل الكبير والذكر الجميل والمحبة الخالصة.

أيّها الأصدقاء

إنّ نشأة الجامعة لم تكن نتيجة ارتجال في المواقف، أو تلبية لحاجة آنيّة، بل كانت تأكيداً لرسالة رهبانيّة وطنيّة واضحة، تنسجم مع رسالة لبنان في أن يكون مدرسة وجامعة. ولهذا حدّدنا مبادئ عملنا بأربعة:

■ تربية الإنسان، عقلياً وجسدياً وروحياً، من دون تمييز في العرق أو الجنس أو الدين أو اللون.

■ ترسيخ الانتماء للوطن، على أسس الحرية والعدالة والمساواة.

■ معرفة الله معرفة نابعة من اختيار حرّ ومسؤول.

▼ على المنبر



▶ حضورهم





تكريم الإعلاميين في افتتاح الاحتفالات بعيد

الجامعة العشرين

○ | وفي المناسبة تأكيدات على استلهام الماضي واستشراف المستقبل

يوم الثلاثاء، ١٦ كانون الثاني ٢٠١٧، كان موعداً لإعلان افتتاح نشاطات جامعة سيّدة اللويزة. بمناسبة مرور عشرين سنة على تأسيسها، بالدعوة إلى لقاء إعلامي. عقبه جولة في الجامعة وغداء تكريمي للإعلاميين. في حضور نقيبي الصحافة والمحرّرين محمّد البعلبكي وملحم كرم.

هموم السياسة وأوجاع الرأس وأساليب العنف والتهديد والاتهامات البغيضة.

□ | وسأل وأجاب: لماذا عشرون سنة؟

في الحقيقة، إنّ رهبانيتنا انطلقت في نشاطها الجامعي سنة ١٩٧٨، أي منذ ٢٩ سنة تقريباً، والزمن يومئذ دخان وحروب وقلق وخطوط تماس. فرضت الأوضاع الأمنيّة والسياسيّة أن نستجيب بسرعة لحاجات أهلنا وطلابنا، فكان اتفاق سريع مع كليّة بيروت الجامعيّة - BUC الجامعة اللبنانيّة- الأميركيّة اليوم -LAU، لتقديم الخدمات التربويّة والجامعيّة للطلاب غير القادرين على التوجّه إلى رأس بيروت. وبالفعل، في غرف صغيرة، في مدرسة سيّدة اللويزة، بدأنا التدريس، فتحيّة تقدير لمن بدأ ذلك التوجّه، وفي الطليعة سيادة المطران بشارة الراعي، والدكتوران الصديقان ألبرت بدر ورياض نصّار، ورحمة الله على أبنينا الأبائي المغفور له بطرس فهد.

فللذين ساهموا، في تلك النشأة، ومنهم من لا يزال يعمل معنا، في هذه الجامعة، ألف تحية وشكر.

ومن المدرسة ننقل إلى المبنى القديم، المجاور للطريق العامّ، ونسعى، بجهد وإيمان، لإنشاء جامعة مستقلة، فتقدّمنا بطلب ترخيص لجامعتنا سنة ١٩٨٤، وقد تحقّق حلمنا سنة ١٩٨٧ بمرسوم جمهوري رقم ٤١١٦

شموع وكنايس ومآذن تنادي: الله أكبر. ويا ربّ، اغفر لهم.

.. تعالوا نحوّل السيوف إلى أقلام، وننطلق بقوة السيف وبرائه وصفائه، وبنبي وطن الحرّية والحضارة، ووطن الجامعات والمدارس، ووطن الإعلام الحرّ...

ففي هذا الوطن، تحلو الحياة، وترتفع مداмик الجامعات، وتشعّ أقلامكم نوراً، ويحيا لبنان.

○ | رئيس الجامعة الأب وليد موسى اعتبر أنّ الإعلاميين هم رسل، مثلنا، للتبشير بالكلمة، ولأداء واجب نشر العلم والثقافة، وتوجيه الناس نحو الخير والصلاح والحقيقة.

ما يجمعنا بكم، إخوتي الإعلاميين، ولاسيّما في هذه الظروف الصعبة، قال، إنّما هو يقظة الضمير: فحين يُغلق أهل السياسة، أو معظمهم على الأقلّ، قلوبهم وآذانهم عن سماع صراخ الناس، لا يبقى لنا غير أصوات الإعلاميين والتربويين، تلتقي بمحبّة وإخلاص، وترتفع بعقلانيّة وصلابة، لتوجّه الناس نحو طرق التسامح والاعتدال والوحدة الوطنيّة الصحيحة.

فشكراً لكم، جميعاً، تؤدّون دوركم كاملاً، ولو كلّفكم سهراً وسجناً ودماً. وتحيّة تقدير لتلبيتكم دعوتنا إلى هذا اللقاء البعيد عن

○ | المدير العامّ للعلاقات العامّة في الجامعة سهيل مطر، الذي رحّب بالإعلاميين، شكر لهم مرافقتهم للجامعة، قائلاً:

لمدّة سنوات، كنتم أنتم، أهل القلم والإعلام، تاريخ الجامعة وذكرياتنا وأحلامها. رافقتونا في الفقر، والتعب، والسهر، والإنماء والتوسّع؛ وما بخلتم علينا، يوماً، بمساحة قلم أو ورقة أو تحقيق أو صورة أو صوت. فشكراً لكم!

وأضاف: أمّا الآن فاشكرونا. إنّنا، ولساعات، سننقذكم من أجواء الغبار والدخان والمهارات والأحقاد. أما تعبتم منهم؟ تعرفونهم واحداً واحداً... أما اكتفيتم؟ أهل الفراغ والزيف والفساد؟

تعالوا، معاً، نكتب لبنان الآخر: لبنان الحضارة والعلم والنظافة والفن والجمال. أنتم ونحن، لا نشوّه، ولا نخرب، ولا نقتل، ولا نغتال، ولا نكسر قلماً أو ريشة. أنتم ونحن، إن كرهوا، أحببنا. إن شتموا، صلينا. إن قسّموا، وحدنا. إن كذبوا، صدقنا. إن فجّروا وقتلوا وهجّروا وخطفوا، حوّلنا أقلامنا ومنابرنا إلى

يرتقي حقاً وتاماً إلى مستوى الإنسانيّة إلاّ عن طريق الثقافة.

هذه الثقافة المتكوّنة من محصّلة التربية والتعليم هي التي شكّلت أحدَ العناوين الكبرى لرسالة رهبانيتنا، والجامعة التي نحتفل اليوم بعيدها هي إنتاج طبيعيّ نابغ من هذه الرسالة.

لقد ابتدأت رسالتنا التربويّة يوم أقتلح الله، بدعوة خاصّة، أربعة شبانٍ من حلب، ليزرعهم بالإيمان، في أرضٍ ميعادٍ جديدة، هي وادي قاديشا في شماليّ لبنان.

من هناك انطلقت مسيرة التأسيس الرهبانيّ، ومعها انطلقت رسالة التربية والتعليم المريميّة؛ إلى جانب كلّ دير، كانت تقوم مدرسة لتعليم الأولاد، والهدف هو «إنثقاف» و«أنجّلة» وبشارة جديدة تتمّ على أيدي الرهبان.

تمرّ الأيام، وتنمو الرسالة وتمتدّ إلى كلّ لبنان، من الشمال حتى مشارف الجنوب مروراً بجبل

لبنان حتى البياع، في انتشار تربويّ ساعد على بناء الهوية والتجذّر في الأرض ورسم معالم المستقبل.

ومع تأسيس دير سيّدة اللوزة، الدير الأمّ ومركز الرئاسة العامّة، هذا الدير الذي نستعدّ لافتتاح سنّته اليوبليّة في الذكرى المئويّة الثالثة لتأسيسه، وقد انعقد في حناياه أوّل مَجْمَع لبنانيّ، شكّل بذور الحداثة في كلّ مضامير الكنيسة، وأبرزها المضمار التربويّ. مع هذا التأسيس انطلقت الدّعوة إلى التعليم ورسالة التربية الممهورة بوصيّة الهبة، فكان التزام من قبل أسلافنا الرهبان بتعليم الأولاد في بلدات الجوار. ثمّ كانت في العام ١٩٦٠ نشأة مدرسة سيّدة اللوزة، وفي العام ١٩٨٧ نشأة جامعة سيّدة اللوزة، وكتلتاهما نتاج مريميّ نابغ من غنى الرسالة الرهبانيّة وعمّقها ووجودها التاريخي في قلب الكنيسة وفي قلب هذا الوطن، وكتلتاهما امتداد لعراقه دير سيّدة اللوزة وحقيقته التاريخية. والأهم في هذا السياق أنّ المدرسة والجامعة اللويزيتين ما

▼ في الجولة



قامتا نتيجةً لرغبةٍ سطحيّةٍ أو لرَفاهٍ ومِنّةٍ، إنما وُلدتا من الحاجة.

فكّما قامت المدرسة لِشُدِّ حاجةٍ شريحةٍ كبرى من أبناء المنطقة والجوار إلى العِلْم والمعرفة في ظلّ تربية رهبانيّة، كذلك حال الجامعة التي نشأت يوم شَعَرَ الآباء المؤسّسون بحاجة المنطقة خصوصاً، ولبنانٍ عموماً إلى جامعة رهبانيّة كاثوليكيّةٍ بمناهجٍ ولغةٍ أميركيّةٍ...

وهكذا، وبعنايةٍ الهيّة ومرافقةٍ مريميّةٍ وإيمانٍ وإرادةٍ لا ينكسران، توكلّ الآباء المريميون على الله، واتكّلوا على ذواتهم بمساعدة المَع المثقفين العلمانيين، مكرّسين حياتهم للبذل والعطاء، وانطلقوا في مسيرتهم مُستلهمين روحانيّة الآباء المؤسّسين، وراحوا يتناقلون المشعل من يدٍ إلى يدٍ حتى بلغ بنا المسير إلى مدرسةٍ وجامعةٍ تحملان اسمَ سيّدة اللوزة، وهما اليوم في عداد أكبر المؤسسات التربويّة في الوطن... فلّتبارك كلّ يدٍ أعطت وكلّ يدٍ لا تزال تعطي في مجال التربية والتعليم والثقافة مؤمّنة الاستمراريّة في الرسالة والمسيرة، هذه الحقيقة الجوهرية التي طالما سعت إليها رهبانيتنا...

□ | أضاف الآباتي أبو عبدو:

اليوم، وبَعْدَ عشرين عاماً، وفيما عيّن لنا على الماضي وعيّن على المستقبل، نغتنم الفرصة لنعيد رسم هويّة هذه الجامعة مؤكّدين على ما يلي:

المحور الرابع: إطلاق ورشة الحوار في الجامعة، من خلال تحويل منبر الجامعة إلى منبر فكري ثقافي وطني يستقبل جميع العقول والطاقت والأصوات، على تنوعها واختلافها، وذلك لكي يتمكن طلاب الجامعة من بناء ثقافتهم، على مبدئي الحوار واحترام الرأي الآخر. ورغم الأجواء المتوترة التي سادت لبنان، ولاسيما في المدة الأخيرة، فإننا لا نزال على ثقة أننا قادرين، بوعي أساتذتنا وموظفينا وطلابنا، أن نتجاوز سدود التشنج، وفتح الآفاق الحرة، أمام الباحثين عن المعرفة والحقيقة.

المحور الخامس: التغلب على الأزمات الاقتصادية، إذ إن جامعة سيّدة اللويزة، ورغم الظروف الصعبة، استطاعت أن تؤمن نوعاً من المعادلة بين حاجاتها الاقتصادية وبين أوضاع الأهل المتردية، فعملت على الملاءمة بين النفقات والواردات، بحيث لا تكون الأقساط عائقاً في وجه الطلاب المحتاجين، وقد اعتمدت سبلاً متعدّدة لتأمين المنح والمساعدات المادية، لتمكين الطلاب من متابعة الدراسة، مهما تعقدت ظروف الحياة وصعبت الأوضاع الاقتصادية.

أيها الاخوة، هذه المحاور الخمسة التي ذكرت، والتي رعاها من سبقني في رئاسة الجامعة الأب بطرس طرييه، وسيادة المطران فرنسوا عيد، لا تمنعني من تعداد بعض السبل التي ساهمت في إيصال جامعتنا إلى المستوى المرموق الذي تتمتع به

اليوم، ومنها: الاتفاقات مع المنظّمات والجامعات في العالم، والانتماء إلى عدّة منظمات جامعية عربية وعالمية، والتبادل الأكاديمي، والاعتناء بأوضاع الطلاب النفسية، وتنظيم شؤون الأساتذة والطلاب والخريجين. هذا من دون أن ننسى الدور الذي لعبه مجلس أمناء الجامعة برئاسة أبينا الرئيس العام في رسم سياسة الجامعة وأطر نموّها، كما الدور الذي قام به أصدقاء الجامعة من حيث المساهمة في دعم نشاطاتها وتشجيع طلابها.

وندخل اليوم سنتنا العشرين، فإذا بنا نتذكّر ونحلم: نتذكّر الماضي، ونحلم بمستقبل أجمل.

لن نغدق الوعود، ولكننا نأمل في تحقيق ثلاثة إنجازات، على الأقل، في السنوات المقبلة، وقبل احتفالنا باليوبيل الفضيّ (٢٥ سنة)، وهي:

■ ١- إصرارنا على النموّ الأكاديمي، لا من حيث عدد الطلاب، بل من حيث النوعية التي نأمل في تخريجها. وهذا يستدعي ورشة كبيرة، نعمل، هذه السنة على الانطلاق بها، بهدف الحصول على الاعتماد، وتطبيق أفضل البرامج والمناهج. إن هدفنا هذا يستدعي إجراءات تراوح بين التعديل والتغيير، وهذا ما نعمل عليه. أستطيع أن أعدكم أننا لن نخرّج أصحاب شهادات، بقدر ما سنخرّج أيدي عاملة وأدمغة فاعلة. أمل رعايتكم لهذا الوعد ومساعدتنا على تنفيذه.

■ ٢- لن يقتصر عملنا الجامعي، في هذه المؤسسة، على التعليم فقط؛ فنحن نحاول، أن يكون العمل قائماً على ثلاث ركائز: التعليم، والبحث، والانتاج. بذلك تتكامل الجامعة مع مجتمعا ومع دورها الوطني.

■ ٣- لن يكون هنالك فواصل بين الجامعة وبين المجتمع. دورنا أن نمدّ الجسور وأن نفتح

النوافذ. ولهذا، فإلى جانب رسالتنا التربوية، فإننا أصحاب رسالة روحية أخلاقية وطنية لا تقتصر على مجتمع الجامعة الداخلي، بل تحاول، إشعاعاً وانفتاحاً، أن تبت أفكارها ورؤاها في مجتمعنا المدني الوطني. وهذا يستدعي ترابطاً بين المؤسسة التربوية وبين مؤسسات الاقتصاد والسياسة والانتاج ومنظّمات المجتمع الأهلي، بهدف توظيف كلّ الطاقات لتوفير فرص العمل ولتمكين الخريجين من استخدام علومهم ومهاراتهم في خدمة وطنهم.

أيها الأصدقاء تطلّعات كثيرة، تحاول أن تغالب الصعوبات التي يعيشها الوطن. مؤسف جداً أن نجلس على الرصيف، ننتظر التطوّرات. وحزين جداً أن يسبقنا العالم، بعولمته وتقنياته، فيما نحن نجادل في جنس الملائكة. وغريب أن نقف موقف العجّاز المشلولين. لهذا، نتابع المسيرة، بإيمان أكبر.

وبافتتاحنا اليوم لهذه السنة، نخطّط لمجموعة نشاطات ومؤتمرات ومعارض، ستكون هذه الجامعة مسرحاً لها، هنا، كما في الشمال، كما في الشوف.

لقد اتخذنا لهذه السنة، شعار: من الانتساب إلى الانتماء. ونحن وإياكم سنفخر بهذه الجامعة وبانتماثنا إليها. وسيبقى انتماؤنا اللبناني هو الأساس.

○ الرئيس العامّ للرهبانية المارونية المريمية الآباتي سمعان أبو عبود أعاد الحضور بالذاكرة إلى دور الرهبانية في التربية والتعليم، قائلاً:

إنّ حركة التلاقي والتواجه مع التربية والثقافة خبيرة عاشتها الرهبانية المارونية المريمية منذ تأسيسها حتى اليوم، مُعَبِّرة أنّ الإنسان لا



بانتيون الجامعة الوطني احتفى بأمين الريحاني من إزميل بيار كرم

من إزميل النحات بيار كرم، ارتقت شمخةً لأمين الريحاني على مدخل جامعة سيّدة اللويزة. أضاءت غرّة "البانتيون الوطني"، وخطّت إضافةً بهيّةً غنيّةً في مسيرة الجامعة الفنيّة.

ففي الأوّل من آذار ٢٠٠٧، وفي إطار الاحتفال بالذكرى العشرين لتأسيس الجامعة، وبمناسبة الذكرى المئة والثلاثين لولادة الأمين، وتخليداً لذكراه، رفعت الجامعة الستارة عن نصب لهذا الأديب اللبناني العالميّ على مدخلها. نحته وقدمه الأستاذ بيار كرم.

وقد كان في البرنامج، بعد شريطٍ من صوتٍ وصورة، كلماتٌ هي على التوالي للسادة:

١٩١٧: - زار البابا بندكتوس الخامس عشر في الفاتيكان.
- التقى برئيس الولايات المتحدة الأميركيّة السابق ثيودور روزفلت لبحث قضية فلسطين.
- سافر إلى المكسيك، وكتب وحاضر حاثًا اللبنانيين والسوريين على مساندة الحلفاء في الحرب العالميّة الأولى.
١٩١٩: التحق بنادي المؤلّفين في مدينة نيويورك.
١٩٢١: نشر كتابين، جادّة الرؤية وأنشودة الصوفيين في نيويورك.
١٩٢٢: - سافر إلى البلاد العربيّة، وبدأ نشر مقالاته في جريدة نيويورك تايمز.
- التقى في نجد بالملك عبد العزيز، وفي الحجاز بالملك حسين.
١٩٢٣: التقى في العراق بالملك فيصل.

١٩٠٢: نشر كتابه الأوّل نبذة في الثورة الفرنسيّة.
١٩٠٤: التحق بالجمعيّة الشعريّة الأميركيّة والجمعيّة الوطنيّة لفن المسرح في نيويورك.
١٩٠٥: نشر مجموعته الشعريّة الإنكليزيّة الأوّلي المرّ واللبنان في بوسطن، وعاد إلى لبنان.
١٩١٠: نشر كتاب الريحانيّات في بيروت.
١٩١١: نشر في نيويورك روايته كتاب خالد.
١٩١٦: تزوّج من الرسّامة والفنانة الأميركيّة بيرثا كايس.

● | الأستاذ سهيل مطر، الذي قدّم عناوين من سيرة المحتفى به:
١٨٧٦: ولد الريحاني في الفريكة في ٢٤ تشرين الثاني.
١٨٨٨: هاجر إلى نيويورك مع ذويه.
١٨٩٦: التحق بمسرح هنري جويت في نيويورك.
١٨٩٧: التحق بمعهد نيويورك للحقوق، وبدأ كتاباته باللغة الإنجليزيّة.
١٨٩٨: عاد إلى لبنان لمدة سنة واحدة.
١٨٩٩: عاد إلى نيويورك.



صلاة الذكرى

يا ربّ
من أجواء العلم والأرقام والأسئلة
القلقة، ها نحن نصلي إليك، نقف
أمامك بتواضع وانحناء.
من ليل التجارب والأخطاء والخطايا،
ها نحن نعود إلى وجهك الطاهر،
لنتعمّد بماء البراءة والنقاوة.
من عالم الجهاد والعمل والطموح، ها
نحن نلجأ إلى ظلّ حمايتك، ونقدّم
حساب عشرين سنة مرتّ على
نشأة جامعتنا الحبيبة.
يا ربّ
لقد عملنا، جميعاً، الآباء والأخوة، -
من رحل إليك، ومن استمرّ مجاهداً،
ومن انتقل ساعياً- عملنا لتثمر
وزناتنا وزنات مضاعفة.
أخطأنا، حيناً، يا ربّ.
نجحنا حيناً آخر.
تعثرنا، ولم نسقط.
أصابنا التعب، ولم نياس.
هزّتنا أحداث ومشاكل وحروب، ولم
نكفر...
وها نحن نصلي، نحمل هموم
جامعتنا وأحلام طلابها، وآمال
العاملين فيها، ونضرع إليك:
قوّ عزائمنا. صن فينا الإرادة
والإيمان. أبعد عنّا أشباح الفساد
والجهل والإهمال.
إرحم من ساهم في التأسيس
وغادرنا إلى دنيا البقاء.
كافئ من ضحّى وخدم ولم يهمل.
أنظر بعين الرضا والعطف إلى من
تخرّج وانطلق.
ويا ربّ
أعزب هذه الجامعة، لتنمو قامّة
وروحاً وهويّة مميّزة.
كن لنا، نحن، أسرة الجامعة،
الضمير وفضاء المعرفة وجمال
العطاء.
وبشفاعة أمنا العذراء، سيّدة
اللوزية، أعطنا أن نتابع الطريق،
بمحبّة وفرح وحرية، من الآن وإلى
أبد الأبدين. آمين.

وختاماً، نريدها جامعةً للعصر الجديد، تسيّر
نحو يوبيلها الفضيّ ساعيةً إلى الانفتاح
والإبداع والبحث والتجدّد. ونريدها جامعةً
تكبرُ بشغف الجميع الذين عاهدوا الله على
الانخراط في صميم هذه الدعوة الأساسيّة
لوجودها ألا وهي العطاء والتغيير.
وكان في المناسبة كلمتان أيضاً..

○ | الأولى للنتقيب محمّد البعلبكيّ تمثّى فيها
للجامعة دوام النجاح والتقدّم، مؤكّداً على
التلازم بين الثقافة والإعلام وعلى دور القلم
في تقدّم الحضارة الانسانيّة وعلى ضرورة
المحافظة على جوهر لبنان وهو حرية ممارسة
العقيدة والتعبير عن الرأي... منتهياً إلى القول:
لبنان حارس الحرية ورافع لوائها، ولن يتخلّى
عنها مهما يكن، وخيرٌ تجلياتها الكلمة التي
نذرنا أنفسنا لها.

○ | أمّا الكلمة الثانية فللنتقيب ملحم كرم،
الذي اعتبر أنّ الدعوة إلى هذا اللقاء إنّما هي
تأكيد على التزامنا بقدسيّة الكلمة والحرية،
اللتين تطبعان وجه لبنان بالمكارم. وأضاف:
أمّا الكلمة فنحن وأنتم مؤتمنون عليها،
ومؤمنون بأنّها ستحقّق غرضها وجدواها،
وسنبقى قيّمين على طهرها ونقاها...

▼ في الغداء



■ التلاقي والحوار الحرّ وقبول الآخر المختلف
بتواصلٍ حقيقيّ منفتحٍ على الجميع.

■ الإصرار على تقديم أجود أنواع العلم إلى
شبيبنا، على الرغم من الصعوبات التي
نعانيها ويعانيها مجتمعتنا لبنان وخصوصاً على
أصعد الاقتصاد والاجتماع والسياسة.

■ أن تكون جامعتنا لكلّ لبنان من دون تمييزٍ
أو تفرقةٍ أو تعصّبٍ.

■ أن تكون جامعتنا زهبانيّة في قلب الكنيسة،
مستقلّة عن أيّة اعتباراتٍ فئويّةٍ.

■ أن تكون جامعتنا متحلّية بقيم الإنجيل
وخصائص التربية المسيحيّة.

وبعد، فإنّنا نريدها جامعةً ساعيةً إلى التّفوّق
والتميّز والجودة، وأظنّها في الطريق إليها
حاليّاً بتكاتف جميع العاملين فيها موقرين
البيئة المعنويّة والماديّة المؤاتيّة.

نريدها جامعةً في خدمة الطالب أولاً
وأخيراً، لينمو في إطار حياة طالبيّة مليئة
بالحيويّة، بعيدة من التشرذم والانتساع،
والتهور والإدعاء بامتلاك الحقيقة بمُردّه.

نريد أن تكون جامعتنا مركزاً ربيعاً
للتنشئة على الديموقراطية.

هذا المتمرد الاقتحامي الشجاع،
هذا الواسع الثقافة والبعيد الرؤية
والثاقب الرأي والمتشعب النشاط،
هذا الرصين الجادّ والساخر اللاذع
في آن،
هذا الذي دعا إلى العلم والتطور،
أيام كان الظلام يعمّ هذا الشرق،
هذا الثائر على الظلم والذلّ
والجور، وعلى الإقطاع والطائفية
والمذهبية وعلى التعصّب بمختلف
أشكاله وأوانه،
هذا المصلح الاجتماعيّ والمصلح
السياسيّ والمصلح الدينيّ،
هذا الراض لواقع وطنه ومنطقته،
والثائر على الاستعمار والانتداب،
هذا المدافع عن استقلال لبنان
واستقلال كلّ بلد من بلدان العالم
العربيّ،
هذا الداعي إلى تحرّر الشعوب
والأفراد، ولكن ليس بواسطة أولئك
الذين عهدهم- كما يقول- من نسج
العنكبوت، ومواعيدهم مثل ضياء
القمر على الغيوم، وأعمالهم تلول
رمل لا تدوم، وشفاهم ليست
مطهرة، واعتقادهم ليس من القلب،
ونفوذهم ابن الساعة وحليف
الأحوال،
هذا الداعي إلى قلب لبنان نابضًا
في محيطه،
السفير على اسم لبنان قبل أن

○ | وقدّم السفير فؤاد الترك ورقةً طيّبةً
العرفِ والوقع، هذه هي حروفها:

في ذكرى ميلاده المائة والثلاثين، وأكثر من
نصف قرن على رحيله، هل بعد ما لم يكتب
عنه؟

هذا المتعدّد الموهبة والإبداع،
هذا المتنوّع اللغة والإنتاج،

هذا الرحالة السائح أبدًا بين شرق وغرب،

هذا الذي ينطبق عليه ما قاله، في الثلاثينيات
من القرن الماضي، شكري الخوري صاحب
جريدة «أبو الهول» في البرازيل: «والله والله لو
كان للقمر طريق لكنت ترى لبنانياً حاملاً
كشّته وصاعدًا إليه، وترى لبنانياً آخر قد شكّ
دواته في زناره وسار إلى القمر لينشئ فيه
جريدة أو مدرسة».

وهو حملّ الاثنين معًا «الكشّة والقلم»!

هذا الشاعر والكتّاب والروائيّ والناقد
والمؤرّخ وعالم الاجتماع،

هذا الذي- على حدّ قول مارون عبّود- توفّي
تاركًا ١٥ ليرة في بنك اسكندر حدّاد و١٢ ليرة
في «بنكو دي روما» وخمس ذهبيّات في جيبه،

نحترم من يخالفنا الرأي، لا أن نستخدم
أسلوب السباب والتخوين في حقّه.

يكفي أمين الريحاني أنّه حمل لبنان في قلبه
فكتب «قلب لبنان»، وعمل من أجل نهضة
العرب، فكتب عشرات الكتب في هذا الشأن،
واحترم الانسان، أيّ انسان، فكان شعره نبضًا
للانسانية المعذّبة. وكفيينا نحن، رجال الدين
أن نسمعه يردّد في «نجواه»:

«أنت إلهي: ولا إله لي إلّاك.

أنت الحياة بأجمعها، أوّلًا وآخرًا، وإنّي لأحيا بك
إنّي أفتح لك عقلي وقلبي، وأبسط أمامك
روحي،

فلا تحرمني فيض مكارمك، ولا تبعدني عن
ينابيعك».

شكرًا أمين الريحاني، رجل لبنان في العالم!
وأهلاً بكم، أيّها الأصدقاء، وتحية تقدير لكبير
نعتزّ به في لبنان: سعادة السفير فؤاد الترك.

أمّا الصديق الفنّان بيار كرم الذي أبدع في
نحت وجه أمين الريحاني، فله كلّ محبّتنا،
ولتسلم يده، ومبارك إزميل لا يولّد إلّا
الجماليات والبدايع.

ومعًا، نتابع الطريق نحو احتفال جديد في
نيسان القادم.

▼ ما بين الأب وليد موسى والنّحات بيار كرم



١٩٢٤: نشر كتابه ملوك العرب في بيروت.

١٩٢٩: - حاضر في جامعات الولايات المتحدة وكندا بدعوة من مؤسسة السياسة الخارجية. - التقى برئيس وزراء بريطانيا السير رامسي ماكدونالد بخصوص قضية فلسطين.

١٩٣١: - التقى بهربرت هوفر رئيس الولايات المتحدة، وناقش معه العلاقات العربية الأميركية.

١٩٣٧: زار الولايات المتحدة وكندا في جولة ثانية من المحاضرات بدعوة من المركز العالمي للتعليم. ١٩٣٩: - سافر إلى الولايات المتحدة بجولة ثالثة من المحاضرات، بدعوة من مؤسسة و. كولستون ليغ.

- زار إسبانيا والمغرب. وفي إسبانيا التقى الجنرال فرانسيسكو فرانكو، وبحث معه العلاقات العربية الاسبانية.

- بدأ كتابة كتابه قلب لبنان. ١٩٤٠: - توفي في ١٣ أيلول/سبتمبر في الفريكة (لبنان) عن ٦٤ عاماً.

- ترك ٢٩ كتاباً بالإنجليزية و٢٦ بالعربية.

○ | وجاء في كلمة رئيس الجامعة الأب وليد موسى، الذي نوه بأن الاختلاف لا يمنع الاعتراف:

أيها الأصدقاء

الكلام في السياسة كثير، أكثر من الهم على القلب، فتعالوا نغير الموضوع، تعالوا نتحدث في الفن والجمال والإبداع والفكر... ولهذا نحن هنا، وفي إطار ثلاثي الهدف:

□ | الهدف الأول: إنشاء البانتيون الوطني في الجامعة، تخليداً لذكرى كبار من هذا الوطن، وتقديراً لمواقفهم وإبداعاتهم، وتشجيعاً لطلابنا على التعرف إلى هذا الرعيل من الآباء والأجداد، الذين، لولا جهدهم وفكرهم، لما كان لبنان وطن حضارة وثقافة وحرية وجمال. هدفنا أن نرفع أنصافاً وتمائيل لهؤلاء العظماء، في كل الجامعة، وأن نقول لأولادنا وطلابنا: هؤلاء صنعوا لبنان، لا الذين يهدمون وبينون أمجادهم على الجثث والدم والشعارات الزائفة.

لقد رفعنا، منذ ٣ شهور تقريباً، تمناً لفخر الدين، وها نحن اليوم أمام نصب لكبير آخر؛ والأسماء تتتابع، ونأمل في استكمال الطريق.

□ | الهدف الثاني: الاحتفال بالسنة العشرين لإنشاء جامعة سيّدة اللويزة، ولا يكون هذا الاحتفال إلاّ بنشاطات حضارية متنوعة: مؤتمرات، معارض، مسرحيات، مسابقات،

حفلات موسيقية... واسمحوا لي أن أوكد أنّ فرحنا في بناء هذه الجامعة وفي تطورها، لا يوازيه إلا الرغبة في متابعة الطريق نحو الأفضل. ربّما تعترضنا بعض الصعوبات، الخارجية حيناً، والداخلية حيناً آخر، ولكنني أوكد أننا قادرون على تجاوز هذه الصعوبات، بمساعدة أهلنا في الجامعة، وأصدقائنا خارجها، ولن تكون السنوات المقبلة، إلاّ سنوات خير وبركة. وإذا كان شعارنا لهذه السنة: من الانتساب إلى الانتماء، فإننا نوكد أنّ الانتماء ليس وظيفة، بل هو شعور وجداني صادق، إن التزمنا به كئناً أبناءاً لهذه الجامعة، وإن خرجنا عنه، فلا مكان لنا فيها.

□ | الهدف الثالث: الاحتفاء بالذكرى المئة والثلاثين لولادة أمين الريحاني.

أيها الأصدقاء

ربّما كان للبعض، ولاسيما من رجال الدين، مواقف معارضة لأمين الريحاني، فكيف يحقّ لي، وأنا راهب، وفي جامعة تحمل اسم العذراء، وتحت ظلّ الرهبانية المارونية المريمية، أن أمجد ذكرى رجل اتّخذ في بعض كتاباته، مواقف في وجه رجال الدين وتقاليد الكنيسة؟

أجيب: أمين الريحاني فيلسوف ومفكر وشاعر، ويحقّ له ما لا يحقّ لغيره؛ إنها الحرية التي نتغنى بها، والاختلاف في الرأي لا يمنع الاعتراف بقيمة هذا الرجل ودوره الوطني والعربي والعالمي. يا ليتنا اليوم نتعلم أن



❖ وفي الختام، فتح الدكتور أمين ألبرت الريحاني باب الشوق إلى المزيد، بقوله، تحت عنوان: على درب المدينة العظمى

أيها الكرام، نافذة مكثبي كنافذة منزلي، كلتاها تطل على صنيين مروراً بشاهق مهيب من الجبال والأودية التي لا تنتهي إلا بتاج من البياض يقودك إلى السماء. وسط هذه المهابة الحيّة في الطبيعة سمعته يسأل:

■ أصحح ما تنهى إلي أن جامعة سيّدة اللويزة، والرهبان المريميين عليهما، قد قرروا رفع تمثال لي في صرح الجامعة؟
■ صحيح، أجب.

■ وهل نسوا، أو تناسوا، خلافي القديم مع رهبان لبنان؟

■ قلت: ربّما لم ينسوا، لكنهم مشوا بتعاليمك قبل اتخاذ هذا القرار.

■ ماذا تعني؟

■ قلت: أنسيت خطابك الشهير ليلة عيد مار مارون في نيويورك، يوم أطلقت «التساهل الديني» في السنة الأولى من القرن العشرين؟ ها هم اليوم يطبقون ما ناديت به منذ نيّف ومئة عام.



■ لكنهم ردّوا عليّ بقسوة يومذاك، بل حاربوني على منابرهم، وفي معظم صحفهم ومجلاتهم؟

■ هذا كان في ما مضى. أمّا اليوم فهم يكرّمونك ويرفعون لك تمثالاً في قلب جامعتهم.

سألني متعجباً: أخبرني عن هذه الجامعة؟ أخبرني عن مزاياها!

أجبت: إنّها الجامعة الوطنيّة الكاثوليكيّة الوحيدة في لبنان والشرق الأوسط، التي صاغت مناهجها وبرامجها التعليميّة وفق السياق الأميركيّ للتعليم العالي.

■ أتحدّثني عن رهبان لبنان وعن برامج أميركيّة للتعليم العالي؟

■ بل أحدثك عن فلسفة هذه البرامج، عن مبادئ الحرية والانفتاح، عن التزاوج بين العلم والإيمان في دراسات الطلاب وأبحاث الأساتذة، عن التسامح مع الآخرين، عن إخاء يسود أسرة الجامعة مهما عصفت العواصف، أحدثك عن روح البحث عن الحقيقة، عن روح التمدّن الحديث الذي طالما كرّرت به في بلاد المشرق، وعن روح التلاقي الحضاريّ الذي طالما دعوت إليه في بلاد الغرب، أحدثك عن روح التضامن بين المبدع والباحث، وروح الوطنيّة التي تأبى تدخلاً أجنبيّاً، عن روح العلم والفنّ والأدب، الروح الطليقة من قيود خارجية عن أهداف تلك العلوم والآداب.

■ إنك، يا بُنيّ، تُدكّرني بالمدينة العظمى التي أطلقت معالمها في الريحانيّات وكتاب خالد.

■ تمامًا، فهذه الجامعة، تُطلق من على هذه الروابي الخضراء، روحاً علميّة متحرّرة تؤسّس للمدينة العظمى التي جاهدت في سبيلها، وناضلت من أجل تحقيقها. وها هي جامعة سيّدة اللويزة تؤسّس بدورها لمعالم مدينتك العظمى.

■ يا بُنيّ، قل للرهبان المريميين، إنّ مشروعتهم الجامعيّ هذا هو التكريم الحقّ لي شخصياً ولجميع كبارنا من لبنان. قل لهم إنّ جامعتهم هذه هي الصلاة الأولى التي يسمعاها الله منهم كلّ صباح. قل لهم إنّ هذا الصرخ العلميّ، المنفتح بروحه وبهضابه، هو الخطاب الأوّل الذي يسمعه منهم سياسيو لبنان وهذا المشرق كلّ ساعة، وهو الكتاب الأوّل الذي يقرأه لهم أبناء هذا الجيل كلّ لحظة. قل لهم أخيراً إنّني سأضع منذ اليوم، ومن حيث أنا أراقب من بعيد، علامة فارقة على نقطة صغير في خريطة هذا الكون، اسمها جامعة سيّدة اللويزة، لأنظر بعطف وحنان لا على تمثالي وحسب بل على الجامعة التي قرّرت أن تسير، بطلابها وأساتذتها وإداريتها وخرّيجيها، على درب المدينة العظمى.

أيها الكرام، شكراً لرئيس الجامعة، الأب وليد موسى الذي دعا إلى إقامة هذا الاحتفال. وشكراً لكم جميعاً، رهباناً وطلاباً وأساتذة وإداريين وخرّيجين، لأنكم تسيرون جميعاً بمشروعكم الجامعيّ الكبير على درب المدينة العظمى.



تكون للبنان سفارات وبعثات،
رجل العولمة بين لبنان ونيويورك وعواصم عربيّة، قبل أن تطلّ
العولمة على العالم،
الراقي إلى مستقبل للعرب يستخدمون فيه ثرواتهم، قبل أن يتنبّه
العرب إلى ما لديهم من ثروات،
هذا الذي نثبّت اليوم تمثاله في هذا «البانتيون»، مع عظماء لبنان
الذين رفعوا وطنهم إلى النقاء،
هذا الذي خاطب معروف الرصافي بقوله:
أَمِينٌ لَا تَغْضَبُ عَلَيَّ فَإِنِّي
لَا أَدْعِي شَيْئًا بِغَيْرِ دَلِيلِهِ
لَا خَيْرَ فِي وَطَنٍ يَكُونُ السَّيْفُ عِنْدَ
جِبَانِهِ وَالْمَالُ عِنْدَ بَخِيلِهِ
وَالرِّيُّ عِنْدَ طَرِيدِهِ وَالْعِلْمُ
عِنْدَ غَرِيبِهِ وَالْحُكْمُ عِنْدَ دَخِيلِهِ
وَقَدْ اسْتَبَدَّ قَلِيلُهُ بِكَثِيرِهِ
ظَلَمًا وَذُلًّا كَثِيرُهُ لِعَالِيهِ
هذا الذي يقول في أبانا الذي في السموات:
«أبانا الذي في السموات!»
وكيف تدعو الربّ أبانا أيّها الشقيّ على حين أنت آت لتقتل أخاك!
«يتقدّس إسمك»
وكيف يتقدّس اسم الله عزّ ذكره وأولاده آخذون بسفك دماء
بعضهم بعضًا!
«يأتي ملكوتك»
هل تطلب ملكوته في حين تحاول تأسيس ملكوتك دنيويًا
استبداديًا مشيدًا على جثث العباد وملطخًا بدمائهم!
«لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»
إنّ في مشيئته السماويّة المحبّة والسلام، وأنت الآن في ساحة
الحرب تمتشق الحسام على أخيك.

«أعطينا خبزنا كفاف يومنا»
بأيّ قحة تطلب من أبيك السماويّ خبزك، بينما حصانك يدوس
تحت قدميه الزرع الذي تفضّل أن تراه نازًا من أن تراه خبزًا.
«اغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر لمن أساء إلينا»

كيف تتلفظ بهذه العبارة، وأنت الآن تحارب إخوانك حبًا بمن كبر
عليك الأمر وعظّمه؟
«لا تدخلنا في التجارب»

وهل أنت تخاف من التجارب التي تخوض عابها الآن؟ أيّ محنة
أشدّ من هذه التي رميت نفسك فيها؟
«نجّنا من الشرير أمين»

أنت تمثال الشرّ اليوم، فكيف تطلب من ربّك أن ينجّيك من
الشرير؟

هذا الأمين الريحاني ألا يجعلنا نردّد مع خليل مطران:

«لبنان» بين جباله ورجاله
طالت ذراه أوج كلّ عنان
يا ابن «الفريكة» نمّ منامك ناجيًا
فيه من الحسرات والأحزان
تحنو عليك صلاة بظلاله
وتقرّ في واد من التحنان
إنّ المصير إلى الثرى، وإخاله
أندى وأرفه في ثرى «لبنان»

أعطينا يا ربّ أن نستأهل كبارنا، وفي طليعتهم أمين الريحاني.



الجامعة تكريم مي شدياق على «الشجاعة في الإعلام»

في ١٥ كانون الأول ٢٠٠٦، التفت أسرة الجامعة حول وجه من وجوهها: مي شدياق. في حفل تكريمي، تقديراً لحصولها على جائزة الشجاعة في الإعلام ولثباتها في العطاء على منبري الإعلام والتعليم، قُدِّمت لها خلاله ميدالية الجامعة، وحييت بمعزوفة من نيكول طعمة وترنيمه من «أكابيلاً أنجيلي» ووثائقي من قسم الإخراج بعنوان «وردة الحرية». وبكلمات هي على التوالي:

طريقة لتمديد وقت الحصة التي تدرّسها لكي يستفيدوا أكثر ما يمكن.

كان في إمكان مي شدياق أن تستسلم بعد حادثة الاغتيال، ولكنها لم تفعل ذلك. إنها مثال يُحتذى أمام طلابنا في الإعلام، الذين نأمل أن يتخرجوا ويمشوا على خطاها الجريئة، ويعملوا لإحداث تغيير في هذا العالم الذي يفتقد إلى الجرأة والشجاعة والنزاهة.

○ | عميدة كلية العلوم الانسانية د. كارول كفوري، وبعد أن ذكّرت بجيل كارول (Jill Carroll) التي احتُجرت في العراق، وجاو يو (Gao Yu) الذي سُجن في الصين، وكلاهما شريكتنا مي في الجائزة، قالت:

إننا فخورون بانتماء السيدة شدياق إلى جامعتنا، إذ تُظهر يوماً بعد يوم شجاعة لا مثيل لها؛ فهي ما زالت تعطي من خبراتها لتلاميذها، وتسهر على نجاحهم، وتبحث عن

○ | رئيس قسم الإعلام د. جوزف عجمي قال:

... أجل نحن سعداء لأنك بيننا ولأنك مستمرة؛ سعداء لك بهذه الجائزة الهامة، أيتها الصحافية الشجاعة والمرأة المتمردة، سعداء لأنك زميلتنا في كلية الإعلام المتطورة أبداً والرائدة، سعداء لأنك تعطين طالباتنا وطلابنا دروساً ليس فقط في عالم الصحافة والتلفزيون، بل في الشجاعة أيضاً وفي التحدي وفي الأمل وفي الانتصار على الموت وعلى الزمن الرديء.



من فرع الشوف..

الأب بو ناصيف يشدّد على الكفاءة والعطاء

في مناسبة لقاءات الأعياد: الميلاد ورأس السنة والأضحى. شدّد مدير فرع الجامعة في الشوف الأب بطرس بو ناصيف على أن لا فضل لأيٍّ من أسرة الفرع على الآخر إلاّ بمقدار كفاءته وعطائه.

وفي سبيل التقارب وإضفاء جوّ الألفة على العلاقات بين أفراد هذه الأسرة، جرى: تبادلٌ للهدايا، وتقاسمٌ للقمّة المحبّة، وتكريمٌ خاصٌّ للدكتور فؤاد شديد والسيدة ميشلين عازار لحصولهما على أعلى نسبة أصوات من الأساتذة والموظّفين بنتيجة ملء استمارة، قوامها الصفات التالية: ١- محبّة الجامعة ٢- العلم والثقافة ٣- الضرح في العطاء ٤- الأمانة في النظام الداخلي ٥- حسن التواصل مع الجميع ٦- الخدمة ٧- التواضع.



علي حماده يحاضر في الإعلام والسياسة

ظهر ٢١ كانون الأوّل ٢٠٠٦، وبدعوة من طلاب العلاقات العامّة في فرع الجامعة بالشوف، حاضِر الصحفيّ علي حماده حول الإعلام والسياسة اليوم في لبنان، مشيراً في البداية إلى أنّ الإعلام وسيلة تعكس حالة المجتمع وما يكتنفه من سجال بين أهل السياسة. وأضاف بأنّ الإعلام كان ولا يزال الراعي الأوّل للحالة الاستقلاليّة، وخصوصاً تلك الانتفاضة التي صنعها الشرفاء في ساحة الشهداء، والتي أجبرت الوصاية السوريّة على سحب كوادرها من لبنان.

وحول حرية الإعلام، قال: في ظلّ الصدام السياسيّ، هناك صعوبة كبيرة في أن يبقى الإعلام حراً، بل إن الإعلام، والمرئيّ تحديداً، في حاجة إلى تمويل، أي إلى دعم خارجيّ في الغالب، ما يجعله مرتتهناً. ومن الجرائد استثنى السفير والنهار، معتبراً أنّهما الوحيدتان المستقلّتان مهنيّاً، وما عداهما لا يوجد إعلام مستقلّ في لبنان.

وقد كان للأستاذ حماده التفاتات سياسيّة، منها تقديره أنّ المبادرة العربيّة، من منطلق الاستقلالات والاعتصامات والانقسامات، ليست إلاّ لتخفيف الاحتقان، لأنّ سوريا لن تقبل أبداً، ومهما كلف الأمر، بقيام المحكمة الدوليّة؛ فهي إذاً لن تكفّ عن تحريك أعوانها في لبنان!



ولأنّ لا صحافة حقيقية في الدروب السهلة.

ثمّة أشياء نتعلّمها في الجامعة. وثمّة أشياء نتعلّمها بالمراس والمتابعة. لا يمكن أن نزيح عن الطريق المرسوم، ونحن نعرف أنه محفوف بالخطر، من دون أن ندرك أن البعض يكره الكلام والحقيقة والنقد، وأنه لا يملك إلاّ القتل وسيلة للحوار.

تعرف طريقك وتمشي.
تحمل قضيتك ولا تخاف.
عندما ينحني كثيرون تظلّ واقفاً.
عندما تهبّ العواصف لا تنحني.
عندما يسايرون، تسأل عن المواجهة.
بكلّ جرأة لا تجعل صوتك ينام.
تقول كلمتك ورأسك مرفوع.

من دون هذه الروح، كيف تكون في مكانك الصحيح الذي تريده أن يكون، مهما كانت الصعوبات والمخاطر؟!

أعطني قلماً جريئاً وخذ قضية ناجحة.

أعطني صوتاً جريئاً وخذ نضالاً حقيقياً.

الشجاعة لا تتعلّمها تحت إدارة الرقيب، ولا تكتسبها باللجوء إلى حمى السلطة أو المتسلّطين عليها.

ولكن هل تستطيع وحدك أن تكون كما أنت؟ هل تستطيع أن تكون حراً إذا لم تكن هناك مؤسسة حرّة تفتح لك المجال؟ وإذا لم تكن جامعة

حرّة؟ وأرض تحبّ الحرية، وناس يعيشون الحرية؟

طريق الحرية صعب، ولا يسلكها إلاّ أبناء الحرية الذين يعيشون الحياة، ولا يكرهها إلاّ الذين يرسمون الموت على الطرقات التي يسلكها الأحرار. عندما بدأت السير في ذلك الطريق، لم أكن أتصوّر أنني سأكون هدفاً لهؤلاء، لم أتصوّر أنهم لن يتحمّلوا كلماتي، وأنهم إذا لم يتحمّلوها سيحاولون إسكاتي إلى الأبد.

ومع ذلك نقول: إذا كتبت علينا خطي مشيناها. هذه بداية جديدة في حرب طويلة اخترتها أنا، وتختارونها أنتم. وإذا لم يكن لديكم هذا الخيار سنصبح نخاف على الوطن وعلى مستقبلنا فيه. فلا تجعلونا نخاف أو نهزم أمام الذين يرسمون لنا درب الهزيمة، وفي اعتقادهم أننا سنخاف عند أوّل اغتيال، وسنهرب بعد أوّل عبوة... وأننا لن نقف لنواجه بكلّ صدق ومحبة وعنفوان.

الإعلام الحرّ يحتاج إلى هذه الروح، ونحن من نصنع له هذه الروح، التي تبقى فينا وتنتصر.

عندما يبدأون بالقتل نعرف أنهم خاسرون.

مع سمير قصير كانوا يخسرون. ومع جبران تويني كانوا يخسرون. لم تنفع التهديدات ولا التحذيرات ولا الرسائل المضخّخة. بقيت ثورة الأرز. بقي الكلام سيّد الكلام، وأوّل الكلام، وآخر الكلام.

يذهب الطارئون وتبقى الجراح. ولكن تبقى الشجاعة على قول الحقّ والحقيقة. وإلاّ، فما هو معنى أن تختار أن تبدأ مهنة المتاعب، وأن تحبّها حتى لو كنت تقف اليوم لترى ماذا فعلوا بك، ويقينك أبداً أنك تشهد للقيامة الآتية، ولو على صهوة أحزانك وجراحك وآلامك.



○ وقال رئيس الجامعة الأب وليد موسى:

احتفالنا اليوم، أيها الأحباء، أبعد من تكريم ومن تقدير ومن فرح بجائزة عالمية. مي شدياق، بالنسبة إلى الجامعة، هي أكثر من أستاذة أو زميلة أو إعلامية جريئة.

إنها رمزٌ للمقاومة اللبنانية في نضالها من أجل الحرية والكلمة الجريئة والموقف الشجاع. ومعها، اليوم، نحني، بمحبة وصلاة، روح جبران تويني الذي اختطفه الإجرام في مثل هذه الأيام من السنة الماضية. وإذا كانت العادة أن نقف دقيقة صمت حزنًا وحدادًا، فإنني أدعوكم إلى الوقوف دقيقة اعتزاز وفخر، تحية للإعلام اللبناني الحر والشريف.

مي، أقول، ومن دون لقب أو مجاملة، هي الاسم الذي أصبح مرادفًا للحرية والجرأة. جراحها هي الوسام الذي لم يعلق على جسدها بمرسوم، بل عُلق رمزًا لما بذلته هذه المرأة من عمر وسهر وكد، في سبيل القضية التي آمنت بها، وعربون محبتها للبنان؛ وهل أعظم من أن يبذل الانسان نفسه فداءً عمّن يحب؟

فيا مي، أيتها الصديقة الصادقة، نحن نعتز بك ونفخر. وإنما، منذ اليوم الأول للجريمة التي استهدفتك، اتخذنا القرار بأن يبقى اسمك لامعًا في هذه الجامعة، وكرسيتك جاهزًا، والقلم الذي في يدك شمعته يستضيء بها طلابك والزملاء.

○ جميل مروّه، رئيس تحرير الدبلي ستار أكد للحضور: يريدون ألا تكونوا أسيادًا لأنفسكم، لمستقبلكم، لبلدكم، ولحياتكم خصوصًا. الهدف أنتم. وميزة مي شدياق أنها لا تخاف من أن تفتح الأبواب الموصدة علنًا أمام الجميع. الحقيقة أنها أمينة لدورها، وليس الأمر أمر صراحة ولا وقاحة. وإنني، أريد أو أؤكد باسم مي: لا تتراجعوا.

○ وليد عبّود ممثلًا بيار الضاهر، رئيس مجلس إدارة مدير عام LBCI، توقف في كلمته عند ثلاثة أبعاد:

البعد الأول استهداف امرأة للمرة الأولى منذ نشوء الكيان اللبناني بحدوده الحالية عام ١٩٢٠ لأسباب سياسية. وهذا يعني أنّ

الفاعلين كانوا يريدون ويحاولون ليس اغتيال مي شدياق فحسب، بل ضرب إرادة الحياة عند اللبنانيين، إن لم يكن ضرب مصدر الحياة.

البعد الثاني تمثّل في استهداف الصحافة والصحافيين، الإعلام والإعلاميين. فقوى الظلمة والظلم التي لا تريد للبنان أن يستعيد سيادته واستقلاله وقراره الحرّ، والتي ساءها قيام «ثورة الأرز» وانتفاضة الاستقلال... هذه القوى فاجأتها الأقلام الصحافية الحرّة.

أما البعد الثالث فيتعلّق بـ «المؤسسة اللبنانية للإرسال»: فلأنّ هذه المؤسسة هي رمز من رموز الممانعة اللبنانية في الأزمنة الصعبة الصعبة، ورمز من رموز النجاح اللبناني، ورمز من رموز الدور اللبناني الرائد في المنطقة العربية والشرق، كان استهدافها بأحد رموزها.

○ غابي نصر، نائب رئيس تحرير «الأوريون لو جور»، الذي نوّه بمزيا ميّ، أعرب عن تقديره وإعجابه بشجاعته وجرأتها وإرادتها في المثابرة على العمل.



○ سهيل مطر، المدير العام للعلاقات العامة في الجامعة، نقل صلاة نقطة دم راحة على الطريق في غادير، ووجهها إلى حريصا، وقد كانت صلاتها من أجل مي ولبنان والمجرمين. وقبل أن يدعو إلى سماع كلمة مي، قال لها:

يا مي، أيتها الزميلة الحلوة، كوني جامعة، بالمعنى القاموسي للكلمة. اجتمعنا حولك، في الجرح والغيوبة، دعينا، كلنا، نجتمع حولك، في العافية والموقف ومحبة الانسان. الجمال لا يعرف الحقد؛ أنت جميلة، وأنت قربانة الجامعة، وأميرة الجراح...

○ أما مي فماذا قالت؟

أول الكلام قد يكون من أهم أسرار النجاح، أن تعتقد أنك لم تبلغ بعد النجاح، وأنت لا تزال تسعى وراءه طالبًا..

طالبًا المزيد من المعرفة.
طالبًا المزيد من العمل.
طالبًا المزيد من المحبة.

عندما تنظر إلى الأيام من الحاضر، لعلّ السؤال الأساسي الذي يمكن أن تسأله هو: لو قدر لي أن أبدأ من هناك، هل كنت اتخذت الخيار ذاته والقرار ذاته، وهل كنت مشيت الطريق ذاته واخترت البداية نفسها؟

عندما دخلت ذلك الطريق قبل خمسة وعشرين عامًا، عندما اخترت الصحافة، كنت أعرف الالتزامات التي يرتبها عليّ هذا الخيار، لأنّ لا صحافة من دونها،

تدخلوا السياسة إلى علاقاتكم الشخصية والمهنية، ولا تورطوا الجامعة بمواقفكم، ولا تقسموا أو تفرقوا في نظرتكم بعضكم إلى بعض.

■ ٢- الوعي الطلابي هو الأساس في بناء المواقف الوطنية، عند الشبيبة الجامعية. ومن الطبيعي أن لا تكونوا، أيها الطلاب، نسجاً مصوّرة، بعضكم عن بعض. ولكنّ وحدة الهدف هي التي تجمعكم دائماً: على ماذا تختلفون في الجامعة؟ هل يوجد بينكم من لا يحب هذا الوطن، من لا يريد أن يعيش حرّاً سيّداً؟ من لا يريد القضاء على الفساد والنفاق والكذب؟ من لا يريد أن يحيا مع عائلته في سلام على أرض لبنان، بدل أن «يتغرب» ويترك وطنه ويتشرّد في العالم؟ كلنا نريد لبنان وطناً مستقلاً، وأرضاً يعمّها

السلام، ومجتمعاً يحيا برفاهية ومساواة وعدالة.

تعالوا نبني على ذلك، وسترون أنّ وحدة الهدف أهمّ بكثير من آراء ونظريات وأفكار تباعد الطالب عن أخيه، والجار عن جاره. مسموح الاختلاف في الرأي، وليس مسموحاً الخلاف الذي يصل إلى حدّ الاقتتال، كما يقول غبطة أبينا البطريرك.

بحقّ المخلص يسوع، أدعوكم إلى وحدة طالبية بعيدة عن التشنجات والتوترات والمهاترات الفارغة، وقد لمست، بالفعل، من طلابنا، وعياً مسؤولاً يجعلنا نتفاءل بالمستقبل.

■ ٣- الأوضاع السياسية الصعبة تؤثر على مصير الجامعة، اقتصادياً واجتماعياً. وأنا، مع إخوتي الرهبان، بقيادة أبينا الأب العام

سمعان أبو عبده، ومع جميع الأساتذة والموظفين والطلاب، سنعمل على التصدي للصعوبات التي نحيها هذه السنة. جامعتكم، رغم كلّ شيء، تتقدّم ولا تتقهقر، وآمل أن تكون رؤيتي صحيحة: فأنا أشاهد ورشة بناء في الجامعة، تطلّ البشر أكثر من الحجر. رجائي أن نوفق في عملية التطوير والتحديث بالتعاون معكم، وبالاعتماد على هؤلاء المسؤولين في الجامعة، آباءً وعلمانيين، الذين أضع كلّ ثقتي فيهم، مؤمناً بالقدرة على إحداث حركة إنمائية تضع جامعتنا في مصافّ الجامعات المرموقة في العالم.



جوقة جامعة سيّدة اللويّزة

مهرجان البستان ٢٠٠٧



كان لجوقة جامعة سيّدة اللويّزة هذا العام، موقع كبير في مهرجان البستان ٢٠٠٧. ففي ٢٣ شباط، قدّمت حفلتها الأولى في كنيسة القديس يوسف للآباء اليسوعيين مع الفرقة السمفونيّة الوطنيّة بقيادة المايسترو Guerassim Voronkov. هذا الحفل الضخم لـ Beethoven كان حدثاً مهماً للجوقة، التي درّبها الأب خليل رحمة لتكون بحجم هذه الأعمال التي تفخر بتقديمها.

وفي ٢٨ شباط و ١ آذار ٢٠٠٧، كان موعدها مع نوع آخر من الحفلات. لأوّل مرّة في لبنان، تقدّم جوقة لبنانيّة عملاً إسبانيّاً من نوع "الفلامنكو". هذا العمل الرائع لـ Paco Pena الإسبانيّ الجنسيّة، قدّمته الجوقة مع المؤلّف وفرقته الموسيقيّة بقيادة المايسترو الهولندي Robert Vermeulen، وبمشاركة جوقة أطفال معهد سيّدة اللويّزة. النجاح الكبير للحفلات ظهر من خلال الحضور الذي فوجئ بأداء الجوقة ومماشاتها للموسيقى الإسبانيّة، فكانت محطّ أنظار جميع النقاد الفنيّين والصحافيين الذين فاحروا بجوقة نشأتها وأعضاؤها لبنانيّون ووصلت بأدائها إلى المستوى العالميّ.

هنيئاً لجوقة جامعة سيّدة اللويّزة لهذا النجاح، وهنيئاً لجامعتنا بهذه الجوقة!

في الميلاد

الأب موسى يدعو أسرة الجامعة إلى فحص ضمير

انطلاقاً من النظرة المسيحيّة والوطنية، ومن ثوابت بركي ومسلّمات مجلس الأساقفة الموارنة، دعا رئيس الجامعة الأب وليد موسى، في قدّاس الميلاد، أسرة الجامعة إلى فحص ضمير، مؤكّداً على ثلاث ثوابت:

■ ١- الجامعة ليست مركزاً سياسياً. هي مركز تعليميّ تربويّ تثقيفيّ... فبالله عليكم، أنتم أحرار في أن يكون لكم الموقف السياسيّ الذي تريدون. ولكن، أرجوكم، لا





إعانة له على نشرها. كما أنّ حاكم لبنان في الستينات من القرن التاسع عشر فرنكو باشا جعلها صحيفة حكومته الرسميّة بدلاً من جريدة «لبنان»، التي أُلغيت مع بدء صدور «الأخبار» باللغتين العربيّة والفرنسيّة.

كُتب أنّ «حديقة الأخبار» كانت تنشر الأنباء المفيدة وتحتوي على حوادث هذه البلاد وعلى الحوادث الخارجيّة مؤلّفة ومترجمة من أحسن وأعظم جرائد أوروبا. امتازت أيضاً بتنشيط الناس على إقامة المدارس وتعميم الزراعة وترويج الصناعة وتحسين التربية والأخلاق والعادات وقد حافظت في جميع أدوار حياتها على مبدأ الاستقامة والعدل وحبّ النفع العامّ.

ساعد خليل الخوري في نشر جريدته أخوه سليم الخوري مع سليم بن ميخائيل شحادة وغيرهما من الأدباء، وقد استمرّت في الظهور حتّى بعد أن قطعت حكومة الجبل عن الخليل المرتب الشهريّ وهو ثلاثون ليرة عثمانيّة.

احتجبت «حديقة الأخبار» عامّاً كاملاً قبل وفاة مؤسسها لاعتلال صحّته، وبقيت كذلك حتّى أعاد نشرها صاحب الامتياز الثاني حتّى الخوري شقيق خليل، فصدرت مجدّداً في ١٨ كانون الأوّل عام ١٩٠٨ وقد تضمّنت مقالات شائعة في السياسة والأخلاق وفصولاً مفيدة في تأثير النساء وتهذيب البنات.

في ١٧ حزيران ١٩٠٩ توقّف إصدار «الحديقة» مرّة أخرى، ولكن بسبب اختلال طراً فجأة على آلة طباعتها، ثمّ عادت إلى الظهور عام ١٩١٠، واستمرّت كذلك حتّى ٢٠ نيسان ١٩١١ حين توقّفت نهائيّاً.

توفّي خليل الخوري في ٢٦ تشرين الأوّل ١٩٠٧، قبل عام واحد من الاحتفال بمرور خمسين سنة على تأسيس أوّل جريدة لبنانيّة، وفيه نظم داود بك نقاش قصيدة قال فيها:
هذي الحديقة طالما
أرجت بها غرّ الأزاهر
بعثت إلى الأدباء تنشر
من لها قد كان ناشر
هي أم كلّ جريدة
عربيّة وبها نفاخر
فالحرّ كلّ الحرّ من
في مدحها أبداً يجاهر
وأخو الكمال فتى عليه
قد بكت شقّت مرائر
والصدق في تاريخه
لحديقة الأخبار شاكر

يعتبر الدكتور فيليب حتّي أيضاً في كتابه «تاريخ لبنان» أنّ الصحافة العربيّة الحقيقيّة صدر قبل هذه الجريدة من نشرات ليس من الصحافة في شيء على اعتبار أنّها كانت إمّا جرائد رسميّة لنشر القرارات والبلغات والأوامر الحكوميّة وإمّا غير عربيّة المكان ولا الطابع ولا الناشر.

على صعيد الهيئة، كُتب عن خليل الخوري (٥) أنّه كان طويل القامة، حيويّ المزاج، قويّ البنية، أبيض اللون، أسود الشعر، مع هيبه ووقار. وكان أيضاً دمث الأخلاق، رقيق الجانب، حسن المحاضرة، ميّلاً إلى البساطة بعيداً عن الأبهة والبهرجة، رحب الصدر، متوقّد الذهن، سريع الخاطر، رقيق الإحساس. وتظهر رقة شعوره على الخصوص في شعره الغزليّ. وكان الخوري

وجيهاً حسن الوفادة، بيته منزل الولاية والوزراء يرتاحون فيه من عناء الأسفار، وله صداقة مع رجال الدولة وكلمته نافذة عندهم، فنال الأوسمة والنياشين من معظم دول أوروبا فضلاً عن رتب الدولة العثمانيّة ونياشينها.

أحبّ خليل الخوري في شبابه سيّدة من آل بسترس، لكنّ أهلها حالوا دون اقترانهما، فزوّجته إلى وجيه من آل نوفل ثمّ توفّقت عن ابنتين، كان لخليل أن تزوّج إحداهما واسمها



تأليف خليل الخوري - بيروت - ١٩١٠
١٨٨٨
١٨٨٩
١٨٩٠
١٨٩١
١٨٩٢
١٨٩٣
١٨٩٤
١٨٩٥
١٨٩٦
١٨٩٧
١٨٩٨
١٨٩٩
١٩٠٠
١٩٠١
١٩٠٢
١٩٠٣
١٩٠٤
١٩٠٥
١٩٠٦
١٩٠٧
١٩٠٨
١٩٠٩
١٩١٠
١٩١١
١٩١٢
١٩١٣
١٩١٤
١٩١٥
١٩١٦
١٩١٧
١٩١٨
١٩١٩
١٩٢٠
١٩٢١
١٩٢٢
١٩٢٣
١٩٢٤
١٩٢٥
١٩٢٦
١٩٢٧
١٩٢٨
١٩٢٩
١٩٣٠
١٩٣١
١٩٣٢
١٩٣٣
١٩٣٤
١٩٣٥
١٩٣٦
١٩٣٧
١٩٣٨
١٩٣٩
١٩٤٠
١٩٤١
١٩٤٢
١٩٤٣
١٩٤٤
١٩٤٥
١٩٤٦
١٩٤٧
١٩٤٨
١٩٤٩
١٩٥٠
١٩٥١
١٩٥٢
١٩٥٣
١٩٥٤
١٩٥٥
١٩٥٦
١٩٥٧
١٩٥٨
١٩٥٩
١٩٦٠
١٩٦١
١٩٦٢
١٩٦٣
١٩٦٤
١٩٦٥
١٩٦٦
١٩٦٧
١٩٦٨
١٩٦٩
١٩٧٠
١٩٧١
١٩٧٢
١٩٧٣
١٩٧٤
١٩٧٥
١٩٧٦
١٩٧٧
١٩٧٨
١٩٧٩
١٩٨٠
١٩٨١
١٩٨٢
١٩٨٣
١٩٨٤
١٩٨٥
١٩٨٦
١٩٨٧
١٩٨٨
١٩٨٩
١٩٩٠
١٩٩١
١٩٩٢
١٩٩٣
١٩٩٤
١٩٩٥
١٩٩٦
١٩٩٧
١٩٩٨
١٩٩٩
٢٠٠٠
٢٠٠١
٢٠٠٢
٢٠٠٣
٢٠٠٤
٢٠٠٥
٢٠٠٦
٢٠٠٧
٢٠٠٨
٢٠٠٩
٢٠١٠
٢٠١١
٢٠١٢
٢٠١٣
٢٠١٤
٢٠١٥
٢٠١٦
٢٠١٧
٢٠١٨
٢٠١٩
٢٠٢٠
٢٠٢١
٢٠٢٢
٢٠٢٣
٢٠٢٤
٢٠٢٥
٢٠٢٦
٢٠٢٧
٢٠٢٨
٢٠٢٩
٢٠٣٠

حديقة الأخبار: بيروت - العدد الأوّل، كانون الثاني ١٨٥٨

(٥) زيدان، ص ١٧٠.

مئة سنة على رحيل خليل الخوري

أبو الصحافة اللبنانية.. وعودة إلى البéal

د. جوزف عجمي



١٨٣٦ - ١٩٠٧

في زمن كانت فيه الحريّاتُ مجرد أمنية والاستقلالُ حلمًا بعيدًا لا يجروُ الكثيرون على إيوائه، وفي وقتٍ لم يكن فيه المدارس الكبرى وندرت الأقلام، ظهر على الساحة اللبنانية الشويفاتي الشابّ ابن الاثنين وعشرين ربيعًا ليبدأ شيئًا في بيروت أدخله تاريخ لبنان وتاريخ صحافته، ليس فقط من الباب الواسع، بل من الباب الأوّل.

الرواية والشعر، وخصوصًا في الغزل والمديح والتهنئة والثناء. يضيف زيدان^(٢) بأن أكثر مدح الخليل للسلطين ورجال الدولة، ولذلك سمّوه شاعر الدولة. وكان لطريقته في الشعر العصريّ وقع حسن لدى المستشرق رينو الفرنسيّ. وذكره كذلك الشاعر الفرنسيّ الشهير لامارتين، وأصبح بينهما صداقة ومراسلة.

خليل الخوري الذي وُلد في العام ١٩٣٦ أصبح أبًا في العام ١٨٥٨، ولكنّ للصحافة اللبنانية التي كانت باكورتها صحيفة أسبوعيّة علميّة، تجاريّة تاريخيّة سياسيّة، اسمها «حديقة الأخبار»، هي أوّل صحيفة عربيّة مستقلة يصدرها عربيّ في البلاد العربيّة، بعد أن كان رزق الله حسّون الحلبيّ أصدر جريدة «مرآة الأحوال» في اسطنبول في العام ١٨٥٥. أطلق الخوري على جريدته لفظة «جورنال»، وهي كلمة فرنسيّة معناها «يوميّ»، ولو أنّ جريدته لم تصبح يوميّة إلاّ في وقت لاحق من تاريخها.

بالعودة إلى «حديقة الأخبار» يقول أديب مرّوة^(٣) إنّ خليل الخوري يعتبر الرائد الأوّل في تاريخ الصحافتين اللبنانيّة والعربيّة، إذ إنّ الجرائد الثلاث العربيّة الأوّلى التي ظهرت كان قد أصدرها الجنرال بونابرت في مصر (التنبيه، عام ١٨٠٠) والوالي محمّد علي الكبير (الوقائع المصريّة، ١٨٢٨) والمستعمرون الفرنسيّون (المبشّر الجزائريّة، ١٨٤٧) بأمر من الملك لوي فيليب.

صدرت «حديقة الأخبار» في الوقت الذي اعتبر فيه العرب الصحافة بأنّها أداة جهاد، ووسيلة حرب ونضال، وسبيل للثورة والانعتاق إمّا من نير الأجنبيّ وإمّا من نير التقاليد والعادات البالية. وكانت الصحافة، بحسب مرّوة^(٤)، تحاول تحرير الأمّة من السلطنة العثمانيّة، فصرّفت جهودها إلى إثارة النفوس وإيقاظ الهمم، فأهملت الناحية الفنيّة من الصحافة.

كان في خليل الخوري، كما كتب جرجي زيدان^(١)، ذكاءً ونشاط، وكانت نفسه تبغي العلى فطلب الرقيّ من طريق القلم، ولا سبيل إليه يومئذٍ إلاّ بخدمة الحكومة وهي عسيرة على غير المسلمين، إلاّ لمن تفقّه بالعلم وأتقن اللغة التركيّة. تعلّم خليل اللغة التركيّة وكذلك اللغة الفرنسيّة حتّى أتقنها تكلمًا وكتابة. ثمّ سافر إلى مصر وعمل في الكتابة والترجمة. وعندما عاد إلى الوطن، كان قد أصبح موضع إعجاب رجال الدولة العثمانيّة، فجعلت الحكومة جريدته رسميّة لنشر أوامرها وأخبارها.

نستكشف من تاريخ «حديقة الأخبار» ومن سيرة خليل الخوري أنّ باكورة الصحافة اللبنانيّة لم تضمّر العداء ولا الخصومة للحكومة التركيّة، ولم تكن بالتالي جريدة سياسيّة متطرّفة، إذ إنّ حكومة الاستعمار اتّخذتها في وقت لاحق جريدة رسميّة وعيّن لصاحبها مرتبّ قدره عشرون ليرة عثمانيّة

بالإضافة إلى الأدب والصحافة والسياسة والترجمة، كان لخليل الخوري شأنٌ في

(١) زيدان، جرجي: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، الجزء الثاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مرّوة، أديب: الصحافة العربيّة، نشأتها وتطوّرها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١، ص ١٤٢.

(٤) مرّوة، ص ١٤٣.



تهريب الأموال من قبل المديونين و ضمانات الدائنين

القاضي د. فايز مطر

مقدمة

إنّ المادّة /١١٣/ من قانون الموجبات والعقود تنصّ على أنّ حقّ المدين في الاستفادة من الأجل الممنوح له يسقط إذا لم يقدّم للدائنين التأمينات التي وعده بها في العقد. وهذا النصّ يكرّس الاجتهاد الفرنسيّ الذي يتوسّع في تفسير المادّة /١١٨٨/ من القانون المدنيّ الفرنسيّ، المتعلّقة بالتأمينات التي ينقصها المدين بعمله وخطأه، بحيث أنّها تشمل عدم تنفيذ المدين ما تعهّد به من تقديم التأمينات المتفق عليها مع الدائن، وذلك لأنّ الاجتهاد يعتبر أنّ عدم تقديم التأمينات يساوي في خطورته ونتائجه عمل المدين بإنقاص التأمينات قصدًا وعن خطأ.

فإذا كانت المادّة /١١٣/ من قانون الموجبات والعقود، وفي فقرتها الثالثة تقضي بإسقاط المديون من الأجل أي يجعل دينه مستحقًا إذا أتى المدين فعلاً يؤدّي إلى إنقاص التأمينات المعطاة للدائن كما لو أنّ المدين هدم البناية المؤمّنة لدى دائنه، فإنّ المادّة /٦٩٩/ من قانون العقوبات اللبنانيّ نصّت على وجوب معاقبة الدائن الذي يقدم عن قصد وعن سوء نيّة على إنقاص أمواله، وذلك بقصد إضاعة حقوق الدائنين أو منع التنفيذ في أمواله المنقولة أو الثابتة وفقًا للأشكال التالية: بتوقيع سندات وهميّة، أو بالإقرار كذبًا بوجود موجب، أو بإيوائه كلّه أو بعضه، أو بكتّم بعض أمواله أو تهريبها، أو ببيع بعض أمواله أو إتلافها أو تعيبها.

فإذا ما أقدم المديون على الأعمال المشار إليها أعلاه بقصد إلحاق الضرر بالدائنين، فيعاقب المديون مرتكب هذه الأفعال بالحبس مع الشغل من شهر إلى ستة أشهر وبغرامة من خمسين ألف إلى ستمئة ألف ليرة لبنانيّة. وعلى هذا الأساس أخذت محكمة التمييز، الغرفة السابعة الجزائيّة، بعين الاعتبار الأحكام المشار إليها أعلاه وطبّقتها على أفعال مديونين من آل الحصّ لجأوا إلى التلاعب بأرقام الميزانيّة للتهرب من إظهار الحقيقة وبيان قيمة الدين المتوجّب عليهم دفعه. ثمّ عمدوا إلى تهريب أربع سيّارات شحن إلى الكويت بعد أن كانوا قد باعوها إلى دائنهم من آل العرب، وذلك لمنع المصرف الدائنين من الحصول على أمواله.

وتطبيقًا لما ورد أعلاه، فإنّنا نثبت ما جاء في قرار شهير صدر عن محكمة التمييز اللبنانيّة، الغرفة السابعة الجزائيّة، والذي كان لكتاب هذه الأسطر شرف الاشتراك فيه.

يبدأ هذا القرار بتبيان ما ورد في قرار المنفرد الجزائيّ في بعيدا وما جاء في قرار محكمة استئناف الجنج في جبل لبنان بنتيجة الاستئنافين المقدّمين والدفع الشكليّة المثارة من قبل المديونين لإيقاف الدعوى. ثمّ نعرض لقبول الاستئنافين في الشكل. وفي الأساس نتطرّق إلى الوقائع والأدلة وإلى الناحية القانونيّة حيث يصار إلى إعطاء الوصف القانونيّ للوقائع، لنخلص إلى الحكم على المديونين.



«ظافر» سنة ١٨٨٧، إلا أنها ماتت صبيّة فلم تعش معه أكثر من مئة يوم- كما تقول المصادر.

صحيح أنّ خليل الخوري عاش حياة حافلة غنيّة سخيّة معطاء، وصحيح أنّه لم ينجب بسبب المأساة التي حلّت بعروسه، لكنّ ابن الشويفات أعطى تاريخ لبنان وصحافته وتاريخ الصحافة العربيّة كذلك الابنة الأولى. خليل الخوري هو فعلاً من الأوائل الذين شقّوا الطريق ليسير عليها الكثيرون في وقت لاحق من تاريخ هذا الوطن الصغير- الكبير: لبنان.

مئة عام مرّت على غياب هذا الرجل، وها هي السنة السابعة من القران الواحد والعشرين تعيده إلى البال، تعيده من ذاكرة الكتب والتاريخ، تعيده إلى هذا الجيل وإلى قرّاء هذه المجلّة، فنذكر جميعنا بأنّ لبنان يزخر بالأسماء اللامعة والأسماء المجيدة التي حضرت لها مكاناً كبيراً في التاريخ، ونتذكّر كلما قرأنا جريدة لبنانيّة بأنّ الصفحة الأولى من تاريخ هذه الجرائد بدأت قبل حوالي مئة وخمسين عاماً وحملت اسم خليل الخوري إلى جانب اسم «حديقته» الغراء، التي صدر منها ٢٩٧٣ عدداً.

(يجدر بالذكر أنّ نقيب الصحافة السابق روبير أبلال كان قد وضع ترتيبات إقامة يوبيل مئويّ للصحيفة عام ١٩٥٨، تشارك فيه وفود رسميّة وصحافيّة من العالم العربيّ، لكنّ أحداث ذلك العام الدامية حالت دون تحقيقه).

من آثاره الأدبيّة

١- النعمان وحظلة، وهي رواية تمثيليّة.

٢- وَيْ إِذَنْ لَسْتُ بِإِفْرَنْجِيّ، وهو كتاب أخلاقيّ وضعه على أسلوب القصّة، وضمّنه

انتقاداً دقيقاً للأخلاق والعادات مع ملاحظات لطيفة على المتنبّيّ والفونس دي لامرتين.

٣- خرابات سوريا، خطاب ألقاه في ١٥ آذار ١٨٥٩ في الجمعيّة العلميّة ببيروت.

٤- تاريخ مصر، وضعه بإيعاز من سعيد باشا خديوي مصر، وهو غير مطبوع؛ أمّمه سنة ١٨٦٤ وقدمه للخديو اسماعيل، الذي أجازّه عليه بألفي جنيه.

٥- النشائد الفؤاديّة، ويتضمّن ترجمة الصدر الأعظم فؤاد باشا مع القصائد التي نظمها له.

٦- تكلمة العبر، عرّبه عن كتاب تاريخيّ وضعه في اللّغة التركيّة صبحي باشا والي سوريا سابقاً. وهو تتمّة لتاريخ ابن خلدون، ويتضمّن اقتسام قوّاد الاسكندر الكبير ممالكه بعد وفاته.

٧- الدولة العثمانيّة في الماضي والحال والاستقبال، وهو خطاب فرنسيّ لمدحت باشا نقله صاحب الترجمة إلى اللّغة العربيّة.

٨- الدستور، وقد تولّى بموجب إرادة سلطانيّة، إدارة ترجمته من التركيّة إلى العربيّة بقلم نوفل بن نعمة الله نوفل الطرابلسيّ.

٩- الكواكب العثمانيّة في تاريخ الدولة العليّة، تاريخ شعريّ منقطع النظير يتضمّن منشأ سلاطين آل عثمان وعلوّ شأن دولتهم.

وقد انتهت به إلى أواخر عهد السلطان محمود الثاني، وهو من بحر واحد وقافية واحدة وفيه ما يزيد على ٣١٠٠ بيت.

١٠- مقتطف تاريخيّ من كتاب روضة الأوائل والأواخر لابن الشحنة.

المصادر

- جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، الجزء الثاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- فيليب حتّي، تاريخ لبنان
- الكونت فيليب دي طرزي، تاريخ الصحافة اللبنانيّة، ٤ أجزاء، المطبعة الأدبيّة، ١٩١٣، بيروت.
- أديب مروّة، الصحافة اللبنانيّة، نشأتها وتطوّرها، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦١، بيروت، لبنان.
- ليلى حمدون، الصحافة اللبنانيّة منذ نشأتها حتّى الحرب العالميّة الأولى.

http://www.wlsohof.com/tawareekh

00000.html.



حديقة الأخبار: بيروت - العدد ١٢١٧، ٢٢ كانون الأوّل ١٨٨١

تهريب الأموال من وجه الدائنين، وتنطبق على نص المادة ٢١٩/٦٩٩ عقوبات وإدانتهم بهذا الجرم،

٣- تعديل الحكم المستأنف لجهة العقوبة المقضي بها على المستأنفين ماجد وطريف الحصّ، وذلك بإبدال عقوبة الحبس المقضي بها عليهما بالغرامة وعدم الحكم بوقف التنفيذ المشروط وفقاً لما ورد في الفقرة الحكمية للحكم المستأنف،

٤- تصديق الحكم المستأنف لجهة العقوبة المقضي بها على شركة الحصّ للهندسة والتجارة،

٥- ردّ الإستئناف المقدم من المدعى عليه إبراهيم عبد القادر العرب وتصديق الحكم المستأنف لجهة ما قضى به بحقه من إدانة وعقوبة والتزامات مدنيّة،

٦- تعديل الحكم المستأنف لجهة الإلزامات المدنيّة المحكوم بها على المستأنفين ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة وإلزام هؤلاء بدفع مبلغ مليون وأربعمائة وخمسين ألف دولار أميركيّ كردّ وبدل عطل وضرر /١,٤٥٠,٠٠٠/ دولار أميركي للمدعي المستأنف عليه بنك لبنان والخليج،

٧- ردّ سائر الأسباب والمطالب الزائدة أو المخالفة،

٨- تدريك المستأنفين العرب والحصّ الرسوم والنفقات القانونيّة مناصفة،

وتبيّن أنّ كلاً من النيابة العامّة التمييزيّة وماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ تقدّموا بطليّ نقض بوجه الحقّ العام وبنك لبنان والخليج طعنًا بالحكم الإستئنافيّ المشار إليه أعلاه والصادر بتاريخ ٢٠٠٣/٥/١٥، فقرّرت هذه المحكمة بتاريخ ٢٠٠٥/١/١١ قبول طليّ النقض في الشكل وقبولهما في الأساس ونقض القرار المطعون فيه ورؤية الدعوى مجدّداً وإعادة التأمين التمييزيّ إلى طالب النقض،

وبنتيجة المحاكمة العلنيّة والوجاهيّة،

تبيّن أنّه بعد تلاوة سائر الأوراق والمحاضر والمستندات وبعد وضعها موضع المناقشة العلنيّة، قدّم الأستاذ خلف مذكرة بدفع شكليّ، وأبلغ صورة عنها من الأستاذين قوّلي وحماده وممثلة النيابة العامّة، وطلب الأستاذ حماده ردّ الدفع الشكليّ برمته لعدم صحّته واستطراداً ضمّه للأساس، وطلب الأستاذ قوّلي ردّ الدفع الشكليّ واستطراداً ضمّه للأساس، وطلبت النيابة العامّة الإستمهال لتقديم جواب على الدفع الشكليّ،

وتبيّن أنّ النيابة العامّة التمييزيّة تقدّمت بمطالبة بالنسبة للدفع الشكليّ وذلك بتاريخ ٢٠٠٥/٤/٤ أبدت فيها موقفاً بعدم قبول الدفع بسبق الإدعاء المقدم من الجهة المميّزة ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة لتوفّر قوّة القضيّة المحكمة للقرار الصادر عن هذه المحكمة بتاريخ ٢٠٠٥/١/١١ الذي قضى برّد الدفع المذكور المدلى به أمامها من قبل طالبي التمييز المذكورين ومن قبل النيابة العامّة التمييزيّة،

وتبيّن أنّه بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٨ صدر عن هذه المحكمة بهيئتها السابقة قرار قضى بما يلي:

١- ردّ الدفع بسبق الإدعاء لعدم قانونيّته ولعدم صحّته،

٢- إعادة فتح المحاكمة ووضع ملفّ القضيّة على جدول المرافعات ورؤية الدعوى مجدّداً ومتابعتها من النقطة التي وصلت إليها،

وتبيّن أنّ الأستاذ خلف تقدّم بمذكرة إسترداد قرار المحكمة بشأن الدفوع ووضعت قيد المناقشة العلنيّة وأبلغ الأستاذان عبدالله وحماده نسخة منها، كما أبلغت النيابة العامّة أيضاً نسخة عن هذه المذكرة وطلب الأستاذ حماده ردّ الطلب وكذلك طلبت الأستاذة عبدالله، وقدرت المحكمة ردّ الطلب لعدم قانونيّته،

وتبيّن أنّ الأستاذ خلف طلب إستئجار النظر بملفّ النقض لوجود دعوى تزوير بالموضوع نفسه

أمام مرجع آخر، وطلب الأستاذان حماده وعبدالله ردّ طلب الإستئجار وإلّا ضمّه للأساس، وتبيّن أنّ هذه المحكمة قرّرت بتاريخ ٢٠٠٦/١/١٩ ردّ طلب إستئجار النظر في هذه الدعوى لعدم قانونيّته،

وبتاريخ ٢٠٠٦/١/٢٦ وبعد تنحيّ رئيس هذه الهيئة وتكليف

المستشار مطر برئاسة المحكمة،

إنعقدت الجلسة الختاميّة، وترافع:

الأستاذ حماده عن بنك لبنان

والخليج مكرّراً أقواله وطالباً

تصديق الحكم المميّز، ولجهة

الدفوع الشكليّة كرّر أقواله السابقة

وطلب ممثّل النيابة العامّة تطبيق

أحكام القانون،

وترافع الأستاذ خلف موضعاً أنّ

الدعوى مردودة شكلاً لسبق الإدعاء

كما أشار بأنّه تقدّم بطلب إستئجار

النظر في هذه الدعوى ريثما تنتهي

دعوى التزوير، وفي الأساس إعتبر

أنّ عناصر جرم المادة ٢١٩/٦٩٩

غير متوفّرة بحقّ موكله وطلب

إعلان براءتهم للشكّ ولعدم كفاية

الدليل، وتقدّم بمذكرة بمثابة دفاع

شفويّ أبلغ الأستاذين الحاضرين

حماده ونصر نسخة عنها، وكرّرت

الأستاذة نصر طالبة تصديق الحكم

المستأنف، وتقرّر ختام المحاكمة،

وبعد تنحيّ المستشار منيف حنّا،

إنّشدب القاضي إلياس الخوري

لإكمال هيئة المحكمة، وعقدت جلسة

ختاميّة ترافع فيها الفرقاء مكرّرين

أقوالهم السابقة.

وبعد أن حلّت هذه المحكمة

التمييزيّة محلّ محكمة الإستئناف

نتيجة قبول الطعن في الشكل

والأساس ونقض القرار الإستئنافي

المطعون فيه ورؤية الدعوى مجدّداً،

فإنّه يتعيّن التحقّق من مدى قبول

إستئناف المدعى عليهم وذلك في

الشكل والأساس على النحو التالي:

□ | هامش

رقم الأساس:
٢٠٠٦/٢٣٢

□ | رقم القرار:

□ | طالبو النقض:

ماجد وطريف الحصّ،
وشركة الحصّ للهندسة
والنيابة العامة التمييزيّة
/
الحقّ العامّ
وإبراهيم العرب
وبنك لبنان والخليج
وماجد وطريف الحصّ
وشركة الحصّ للهندسة
والتجارة ش.م.م.

□ | قرار تمييزي

باسم الشعب اللبناني،
إنّ محكمة التمييز، الغرفة السابعة الجزائيّة المؤلّفة من القضاة فايز مطر رئيسًا بالتكليف
والمستشارين وائل مرتضى والياس الخوري،
وبصفتها حالة محلّ محكمة إستئناف الجنّح في جبل لبنان بعد النقض،
بعد الاطلاع على كافة أوراق هذه الدعوى،
ولدى التدقيق والمذاكرة،

تبين أنّ القاضي المنفرد الجزائيّ في بعيدا أصدر بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٣ حكمًا بمثابة الوجهيّ
قضى بما يلي:

- ١- برّد الدفوع الشكلية وفقًا لما هو وارد في متن هذا الحكم،
- ٢- بإدانة المدعى عليه إبراهيم العرب سنديًا للمادة ٦٦٦/ عقوبات وبحبسه ستة أشهر وتغريمه
مليون ليرة لبنانية وتخفيفها والاكتفاء بالغرامة على أن يحبس يوميًا واحدًا عن كلّ عشرة
آلاف في حال عدم الدفع وإلزامه بدفع مبلغ أربعماية وستة آلاف دولار أميركي للمصرف
المدعى،
- ٣- بإدانة المدعى عليهم شركة الحصّ للهندسة والتجارة وماجد طريف الحصّ سنديًا للمادة
٦٩٩/ عقوبات وبحبس كلّ من ماجد وطريف الحصّ ثلاثة أشهر وتغريم كلّ من المدعى
عليهم شركة الحصّ وماجد وطريف الحصّ مليون ليرة على أن يحبس طريف وماجد يوميًا
عن كلّ عشرة آلاف ليرة لبنانية في حال عدم الدفع وإلزام المدعى عليهم الشركة وطريف
وماجد الحصّ بدفع مبلغ مليون وستماية ألف دولار أميركي للمصرف المدعى على أن يتمّ
وقف عقوبة الحبس بحقّ ماجد وطريف الحصّ في حال تنفيذ موجبات الحقوق الشخصية
بمهلة شهر من إنبرام الحكم،
- ٤- بإعلان براءة المدعى عليهم جميعًا سنديًا للمادة ٦٥٥/ عقوبات،
- ٥- بإعلان براءة المدعى عليها شركة سوليترانس سنديًا للمواد ٦٦٦/ و٦٥٥/ و٦٩٩/ عقوبات
لعدم كفاية الدليل،
- ٦- بتدريك المدعى عليهم الرسوم والنفقات،
وتبين بموجب إستئناف مقدّم من المدعى عليه إبراهيم عبد القادر العرب بوجه المدعى بنك
لبنان والخليج والمدعى عليهم شركة سوليترانس وماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ
للهندسة والتجارة أدلى بمطالبه في الشكل والأساس،

وتبين أنّ المدعى عليهم ماجد الحصّ وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م.
إستأنفوا أيضًا القرار الابتدائيّ هذا بوجه بنك لبنان والخليج والحقّ العام وتقدّموا بمطالب في
الشكل والأساس،
وتبين أنّ محكمة إستئناف الجنّح في جبل لبنان قرّرت بتاريخ ٢٠٠٣/٥/١٥ ما يلي:

أ- قبول الاستئناف من المدعى عليه إبراهيم العرب ومن المدعى عليهم ماجد وطريف الحصّ
وشركة الحصّ للهندسة والتجارة شكلاً،

ب- وفي الأساس:

- ١- ردّ الدفع المدلى به من المستأنفين ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة
والتجارة والمتعلّق بسبق الإدعاء وتصديق الحكم المستأنف لهذه النتيجة التي توصل إليها
لهذه الناحية،
- ٢- تعديل الحكم المستأنف لجهة الوصف القانوني المعطى لأفعال المدعى عليهم المستأنفين
ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة واعتبارها من قبيل التدخل في جرم

الكشف الموقع منها والذي قدّمه إبراهيم العرب معتبراً أنّ هذا الكشف هو جزئيّ للحساب الدائن، وأضافت شركة الحصّ بأنّ هناك كشفًا آخر للحساب المدين يتعدّى بقيمته الحساب الدائن ومؤكّدة على أنّه لا يترتب لشركة سوليترانس أو لإبراهيم العرب أيّة مبالغ بذمتها،

وتبيّن أنّ شركة سوليترانس، بشخص إبراهيم العرب، ردّت على الكتاب الموجّه إليها من المصرف المدّعي بموجب كتاب مؤرّخ في ١٩٩٩/١/٣٠، أكّدت فيه عدم صحّة مزاعم شركة الحصّ ومصرّحة بأنّ هذه الأخيرة ترمي إلى التنصّل من تسديد ما هو متوجّب بذمتها لصالحها وموضحة بأنّه سبق لها أن تقدّمت بشكوى جزائيّة بخصوص سرقة الشاحنات المرهونة لصالح المصرف والتي هُرّبت من الأراضي اللبنانيّة، وتبيّن أنّ المستأنفين ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ هذه قاموا بتهريب أربع شاحنات يملكها العرب ومرهونة لأمر المصرف المدّعي إلى الكويت، بعد أن استعملوا أوراقها القديمة حيث كانت مسجّلة على إسم شركة الحصّ وقيل نقلها على اسم شركة سوليترانس، علماً أنّ المصرف كان يحتفظ بأوراق الشاحنات الثبوتية والمذكور فيها بأنّها مرهونة لأمره، وهذه الشاحنات الأربع تحمل اللوحات ذات الأرقام: /١٠٣٤٤٣/ و/٩٠٢٣٣٧/ و/٩٠٨٥٨/ و/١٩٣٤٣٤٤/ وهي شاحنات عموميّة من نوع وستون ستار وكانت قبل تهريبها إلى الكويت تعمل لدى شركة الحصّ في مشروع ردم البحر، وكان إبراهيم العرب قد اشتراها من شركة الحصّ بموجب عقود بيع ونقل ملكيتها على إسم شركة سوليترانس بعد استحصاله على بدل عن ضائع عن أوراقها الثبوتية،

وتبيّن أنّ المستأنفين شركة الحصّ وماجد وطريف الحصّ قاموا وبمساعدة من الشاهد أحمد محمود خليفه الذي كان يقوم بتنظيم حسابات شركة الحصّ بإصدار كشف حساب ثانٍ يبيّن منه بأنّ إبراهيم العرب مدين للشركة هذه وذلك عن طريق التلاعب في حسابات هذا الأخير وشركة سوليترانس العائدة له، وذلك بإضافة نفقات جديدة وحذف نفقات أخرى بحيث يصبح كشف الحساب العائد لهما مديناً لدى الشركة، وقد أكّد الشاهد هذا في استجوابه في المحاكمة البدائيّة على هذا الأمر موضّحاً الطريقة التي استعملها لإصدار هذا الكشف،

٤- تأيّدت هذه الوقائع بالأدلة التالية:

١- بالإدعاء الشخصي،

٢- بأقوال ماجد وطريف الحصّ وإبراهيم العرب أمام القاضي المنفرد الجزائي في بعيدا،

٣- بأقوال الشاهد أحمد محمود خليفه،

٤- بالمستندات المبرزة،

٥- بمحضر المحاكمة أمام هذه المحكمة،

٦- بكافة أوراق هذه الدعوى.

٥- في القانون وتقدير الأدلة

حيث أنّ المحكمة تلاحظ أنّ النيابة العامة التمييزية تقدّمت بطلب نقض بوجه كلّ من بنك لبنان والخليج وطريف وماجد الحصّ وشركة الحصّ وشركة سوليترانس، وإبراهيم العرب، وحيث أنّه من غير الجائز قانوناً تقديم طلب النقض بوجه المدّعي الشخصي بنك لبنان والخليج إذ أنّه يتوجّب أن يقدّم طلب النقض بوجه المدّعي عليهم، وحيث أنّ المحكمة تلاحظ أيضاً أنّ النيابة العامة التمييزية طلبت بصورة إستطراذية، وفي حال ردّ الدفع بسبق الإدعاء الحكم، بفسخ الحكم الابتدائيّ جزئياً لجهة الإسناد الموجّه إلى الظنين إبراهيم العرب وإدائه إلى جانب إقدامه على سحب شيكات من دون رصيد بجرم تهريب الاموال إضراراً بال دائنين المنصوص عليه في المادة /٦٩٩/ عقوبات وتصديقه لباقي جهاته، هذا من جهة،

وحيث أنّه ومن جهة أخرى، أنّ البنك المدّعي لم يستأنف القرار الابتدائيّ لا بوجه ماجد وطريف

الحصّ أو شركة الحصّ ولا بوجه إبراهيم العرب وشركة سوليترانس ولم يميّز القرار الإستئنافيّ بوجه هؤلاء ممّا يعني أنّه لا يسوغ له أن يطالب بأيّة تعويضات والتزامات، لا إستئنافاً ولا تمييزاً بوجه من ذكّر أعلاه، غير تلك المحكوم له بها بداية،

وحيث أنّ المستأنفين ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ وإبراهيم العرب يستفيدون ممّا جاء في الحكم الابتدائيّ لجهة الدعوى العامة والدعوى الشخصية لعدم إستئناف النيابة العامة الإستئنافيّة للحكم البدائيّ ضمن المهلة المحدّدة ولعدم إستئناف أو تمييز الشقّ المتعلّق بالتعويضات من قبل المدّعي

الشخصي بنك لبنان والخليج، بخاصة أنّه إذا كان للنيابة العامة التمييزية عملاً بأحكام المادة /٢١١/ أ.م.ج. أن تطلب خطياً من النيابة العامة الإستئنافيّة إستئناف حكم بدائيّ قضى ببراءة المدّعي عليه أو بإبطال التعقبات في حقّه أو بإسقاط دعوى الحقّ العام عنه أو بإعلان عدم إختصاص المحكمة النظر في الدعوى، فإنّ ممارسة هذا الحق يجب أن يتمّ خلال المهلة المعطاة للنيابة العامة والمبنيّة في المادة /٢١٤/ أ.م.ج. بحيث يستأنف النائب العام الإستئنافي الحكم الابتدائيّ خلال مهلة شهر من تاريخ صدوره، وإنّ القول خلاف ذلك لا يستقيم قانوناً،

وحيث أنّ الحكم الابتدائيّ صدر في ٢٠٠٢/٢/٢٣، فلا يجوز الطعن به خارج المهلة المبنيّة أعلاه لا من قبل النيابة العامة الإستئنافيّة ولا من قبل النيابة العامة التمييزية بعد إنقضاء هذه المهلة سيّما وأنّ الأخيرة تقدّمت بطلب نقضها في ٢٠٠٢/٧/٩ ممّا يؤدّي الى عدم جواز

٣- في الوقائع

حيث أنه بالرجوع إلى كافة أوراق هذه الدعوى وإلى المستندات المبرزة فيها، فقد ثبت لهذه المحكمة واقنعت به أن المستأنف إبراهيم عبد القادر العرب إستدان من المدعو محمد شومان وهو صراف مبالغ ماليّة بلغت ثلاثة ملايين وخمسمائة وخمسين ألف دولار أميركي، وبالمقابل سحب إبراهيم العرب تسعة وأربعين شيئاً لأمر دائنه شومان بالقيمة المبيّنة أعلاه: ٤٤ شيئاً قيمة كل منها خمسة وسبعون ألف دولار أميركي، وأن الشيكات الخمسة الباقية قيمة كل منها خمسون ألف دولار أميركي، وجميع هذه الشيكات مسحوبة على بنك المدينة فرع بئر العبد وهي مستحقة الدفع خلال الشهر العاشر من العام ١٩٩٨،

وتبيّن أن المسحوب لأمره محمد شومان ظهر هذه الشيكات بعد أن قبض قيمتها من المستأنف عليه المدعي بنك لبنان والخليج الذي أرسلها للتحويل، فأعيدت لمراجعة الساحب لعدم توقّر المؤونة لها، وقام المصرف المدعي بإعلام إبراهيم العرب بنيّته الرامية إلى تقديم شكوى عليه، فسارع هذا الأخير إلى إجراء مفاوضات مع المصرف توصلت بنتيجتها إلى تقديم ضمانات لهذا الأخير تكفل تسديد المبالغ المبيّنة أعلاه، ومن هذه الضمانات التنازل عن المبالغ الماليّة المترتبة له بدمّة شركة الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م. عن الأموال الناتجة عن العقد الثانويّ المجرى معها في تنفيذ بعض الإلتزامات،

وتبيّن أن المستأنفة شركة الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م. كانت قد تعاقدت بشخص المفوضين بالتوقيع عنها وهما المستأنفان ماجد وطريف الحصّ مع شركة المحاصة «هوكيتيف سي سي سي» لتنفيذ أشغال ردم المدرج الغربي لمطار بيروت الدولي، وبدورها قامت شركة الحصّ هذه بالتعاقد مع شركة سوليترانس التي يديرها إبراهيم العرب بموجب إتفاقيّة فرعيّة تاريخ ١٩٩٦/١/١٢ بموضوع نقل ردميّات لزوم تنفيذ العقد الأساسي،

وتبيّن أن المستأنف إبراهيم العرب قد أبرز للمصرف المدعي كشف حساب دائن صادر عن شركة الحصّ هذه وموقع من ماجد وطريف الحصّ ومؤرخ في ١٩٩٨/١٢/٨ يفيد بأنه يتوجّب لشركة سوليترانس التي يملكها العرب بدمّة شركة الحصّ مبلغ قدره ثمانماية وخمسون ألف دولار أميركي. وقد قام إبراهيم العرب بالتنازل عن الحقوق الناشئة له عن إتفاقيّة التلزم الفرعيّة للمصرف المدعي بموجب عقد تفرّع وقّع بينهما بتاريخ ١٩٩٨/١١/٢، وقد صادق عليه الكاتب العدل في بيروت، كما قام المستأنف إبراهيم العرب برهن /١٢/ شاحنة كميون كانت تعمل لمصلحة شركة الحصّ في نقل الردميّات وتنازل عن ريعها الى المصرف المدعي ضمانته لتسديد المبلغ المشار اليه أعلاه. فضلاً عن ذلك، قامت شركة سوليترانس بتنظيم سندات دين بقيمة /٢٠٠,٠٠٦,٢/ دولار أميركي وقّعها إبراهيم العرب لصالح المصرف وبالمقابل تمّ تسليمه أصل الشيكات المرتجعة،

وتبيّن أنه بتاريخ ١٩٩٨/١٢/١٠، قام المصرف المدعي بإبلاغ شركة الحصّ عن تنازل إبراهيم العرب له عن مستحقّاته لديها، وقد تبّلغ طريف الحصّ بصفته أحد مديري هذه الشركة هذا الكتاب شخصياً بالتاريخ ذاته، ثمّ عاد المصرف المدعي ووجّه إنذاراً آخر بتاريخ ١٩٩٩/١/١٣ الى شركة الحصّ بوجوب تسديد قيمة الكشف المتنازل عنه لصالحه، وقد تبّلغته شركة الحصّ بالتاريخ المذكور أنفاً، كما قام المصرف المدعي بإنذار شركة سوليترانس بشخص مديرها إبراهيم العرب بتاريخ ١٩٩٩/١/٢٨ بوجوب تسديد المبالغ المتوجّبة له بدمّته، وقد تبّلغ العرب هذا الإنذار بالتاريخ المذكور،

وتبيّن أن شركة الحصّ وجّهت بتاريخ ١٩٩٩/٢/١ كتاباً إلى المصرف المدعي تنكر فيه صحّة

أولاً: في الشكل

حيث أن الحكم البدائي صدر بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٣ بمثابة الوجاهي وقد تبّلغ ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة خلاصة هذا الحكم في ٢٠٠٢/٢/١٩ وورد إستئنافهم بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٤، فيكون وارداً ضمن المهلة القانونيّة وهو مستوفٍ لسائر شروطه الشكلية ومقبولاً في الشكل، وحيث أنه ولجّه الإستئناف المقدم من المدعي عليه إبراهيم العرب، فقد ورد في ٢٠٠٢/٢/٢٨ فيكون وارداً ضمن المهلة القانونيّة ومستوفياً لشروطه كافة ومقبولاً في الشكل.

ثانياً: في الأساس

١- في الدفع المقدم من وكيل آل الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م. والمتعلّق بسبق الإدعاء، حيث أنه سبق لهذه المحكمة أن أجابت على هذا الدفع بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٨ ويقتضي منعاً للتكرار الإحالة الى قرارها هذا، حيث جرى ردّ الدفع بسبق الإدعاء لعدم قانونيّة وصحّته،

٢- ولجّه الطلب المقدم من ماجد الحصّ وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م.، والرامي الى إستئخار النظر في الدعوى الحاضرة لحين صدور قرار مبرم بشكوى التزوير العالقة لدى قاضي التحقيق في بيروت برقم ٢٠٠١/١٨٨، فإنه سبق لهذه المحكمة العليا أن أجابت على هذا الطلب بقرارها الصادر بتاريخ ٢٠٠٦/١/١٩ حيث ردّت طلب الإستئخار لعدم قانونيّة ويقتضي منعاً للتكرار الأصالة الى هذا القرار، وحيث أن المحكمة ترى التأكيد على هذين القرارين واعتبارهما جزءاً لا يتجزأ من هذا القرار،

الخاتمة

وصفوة الكلام أنه ثبت لمحكمة التمييز، وهي المحكمة العليا، بالوقائع والأدلة التي وفّرت لها قناعة راسخة لديها، إقدام المستأنفين ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م. على تهريب أربع شاحنات إلى الكويت من وجه المدّعي الدائن كانت مرهونة لأمره وإقدامهم أيضًا على إصدار كشف حساب مدين يتعلّق بحساب شركة يوليترانس الجارية على ملكيّة المستأنف ابراهيم العرب، مع علمهم بأنّ هذا الأخير دائن لهم بمبلغ /٨٥٠/ ألف دولار أميركيّ، وذلك ليحولوا دون تنفيذ المصرف المدّعي وتمكينًا له من تحصيل الديون المتوجّبة له بذمّة ابراهيم العرب وشركة سوليترانس. وهكذا يتبيّن أنّ إطار المادّة /٦٩٩/ عقوبات التي ترعى مسألة تهريب الأموال من قبل المدينين بقصد إلحاق الضرر بالدائنين يفترض وجود دائن ومديون، وأنّ يلجأ هذا الأخير إلى إنقاص أمواله بأيّ شكل كان، ولاسيّما: بتوقيع سندات وهميّة، أو بالإقرار كليًا بوجود موجب أو بإيفائه كلّ أو بعضه أو بكتّم بعض أمواله وتهريبها أو بيع بعض أملاكه، أو إتلافها أو تعيبها. فجميع هذه الحالات تقع تحت طائلة المادّة /٦٩٩/ عقوبات. ويبقى أن نتساءل حول الضمانات المعطاة للدائنين لتحصيل ديونهم؛ فإذا لم يكن لدى المديون الأخلاق والضمير الرادع لحمله على إيفاء ديونه، فما للدائن سوى اللجوء إلى الرهن أو الحجز أو استعمال وسائل إكراهيّة كالحبس سنديًا للمادّة /٦٩٩/ عقوبات لمنع المديون من إلحاق الضرر به.

ليرة لبنانيّة، والإبقاء على ما قضى به الحكم الابتدائيّ بحقّ كلّ من ماجد وطريف الحصّ مع تصحيح قيمة الغرامة بحيث تصبح ستمائة ألف ليرة لبنانيّة وتصديق الحكم الابتدائيّ لهذه الجّهة، وحيث أنّه ومن جهة يقتضي إلزام المستدعين شركة الحصّ للهندسة والتجارة، وماجد وطريف الحصّ بأن يدفعوا للمصرف المدّعي بنك لبنان والخليج المستدعي بوجهه قيمة المبالغ التي تترتّب بذمتهم لصالح المستأنف ابراهيم العرب وشركة سوليترانس وقدرها /٨٥٠/ ألف دولار أميركيّ، ثمانمائة وخمسون ألف دولار أميركيّ، والتي تنازل عنها للمدّعي بالإضافة الى قيمة الشاحنات المهزّبة خارج الأراضي اللبنانيّة والمقدّرة بمبلغ أربعماية ألف دولار أميركيّ، إضافة إلى عطل وضرر تقدّره هذه المحكمة بما لها من سلطان في التقدير بمبلغ قدره مئتا ألف دولار أميركي، وإلزام المدّعي عليهم ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م. بدفع هذه المبالغ وقدرها مليون وأربعماية وخمسون ألف دولار أميركيّ إلى البنك المدّعي، وحيث أنّه بعد النتيجة التي توصلت إليها المحكمة أعلاه إن لجّهة الدعوى العامة وإن لجّهة الدعوى الشخصية، فيقتضي تصديق الحكم المستأنف لأنّه جاء في موقعه القانوني مع تعديله، جزئيًا، لجهة الغرامة المقضي بها بوجه ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة، ولجهة الدعوى الشخصية، وردّ كلّ ما زاد أو خالف،

لذلك،

وعطفًا على قرار هذه المحكمة القاضي بقبول طلب النقض في الشكل والأساس ونقض القرار الإستئنافي المطعون فيه،

وعطفًا على قراراتها الصادرين في ٢٠٠٥/٨/١٨ و ٢٠٠٦/١/١٩، وبعد حلول هذه المحكمة محلّ محكمة إستئناف الجنّح في جبل لبنان بمفعول النقض ولزوم تحققها من مدى إستيفاء الإستئناف لشروطه،

وبعد الإستماع الى مطالعة النيابة العامّة،

تقرّر ما يلي:

أولاً: في الشكل: قبول الإستئناف المقدمّ من ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م. والإستئناف المقدمّ من ابراهيم العرب.

ثانياً: في الأساس:

أ- التأكيد على قراريّ هذه المحكمة الصادرين في ٢٠٠٥/٨/١٨ و ٢٠٠٦/١/١٩،

ب- تصديق الحكم المستأنف لجّهة ما قضى به بوجه ابراهيم العرب، وبوجه شركة الحصّ للهندسة والتجارة وماجد وطريف الحصّ بجرم المادّة /٦٩٩/ عقوبات وتعديله لجهة عقوبة الحبس المقضيّ بها بوجه ماجد وطريف الحصّ بإبدال عقوبة الحبس بغرامة قدرها ستمائة ألف ليرة لبنانيّة لكلّ منهما، يحبس عنها كلّ منهما يوماً واحداً عن كلّ عشرة آلاف ليرة لبنانيّة في حال عدم الدفع، وتعديله أيضًا لجّهة الغرامة المقضي بها بوجه شركة الحصّ هذه بحيث تصبح ستمائة ألف ليرة لبنانيّة، وإلزام كلّ من ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م. بدفع مبلغ مليون وأربعماية وخمسين ألف دولار أميركيّ للبنك المدّعي،

ج- ردّ سائر الأسباب الزائدة والمخالفة،

د- تضمين المستأنفين الرسوم والمصاريف القانونيّة قرارًا صدر وأفهم علنًا بحضور ممثّل النيابة العامة بتاريخ.....

المستشار مرتضى

المستشار الخوري

الكاتب

الرئيس مطر

الطعن بما ورد في الحكم الابتدائي لجهة الدعوى العامة من قبل النيابة العامة،

وحيث بالعودة إلى ما جاء في الإستئناف المقدم من ماجد

وطريف الحصّ وشركة الحصّ بخاصة إدلائهم المتعلق بعدم

قانونية التفرغ الذي أجرته شركة سوليترانس وإبراهيم العرب لبنك لبنان والخليج لكونه مخالفاً

للإتفاقية الموقعة بينهم والتي تنصّ وفقاً لأقوال آل الحصّ وشركة

الحصّ على عدم جواز التفرغ عن منافع العقد أو إشغال العقد للغير

بدون موافقة مسبقة من المتعهد، وحيث بالعودة إلى هذه الإتفاقية

التي تعاقدت بموجبها شركة سوليترانس وإبراهيم العرب مع

شركة الحصّ، يتبيّن بأنها تنصّ في الفقرة ٣ ص ٤ على أنه يتوجب على

المقاول ألا يتنازل عن كلّ أو أيّ جزء من منافع العقد الثانوي وألا يتعاقد

عن كلّ أو أيّ جزء من إشغال العقد الثانوي من غير موافقة مسبقة

خطية من المتعهد،

وحيث أنه بالعودة إلى عقد التفرغ المنظم بين شركة سوليترانس

بشخص مديرها العام إبراهيم العرب وبنك لبنان والخليج بتاريخ

١٩٩٨/١١/٢، يتبيّن بأن هذه الشركة تفرّغ للمصرف المدعي

بنك لبنان والخليج عن كافة «الحقوق الناشئة لها عن إتفاقية

التلزم الفرعية...» ويُقصد بهذه العبارة المبالغ المالية المترتبة لها

مع شركة الحصّ للهندسة والتجارة والناشئة عن إتفاقية التلزم

الفرعية،

وحيث أنّ التفرغ هذا هو تفرغ عن دين متوجّب لشركة سوليترانس

بذمة شركة الحصّ، وإنّ المقصود بعبارة «بمنافع العقد الثانوي» الواردة

في الإتفاقية الفرعية هو مفاعيل هذا العقد أيّ الأعمال التي يتوجب على شركة سوليترانس القيام بها بموجب الإتفاقية والتي يمنع عليها التنازل عنها للغير ولا يقصد بها الحقوق التي تترتب للمتعاقد معها بنتيجة إجراء هذه الأعمال والتي تصبح حقاً مكتسباً له يستطيع أن يتصرّف بها تصرّف المالك بملكه،

وحيث أنّ ما يؤيد هذا التفسير هو ما جاء في المادة /٢٨٠/ من قانون الموجبات والعقود تحت عنوان إنتقال دين الدائن من أنه «يجوز للدائن أن يتفرغ لشخص آخر عن دين له إلا إذا كان هذا التفرغ ممنوعاً بمقتضى القانون أو بمقتضى مشيئة المتعاقدين أو لكون الموجب شخصياً محضاً وموضوعاً بين شخصين معيّنين على وجه لا يقبل التغيير»،

وحيث أنّ الحقوق التي لا يجوز التفرغ عنها هي تلك الوارد عنها نص في القانون يحرم حجزها أو حجز جزء منها، كالجزء الذي لا يجوز حجزه من معاشات الموظّفين وكدين النفقة، كذلك الحقوق التي وجدت بسبب إعتبارات شخصية كعلاقة السيّد بالخدام أو بوجود نص صريح يحرم الدائن من التفرغ عن دينه،

يراجع بهذا المعنى «النظرية العامة للموجبات والعقود»، جورج سيوفي، طبعة ثانية منقّحة، بيروت، ١٩٩٤،

وحيث أنه يقتضي ردّ أقوال الجهة المستأنفة ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ لعدم قانونيتها،

وحيث أنه وبالنسبة للمستأنف إبراهيم العرب، فإنه من غير الجائز التعرّض لما قضى بوجهه الحكم الابتدائي إذ إنّ محكمة الإستئناف في جبل لبنان المطعون بقرارها، قد صدّقت الحكم الابتدائي بحق إبراهيم العرب لجهة الإدانة ولجهة الإلزامات المدنية، وبالتالي فإنّ هذا الحكم الابتدائي أصبح مبرماً سيّماً وأنّ النيابة العامة الإستئنافية لم تطعن به في حينه، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، لأنّ الحكم الإستئنافي غير قابل للنقض لأنه صدّق الحكم الابتدائي إن لجهة الإدانة أو لجهة العقوبة أو لجهة الإلزامات المدنية،

وحيث أنه ولجهة جرم المادة /٦٩٩/ عقوبات، فقد ثبت بالوقائع المبينة أعلاه وبالأدلة الكافية والتي وفّرت قناعة راسخة لدى هذه المحكمة، إقدام المستأنفين ماجد وطريف الحصّ وشركة

الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م. على تهريب أربع شاحنات الى الكويت من وجه المدعي كانت مرهونة لأمره، وإقدامهم أيضاً على إصدار كشف حساب مدين يتعلّق بحساب شركة

سوليترانس الجارية على ملكية المستأنف إبراهيم العرب مع علمهم بأنّ هذا الأخير دائن لهم بمبلغ /٨٥٠/ ألف دولار أميركي وذلك ليحولوا دون تنفيذ المصرف المدعي وتمكيناً له من

تحصيل الديون المتوجّبة له بذمة إبراهيم العرب وشركة سوليترانس،

وحيث أنه ولجهة الوصف القانوني، فإنّ مسألة الوصف القانوني للفعل أمر مرتبط بالنظام العام، فلا يسع هذه المحكمة العليا إلا أن تحدّد الوصف ودون أن يتأتى عن ذلك تغيير في النتيجة كون

النيابة لم تطعن بوجه ماجد وطريف الحصّ وشركة الحصّ، ولذلك وعلى ضوء الوقائع يقتضي إعتبار هؤلاء فاعلين وإعتبار فعلهم منطبقاً على المادة /٦٩٩/ عقوبات، وحيث أنه لا النيابة العامة

الإستئنافية ولا النيابة العامة التمييزية طعنا بالحكم الابتدائي، بخاصة أنّ النيابة العامة التمييزية حصرت مطالبها لدى طعنها بالقرار الإستئنافي بإبراهيم العرب دون سواء، فيقتضى والحال ما

ذكر، الإبقاء على ما قضى به الحكم الابتدائي من إدانة وعقوبة بوجه شركة الحصّ للهندسة والتجارة ش.م.م. لتصديق الحكم المستأنف لجهة العقوبة المقضي بها بوجه هذه الشركة والإبقاء

على ما قضى به الحكم الابتدائي لهذه الجهة بعد تصحيح قيمة الغرامة بحيث تصبح ستمائة ألف

الإدارة حقّ التحوير والتعديل في موادّ ذلك القانون متابعة للظروف، شرط أن تظلّ القواعد الآتية محوراً للأعمال: المحافظة على الحقوق التي تميّز بها لبنان باتفاق الدولة العليّة والدول الخمس، والعمل بالمبادئ الدستوريّة الحرّة بأوسع معانيها، وبثّ روح الإخاء بين طوائف الجبل، والسعي إلى محو الضغائن الدينيّة والإقليميّة، ونشر العلم والصنائع والفنون، وتنشيط المشاريع العموميّة التي توسّع مجال الرزق في البلاد.

إنّ تأسيس جمعيّة الاتّحاد اللبناني كان نتيجة تحسّس اللبنانيين المغتربين في مصر بحتميّة إنقاذ وطنهم من خطر ضمّ لبنان إلى سوريا واندماجه بها. وهذه الجمعيّة هي أوّل جمعيّة سياسيّة في ديار الاغتراب، وأدّت المناقشات في المواضيع المطروحة إلى قرارات عدّة أوّلها انتخاب ثلاث لجان:

أ- اللجنة العاملة وأعضاؤها ١٢:

اسكندر عمّون، أنطون الجميل، حبيب غانم، داود بركات، حبيب يزبك، حيدر معلوف، الشيخ بولس مسعد، محمّد تلحوق، جريس معلوف، بشارة واكيم، حبيب زين، وسليم شاكرا.

ب- اللجنة الاستشاريّة

وأعضاؤها ١٢:

ميخائيل حايك، الأمير خليل أبي اللمع، الشيخ منصور حبيش، نجيب يزبك، سعيد حبيقة، توفيق حاتم، نجيب عازوري، نغوم شقير، الدكتور شبلي شميل، الشيخ سعيد تابت، ويوسف البستاني.

يعجز عنها الفرد تقوم بها الجماعة. فوافقوا بالإجماع على اقتراحه. وفي أثناء الاجتماع، نهض حيدر أفندي معلوف وتبرّع لمباشرة العمل بخمسة جنيهات، وتلاه سعيد أفندي سماحة فتبرّع بجنيه واحد. وتبرّع الآخرون بما قدر لهم، ثمّ نألفت لجنة لوضع القانون من: اسكندر عمّون، داود بركات، حبيب غانم، أنطون الجميل، محمّد تلحوق، حيدر معلوف، بشارة واكيم، الأمير خليل أبي اللمع، الشيخ بولس مسعد، حبيب يزبك، جرجس حتّا.

وتوالت اجتماعات الأعضاء. وفي ٢٦ ديسمبر (كانون الأوّل) عقدت الجمعيّة العموميّة اجتماعاً، وتباحثت في القانون فأقرته، وسُمّيت الجمعيّة جمعيّة «الاتّحاد اللبناني» رمزاً إلى تضافر جميع اللبنانيين من جميع الطوائف وتآزرهم في العمل. وتقرّر أن يترك لمجلس

وفي أوّل تقرير نشر ١٩١٣ حول أعمال الاتّحاد اللبناني في مجال تأسيسه ما يأتي:

«نشر أحدنا، أخونا أنطون أفندي الجميل، دعوة إلى اللبنانيين في القاهرة للاجتماع يوم الأحد ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) في تياترو التمثيل العربي، فلبّى تلك الدعوة جمهور غفير ضاق به التياترو على رحبه، حتّى لم يبق مقعد واحد للجلوس. فوقف أخونا داود أفندي بركات وبسط للجمهور حالة لبنان والواجب على اللبنانيين نحو وطنهم وأهلهم وإخوانهم. ثمّ قدّم صاحب الدعوة. فقام أنطون الجميل وبسط للحاضرين الغاية من دعوتهم إلى هذا الاجتماع، ونوّه بخوف اللبنانيين من زوال امتيازاتهم (وطالب) بضرورة تأليف جمعيّة من اللبنانيين المهاجرين للدفاع عن جبل لبنان وحقوقه وامتيازاته، لأنّ مثل هذه الأعمال التي





○ | د. برجيس فارس الجميل

حزب الاتحاد اللبناني ولبنان الكبير في مصر وبلدان الإغتراب

١٩٠٠ - ١٩٠٩

غير أنه لا توجد في القطر المصري حينذاك أي منظمة أو جمعية تعمل تحت الشعار اللبناني، غير الجمعيات الطائفية الخيرية مثل الجمعية الخيرية الأرثوذكسية والجمعية الخيرية الكاثوليكية والجمعية الخيرية المارونية، وكل هذه الجمعيات إنسانية لا تتعاطى السياسة. وعليه، فإن السعي إلى عمل شيء لصالح لبنان بادرة مستجدة، بها يتجمع اللبنانيون على اختلاف طوائفهم في كتل واحد بدل أن ينقسموا كتلتين الواحدة منهما كانت تدعو إلى ضم لبنان إلى سوريا في كنف الدولة التركية، وأخرى تنادي باستقلال لبنان وبالحفاظ على امتيازاته.

□ | تأسيس جمعية الاتحاد اللبناني في مصر

قامت الاتصالات في أوساط اللبنانيين، وتناولت موضوع إقامة نوع من جمعية أو حزب في مصر لتعمل على إنقاذ لبنان من ورطة ضمه إلى السلطنة. فكانت فكرة تأسيس نوع من الاتحاد هي السائدة. وفي الشأن، كتب يوسف السودا في كتابه «في سبيل لبنان» يقول:

«أخذنا بنشر المقالات والاتصال بوجوه الجالية إلى أن وقف الرأي العام اللبناني على حقيقة الحال وأقر إنشاء جمعية تحت شعار لبناني لا طائفي، غايتها الدفاع عن كيان لبنان وامتيازاته ومحاربة الانضمام. وهكذا صممنا على العمل والمباشرة في التنفيذ. فذاع أنطون الجميل نداء في القاهرة للاجتماع. فلبى اللبنانيون المقيمون في مصر النداء وانتخبوا لجنة أقرت إنشاء الاتحاد اللبناني ووضعت القانون الأساسي له في ٢٦ شباط ١٩٠٩».

وقد كان لشعب هذا الوطن قديماً وحاضراً الدور الكبير في قلب موازين القوى وتغيير المعادلات. لقد كتب المسيو بازيليني، قنصل روسيا في بيروت، في رسالته المؤرخة في ١١ حزيران ١٨٤٠، إلى المسيو بوتينف المندوب الروسي في الأستانة يقول: «كما أن انضمام سكان جبل لبنان إلى ابراهيم باشا في سنة ١٨٣٢ قد نتج عنه إخضاع سوريا، فإن تمردهم عليه أخرجه من لبنان وسوريا».

بعد هذه اللمحة نسال: ما هو دور بكركي في تأسيس الاتحاد اللبناني؟

□ | العمل في بكركي

باتت نيات المتصرف تجاه إلغاء امتيازات لبنان واضحة وضوح الشمس، وتأكد أن ما يقال عن ضم لبنان إلى الدولة ليس مجرد إشاعات بل حقيقة يعمل المتصرف جاهداً لترسيخها. ورأى يوسف السودا أن عليه القيام بزيارة البطريرك الماروني لاطلاعه على فعوى زيارته للمتصرف وجوها، ولينقل إليه مخاوف اللبنانيين في القطر المصري من مخططات الدولة العثمانية من أجل الوقوف في وجهها وفي وجه ما يديره عملاؤها لتحقيق هذا الضم، عاقداً آماله على اجتهاد البطريرك في هذا المجال لما له من مكانة معترف بها لدى الدولة الضامنة لامتيازات لبنان بموافقة الدولة العثمانية نفسها وقرارها. قال يوسف السودا في هذا الصدد:

«قصدت بكركي، وهي المقام المعروف بتشبته باستقلال لبنان، وكان البطريرك الحويك انتقل إلى الديمان، فاستقبلني المطران أبو نجم، وطلب مني أن أعمل في وادي النيل حيث لا ضغط ولا تدخل».

لعل من محطات تاريخ الأمة اللبنانية في عهدها الحديث محطة قلما كشف النقاب عنها. ولو كشفناها بكل أفكارها، وتتبعنا خطاها وجهود من قام بها، لتضح لنا كم في كيان هذه الأمة من تصميم على البقاء الحر والشخصية الخاصة رغم صعوبات الجغرافيا والديمغرافيا والمصالح المتشعبة.

سنة ١٩٠٩ يوم اعترت السلطنة العثمانية هزة الإعجاب بالدستور، وهو يحمل في كلماته مبادئ الحرية والعدالة والمساواة، نشأت في بعض الدوائر وعند بعض اللبنانيين فكرة كانت ترمي إلى إلحاق لبنان بسوريا لضمه، أسوة بها، إلى جسم سلطنة بني عثمان. ولكن عصبية من فتیان لبنان المثقفين رأَت أن تلك الفكرة تخالف تقاليد الوطن اللبناني، ولا تنطبق على حقوقه ومصالحته في شيء، فتجمعت العزيمة على مناهضة مشروع الضم، والحيولة دون تحقيقه بجمع ما تبسر من الوسائل. وهكذا وضع المبدأ القائل بالانفصال المقرون «بالاستقلال».

أمّا الأسباب التي جعلت هذا المبدأ عقيدة وطنية مقدّسة فهي كثيرة ومتنوعة ترجع إلى اعتبارات أثنية واجتماعية وتاريخية وحقوقية.

وفي نظرة عميقة إلى تاريخ لبنان القديم والوسيط والحديث، يتبين لنا وجود أمة لبنانية مميزة الصفات ومتغيرة في التاريخ عن محيطها؛

استثنينا بعض مقاطع منه نشرتها الصحف في حينه ورحنا نقب في المكتبات العامة والخاصة وفي أرشيف كل من يوسف السودا وأنطون الجميل وداود بركات، فلم نجد ما يروي ظمأننا. ومن المفيد أن نذكر أن جريدة «البرق» كانت نشرت في ٢ كانون الأول ١٩١١، كتاباً موجّهاً إلى بشاره الخوري صاحب الجريدة، تبيّن فيه أهداف جمعية الاتحاد اللبناني ويحضّ اللبنانيين على الاتحاد في ما بينهم. في هذا الكتاب يتكلّم اسكندر عمّون على فضائل وجود الجمعيات التي تجمع كلمة أهل البلاد وتمنح تسليم أمور البلاد إلى نضر معروف يرث كل واحد منهم السلطة أباً عن جد، كأنهم يتوارثون قطعة أرض. ويتابع اسكندر في شرح فوائد الجمعيات التي تقف في وجه من يعبثون بروح القانون ويفرطون في الحقوق الموكول أمرها إليهم. ثمّ يتطرّق إلى حركة الهجرة التي زادت من قوّة نشاط الجمعيات وانتشارها، مستمدّين ذلك ممّا اختبروه في دار الاغتراب واكتسبوه من رجولة واتكال على النفس وعلى المبادئ الصحفية، وذلك باختلاطهم بالشعوب الراقية التي نزلوا بين ظهرانيها. وفي رأيه أنّ وجود الجمعيات هو الطريقة الوحيدة المناسبة لحالتنا وأوضاعنا، لأنّه بها تتحقّق أمنيّة الشعب وسلطته، ومنها يستمدّ قوّته في الدفاع عن حقوقه. ونبّه اسكندر إلى أنّ التشرذم عقبة كأداء تقسم الطوائف شرانق، كلّ طائفة منها تذوي داخل قوقعتها وتخرج منها للقتال فقط. والقتال، كما يقول اسكندر، جناية عصر الجهل والغباء؛ وإذا ما أدرك

اللبنانيون تلك الحقيقة سهل عليهم الاتحاد. ووجد اسكندر عمّون أنّ جمهور اللبنانيين خير بكثير من معظم زعمائهم المعروفين، وهذا عنده لأفضل بكثير من أن يكون الأمر عكس ذلك. ثمّ تطرّق اسكندر إلى الاتحاد، وأنه مرسل طياً مع كتابه إلى جريدة «البرق» نسخة عن دستور حزب الاتحاد اللبناني معدّداً أغراضه، وأهمّها:

- المحافظة على الحقوق المقرّرة بين تركيا والدول الخمس الكبرى.
- الاحتفاظ بسيادة الدولة وقواعد الحكم الدستوري.
- العمل بالمبادئ الدستورية بأوسع معانيها.
- بثّ روح الإخاء بين طوائف الجبل، ومحو الضغائن الدينية والإقليمية.

وقد جاء في الكتاب أيضاً كلام على حقوق الشعب وحرّيته ونشر العلم والصنائع وتنشيط المشاريع الخ.

أمّا عن دستور جمعية الاتحاد، فقد جاء في مقدّمة «التقرير الثاني» عن أعمال الجمعية في مصر بين ١٩١٣ و١٩١٧ بعض فقرات هذا الدستور، التي تركّز على دور أعضائها في جميع المجالات من أجل القضية اللبنانية، وأهمّها:

○ | المادّة الثانية

- ١- خدمة مصالح لبنان، والسّعي إلى كلّ ما فيه خيره ورقّيه مادياً وأدبياً.
- ٢- المطالبة باستقلال لبنان التام

ضمن حدوده الطبيعيّة والتاريخيّة بضمانة الدول.

٣- بثّ روح الإخاء بين الطوائف في الجبل، والعمل على محو الضغائن الدينيّة والإقليمية من دون تحييز إلى أيّ حزب.

٤- نشر العلم والصنائع والفنون، وتنشيط المشاريع العموميّة التي توسّع مجال الرزق في البلاد وتزيد من سعادة الأهلين.

كما جاء في التقرير ذاته أيضاً بعض الموادّ التي تركّز على العضوية والاشتراكات الناتجة من الانتماء إلى الجمعية.

○ | المادّة الرابعة

كلّ لبنانيّ وقف على مبادئ هذه الجمعية، يحقّ له الانضمام إلى ملاكها، سواء أكان مقيماً في الديار المصريّة أو في أيّ جهة من جهات المعمورة.

○ | المادّة الخامسة

يسمّى المنصوص عنهم في المادّة السابقة أعضاء مشتركين، ويفرض على كلّ منهم دفع مبلغ عشرين قرشاً صافياً في السنة إلى صندوق الجمعية بصفة بدل اشتراك، وإذا أراد أحدهم أن يدفع شيئاً فوق ذلك حُسبت له تلك الزيادة تبرّعاً.

هذا بعض ما تمكّنت من الحصول عليه والتركيز عليه في شأن قانون الاتحاد اللبناني.

ج- اللجنة التنفيذية وأعضاؤها ٥:

عقدت اللجان العامة والاستشارية اجتماعاً مشتركاً طبقاً للمادة ١٧ من قانون الاتحاد اللبناني، وأقرت انتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية بموجب المادة ٢٦ من القانون وكان التصويت إجماعياً: اسكندر عمّون: رئيساً للجنة وللإتحاد اللبناني، أنطون الجميل: أميناً للسر، حيدر معلوف: أميناً للصندوق، داود بركات: عضواً، حبيب يزبك: عضواً.

ويذكر أن هذه اللجنة، وهي أعلى سلطة في الحزب، تصدر القرار وتنفذه. وفي مناسبة تأسيس الحزب، أصدر الإتحاد اللبناني في مصر منشوراً في هذا الموضوع جاء فيه:

«لقد ظلّ اللبنانيون على تشبّثهم بالاستقلال، رافضين كلّ فكرة ترمي إلى إدماج بلادهم بالسلطنة. فأرغموا تركيا بثورتهم سنة ١٨٤٢ على استعادة الموظف العثمانيّ عمر باشا بعد تعيينه ببضعة أشهر، فعرفوا أوّل وآخر حاكم أجنبيّ عرفه لبنان قبل سنة ١٨٦١».

وما الفورات والانتفاضات التي قام بها اللبنانيون، سواء من القادة أو من الشعب أو من الإكليروس، إلا من أجل المحافظة على استقلالهم وكرامتهم الوطنيّة. وإذا جاء قانون ١٨٦١ مجحفاً في حقّ السلطة الوطنيّة، فإنّه، مع ذلك، أعطى لبنان، من الوجهة القانونيّة بمقتضى معاهدة ١٨٦١ التي جعلت لبنان في القانون الدوليّ العامّ، مركزاً لا نزاع عليه.

واستناداً إلى الاعتبارات التي بسطت في الخلاصة التاريخيّة السابقة ومراعاة للتقاليد الوطنيّة الراسخة في قلوب اللبنانيين، تحرّرت الوصيّة التي تقدّم ذكرها مواصلة الجهاد في سبيل ذلك الاستقلال المنشود. وعلى هذه الأركان الموطّدة كان تأسيس جمعيّة الإتحاد اللبناني في سنة ١٩٠٩، وهي اليوم أقدم الجمعيّات السياسيّة عهداً.

كان هذا تأسيس جمعيّة الإتحاد اللبناني في القاهرة، وهذه أوّل خطوة يكتمل فيها تجمّع سياسيّ لبنانيّ خارج لبنان. وكان لهذا العمل صداه المباشر في أنحاء أخرى من القطر المصريّ عندما حذا لبنانيّو الأسكندريّة سنة ١٩١٠ حذو لبنانيّي القاهرة، فأقاموا فرعاً للجمعيّة لهم، وتبعهم في ذلك لبنانيّون في بعض المدن الأخرى.

فالانطلاقة هذه، بعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨، إن دلّت على شيء، فإنّها تدلّ على حميّة اللبنانيين وعزيمتهم أنّ كانوا للتصدّي لكلّ محاولة تهدف إلى كبت حرّيّة لبنان وتطلّعه الاستقلاليّ. ومن غايات الجمعيّة ليس فقط مقاومة ضمّ لبنان إلى الولاية، كما ينادي بعض اللبنانيين، بل العمل أيضاً على توعية الرأي العامّ على ما في بنود الدستور من أهداف مستورة.

يمكن التأكيد أنّ هذه الجمعيّة لعبت دوراً كبيراً في إقامة لبنان الكبير،

والدور الذي لعبه أنطون الجميل الذي كان أوّل من نادى بتكثّل اللبنانيين أينما وجدوا ليقتضوا سداً منيعاً في وجه الطامعين. والنجاح الذي حازته الجمعيّة لم يأت عفواً، إنّه مرادف لنجاح اللبنانيين في ديار الغربية في حقول الاقتصاد والمصارف والتجارة والحرف والمهن والتأليف والسياسة، إذ تبوأ الكثيرون منهم مراكز عالية في المجتمع وفي الحكومات حيث كان من بينهم الوزراء ونواب البرلمان ورؤساء.

□ | دستور الإتحاد اللبناني

○ | ١- نصّ دستور الإتحاد

إنّ معظم مؤسّسي الإتحاد شخصيات مرموقة. فقد كانوا وغيرهم من اللبنانيين يعتبرون وجودهم في مصر وجوداً عابراً ومرحلياً قيد مؤاتة ظروف ملائمة للعودة إلى الوطن. واللافت هو أنّ معظمهم من جبل لبنان، أي من المتصرّقيّة، وليسوا من ولاية بيروت. وإنّ هذه الروح ذخر المؤسّسين الاجتماعيّ والسياسيّ والفكريّ والثقافيّ متبلورة مع روح دستور حزب الإتحاد اللبناني الذي خرج من صنع أيديهم متجسّدة في نصّ دستوره.

يوضح الدستور أهداف الحزب في تنظيمه الداخليّ وطريقة العمل داخل الحزب. ومن المؤسف حقاً أنّ نتكلم على الدستور في الوقت الذي نصّ الدستور كاملاً ليس متوافراً إذا



لبنان ودوره الرائد في النهضة العربية

د. عصام الحوراني

العثمانية إلى ملكية دستورية، يكون تحت رايته المسلمون وغير المسلمين من الأتراك والعرب. وهذا ما أعلنه الشبان العثمانيون في باريس ولندن واسطنبول، ونتج عنه انقلاب ١٨٧٥ بزعامة مدحت باشا الصدر الأعظم، ورجل الإدارة الأول في الدولة العثمانية. لم تنجح تجربة (تركيا الفتاة) هذه، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً.

اليقظة العربية، وبداياتها من لبنان ...

بدأت اليقظة العربية مع جيل مثقف من اللبنانيين، الذين تأثروا بالحضارة الغربية وثقافتها عبر الإتصال بالغرب، عن طريق الفتوحات العسكرية، والتبادل التجاري، والبعثات العلمية إلى الغرب، وعن طريق الإرساليات بشكل أساسي، وذلك منذ القرن السادس عشر. فقد شهد لبنان البعثات العلمية إلى إيطاليا،

السيطرة على مقاليد الحكم في الأعصر اللاحقة. ونذكر من أهمهم المماليك ومن ثم الأتراك العثمانيين، الذين سيطروا على مناطق الجزيرة العربية وبلاد الشام وحكموها أكثر من ستمئة سنة. لكن العهد العثماني أخذ بالتقهقر والتفكك منذ القرن الثامن عشر. وصارت ثمة مشاعر شبه عربية تدعو إلى الإستقلال وتكوين كيان عربي يستند إلى الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن والأحاديث النبوية. نذكر في هذا السياق أن محمّد علي باشا عزيز مصر، الذي تولّى أمر مصر مع بداية القرن التاسع عشر لم يكن لديه الشعور العربي، وقام مع بداية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر بتوسيع رقعة حكمه لتشمل مناطق في بلاد الشام، ولكن، ليس على أساس المفهوم القومي العربي، على الرغم من ادعاء ابنه ابراهيم باشا بالعروبة، وهو القائل يوماً لژانر فرنسي: ((أنا لست تركياً، فقد أتيت إلى مصر عندما كنت فتياً، ومنذ ذلك الوقت غيرت شمس مصر دمي وجعلته عربياً خالصاً)). وقد علّق هذا الزائر قائلاً: إن هدف ابراهيم إنما كان تأسيس دولة عربية يعيد بها للعنصر العربي قوميته ووجوده السياسي^(١).

لم يكن العرب في مناطق بلاد الشام يشعرون بميل نحو القومية العربية، بل كان لديهم شعور بالمحافظة على الإسلام من خلال المحافظة على السلطان وحكمه. وقد ظهرت جماعة عثمانية متحررة، تقول بتحويل الدولة

فكرة القومية العربية والبدايات

إن مفهوم القومية العربية لم يتضح وتصبح له قوة سياسية إلا في القرن العشرين، على الرغم مما يخبرنا به التاريخ من أن العرب كان لديهم إحساس عرقي بقوة تجمعهم، ويتمثل ذلك باللغة والعادات والتقاليد، وما كان لهم من أنساب مشتركة يقبلها جميع القبائل بلا تردد، مع ما كانوا عليه في حال من التطاحن والنزاعات. وجاء الإسلام لينتشر في الجزيرة كلها، ويوحدها تحت راية واحدة ذات أيديولوجية جديدة. ثم يخرج من الجزيرة ناشراً ثقافة سامية قريبة من المفهوم السائد آنذاك في الجزيرة ومحيطها وحيث سيطر وحل. وهذه الثقافة تركز على عناصر عربية أساسية من نواحي: النبي العربي، والقرآن العربي اللغة، والعرب الأوائل الذين احتضنوا الإسلام ونشروه.

وصارت اللغة العربية لغة العبادة والتشريع والفقهاء، كما صارت لغة التعامل والإتصال بالناس والحكام. واستمرّ العرب عبر الأعصر الأولى يقومون بدورهم الفاعل في الأمبراطورية العربية، يعاونهم أرتال ناشطة من شعوب متنوعة الأجناس دخلت الإسلام أو دخل الإسلام بلادها وضمّها إلى عالمه الخاص. وهؤلاء الغرباء من المسلمين الجدد، أو الموالي، كان لهم الدور الأساسي في عملية تأسيس الحضارة العربية، واستطاع غرباء آخرون

١- ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، دار النهار للنشر، ص ٢١٢-٢١٣ نقل عن:

Douin, G, La Mission du Baron de Boislecote, Cairo 1927, pp. 249-50

○ | ٢- غاية الأتحاد اللبناني

بالإضافة إلى الأهداف الأساسية المنصوص عنها في دستور جمعية الأتحاد اللبناني، وهي صون استقلال لبنان الذاتي أنياً، على الأقل، ريثما يحصل الجبل على استقلال تام غير منقوص وتقوية صلاحيات المجلس الإداري في الجبل والحد من صلاحيات المتصرف وإيقاف الأعمال التعسفية التي تخلق الأزمات ومنح الشعب حق الانتخاب المباشر، وغير ذلك من الحيوية مثل تنشيط الاقتصاد وتنمية زراعة التبغ وتصنيعه الخ، فإن هناك غايات للحزب بديهيّة، وتتلخّص كما يأتي:

■ توعية العقليّة اللبنانيّة من حيث استيعاب مفهوم الاستقلال والتدوّق بطعم الحرية.

■ تطوير مرافق الجبل والصناعات المحليّة اليدويّة والآليّة، وتشجيع الأهلين على تشجيع هذه الصناعة بالإقبال على شرائها.

■ سلوك المناهج المثاليّة اليوميّة في الاغتراب ليكون اللبنانيّ قدوة يحتذى بها الناس بدل أن يقلّد هو مسلك الآخرين.

■ العمل على نشر فروع الأتحاد

اللبنانيّ في شتى أنحاء ديار الاغتراب، والتنسيق بين دار الأتحاد المركزيّة وفروعها.

○ | ٣- المتصرفيّة، والولاية والأتحاد اللبناني

بعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨،

تبلّبت أفكار جميع طبقات اللبنانيين بين من يريد الانضمام إلى الدستور فالولاية، ومن يريد أن يصون استقلال الجبل ومن يريد دمج لبنان في سوريا الكبرى؛ ومن هذا المنطلق يمكن غرلة هذه الأفكار والتيارات كالآتي:

■ طالب جانب كبير من مسلمي ولاية بيروت، تؤازرهم بطبيعة الواقع فئة قليلة من مسيحييها، بجعل لبنان بأكمله جزءاً من ولاية تركيّة.

■ طالب بعض مسلمي ولاية بيروت، ومعهم بعض مسيحييها، طبعاً، بإنشاء سوريا الكبرى من سوريا ولبنان وفلسطين.

■ أمّا مسيحيّ ولاية بيروت، فقد طالبوا هم أيضاً بسوريا الكبرى إلاّ أنهم اختلفوا عن مسلميها في وضع سوريا الكبرى تحت الحماية الفرنسيّة.

■ بقي أهل الجبل الذين طالبوا بإبقاء الجبل متصرفيّة بموجب النظام الذي أفرّته تركيا وليس هذا فقط بل طالبوا أيضاً باستقلال لبنان بأكمله.

ومن بين الجمعيات والمؤسسات، وحدها جمعية الأتحاد اللبنانيّ طرحت قضية لبنان من الناحية الاستقلاليّة. وللأتحاد ميزة خاصّة هي:

■ إن معظم مؤسّسي الجمعيّة

مسيحيّون وموارنة فوق هذا.

■ حاز الأتحاد على تأييد البطريركيّة المارونيّة في كلّ من الأسكندريّة والقاهرة.

■ معظم أعضاء الأتحاد كانوا أعضاء أيضاً في جمعيّة المساعي الخيريّة المارونيّة.

ولكنّ شيئاً واحداً كان يفضي غمامة قائمة. فقد كانت تدبّ بين الأعضاء نزاعات كانت تضعف كدّهم في عملهم، لكنّ النزاعات هذه علامة صحّة. فإنّ الاختلاف في الآراء يبلور الأفكار ويخرج بأفكار جديدة موحّدة. وبجانب ميزة الأتحاد الخاصة كان أعضاؤه يتميّزون بصفات عالية من:

■ تعلّقهم بالحرية، وإيمانهم بلبنان وطناً للحرّيات بالشرق جغرافياً، والانفتاح على الغرب حضارياً (مع الحيطة والحذر تجاه سوريا التي تحيط بلبنان إحاطة السوار بالمعصم).

■ عمل أعضاء الأتحاد لم يقتصر على القضية اللبنانيّة وحدها. فقد عملوا للقضيّة المصريّة في عالم الصحافة أو المراكز أو الفكر واللغة والأدب، ما جعل مصر منبع النهضة العربيّة بفضل هذه الجالية اللبنانيّة.

■ خرج بعض الأعضاء من نطاق لبنان ومصر، وعملوا من أجل القضية العربيّة. فقد ناضل بعضهم تحت لواء الشريف حسين (مثال على ذلك اسكندر عمّون الذي عين وزيراً للعدل في حكومة فيصل الأولى).

■ نشاط أعضاء الأتحاد اللبناني في حزب اللامركزيّة واشتراكهم في مؤتمر باريس عام ١٩١٣، وذلك بانتداب اسكندر عمّون عن مصر.



الشعر الغنائي والنثر الصوفي، حاملاً نسيم لبنان إلى الحضارة الأميركية...»

مظاهر النهضة هذه برزت في قضايا متنوعة، أهمها الدعوة إلى الحرية والتجديد والمساواة والعدل والإصلاح والتعلم والتقدم والإتحاد والعمل على النهوض من كبوة دامت قرونًا. ونحن بحاجة ملحة إلى دراسات منهجية، تتحدث عن مدى هذه النهضة ونموها وترقيتها واستمراريتها في لبنان والبلاد العربية، وفي عصر العولمة الحاضر.

لبنان وحركات التحرر والتجديد والاستقلال

منذ منتصف القرن التاسع عشر، أخذت الدولة العثمانية تميل نحو التقهقر والانحدار من نواح عديدة، وبخاصة من الناحية الاقتصادية والسياسية. وقامت حركات تنويرية تنادي بالسر والعلانية في سبيل قيام حكم أكثر عدالة، ومساواة، وديمقراطية. وكانت انتفاضة مدحت باشا عام ١٨٧٥، الذي عمل على فرض سلطة الدستور، وكان ما كان من فشل هذا الرجل الإداري الكبير، وانتهائه مخنوقاً في السجن.

في خضم هذه الأجواء المضطربة أخذت بذور الدعوة إلى الحرية والمساواة تنمو وتزدهر مع نشاط ملحوظ من قبل اللبنانيين وبخاصة المسيحيين منهم. كانت هناك اتصالات ومحادثات تجرى بين صحافيين لبنانيين بيروتيين ورجال الدولة المصلحين في اسطنبول. وكانت الصحافة التي عرفت بعض الحرية في الستينيات والسبعينيات من القرن التاسع عشر، تنشر مقالات يعبر فيها كتابها عن آراء وأفكار تحررية، وكانت تتميز بالدعوة إلى العلمانية. نذكر من هذه المجالات: (الجنان) ١٨٧٠ للمعلم بطرس البستاني، التي كانت تدعو إلى إصلاح الحكم، واشتراك الجميع فيه على مثال الديمقراطية. كذلك كانت هذه المجلة تدعو إلى فصل الدين عن الدولة، وفصل السلطة القضائية عن السلطة

التنفيذية، وفرض الضرائب العادلة القائمة على أساس منظم. وتدعو أيضًا إلى العمل من أجل الإنماء بوساطة الأشغال العامة. وأهم ما كانت تدعو إليه أيضًا فرض التعليم الإجباري، وإقامة العدل والإتحاد بين أبناء الأديان المختلفة في الدولة العثمانية.^(٢)

لقد واجهت هذه الصحافة اضطهادًا كبيرًا من قبل الدولة العثمانية، مما اضطرها إلى الانتقال من بيروت إلى القاهرة حيث فسحة الحرية أوسع، ومدى سلطة الدولة العلية أضيقت بكثير مما هو عليه في لبنان. نذكر من صحفيي ذلك الزمان وكتابه: خليل الخوري صاحب جريدة (حديقة الأخبار)، وسليمان البستاني الذي مثل دورًا بارزًا في السياسة العثمانية وبخاصة بعد إعادة الدستور، وهو الذي ترجم (الإلياذة) اليونانية إلى اللغة العربية، وأول عربي يقوم بدراسة منهجية للشعر اليوناني وفلسفة الشعر، ووضع كتابًا سمّاه (عبرة وذكرى)، قدّمه إلى روح أبي الدستور مدحت باشا إحياء لذكراه. ومما يقول فيه: «إن الشرط الأول لتقدم الأمة هو زوال التعصب الديني والعرقّي الأعمى، وإنماء الروح القومية». كذلك كان أمر الصحفيين والكتّاب اللبنانيين الذين انتقلوا إلى القاهرة من مثال: سليم وبشارة تقلا صاحب (الأهرام)، ويعقوب صروف، وفارس نمر، وشاهين مكاريوس أصحاب (المقطم)؛ فلقد استمرت هاتان الصحفتان على مهاجمة الحاكم العثماني وسياسته. ونذكر أيضًا خليل غانم أحد كبار جماعة (تركيا الفتاة) الذي كان أحد النواب الموارنة عن بيروت في البرلمان العثماني سنة ١٨٧٨. وقد سافر إلى باريس بعد حل البرلمان وصار يكتب مقالات عن الحكام العثمانيين وعن استبدادهم.

كان حلم الخلافة الإسلامية قد بدأ يراود الحكام الأتراك منذ منتصف القرن التاسع عشر. وهذا السبب الذي جعل عددًا من العرب يتجهون نحو المطالبة بما يشبه القومية، عن طريق استعادة مجد الخلافة الغابر. وكان شريف مكة المرشح الأول لتولي منصب الخلافة بوصفه حاكم المدينة المقدسة، عدا

نسبه الذي يرقى إلى الرسول. كذلك فعل جماعة من الأرمن الذين كانوا مع (تركيا الفتاة)، فقد أخذ حلمهم القديم يؤاتهم، ويدعوهم بالحاح للمطالبة بالوطن القومي الأرمني.

كانت إنكلترا، من خلال رجالها في الشرق الأوسط، تؤيد جعل شريف مكة خليفة في حال سقوط الدولة العثمانية بيد دول أوروبية غير صديقة أو حليفة لبريطانيا. كذلك كان رأي (خديوي) مصر الذي كان على خلاف مع السلطان العثماني. وسرت أفكار تقول بأمبراطورية عربية يكون الخديوي رئيسها الزمني والشريف رئيسها الروحي. وهذا يذكرنا بابراهيم باشا المصري وحملته العسكرية على سوريا، وتصريحاته العروبية... ونسمع عبد الرحمن الكواكبي الحلبي صاحب جريدة (الشهباء) ١٨٧٧، ينادي بقيام دولة عربية إسلامية، يرأسها خليفة عربي من نسب قريش يختاره ممثلون من الأمة العربية الإسلامية، يكون له سلطة دينية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ويعاونه مجلس إستشاري يعينه الحكام المسلمون، ويكون له أيضًا سلطة زمنية في الحجاز يعاونه فيها مجلس محلي.^(٣)

٢- راجع (الجنان) أعداد: ١ (١٨٧٠)، ص ١٥-٢٨-١٦ وعداد: ١٠ (١٨٧٩) ص ٤٨١، وعداد ٩ (١٨٧٨) ص ١١٨.

ونشطت حركات الإتصال العلمي والتجاري في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني. ونذكر الإرساليات الدينية المسيحية الوافدة من بلاد أروبية وأميركية، والتي أسست المدارس، والمعاهد العلمية، والجامعات. وكذلك كان الإتصال مع الغرب بوساطة رموز فكرية، وعن طريق حركات التجدد والتحرر الناشطة هناك، وبخاصة مع بلوغ أصداء الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ مشارف بلادنا مع شعاراتها المنادية بالحرية والإخاء والمساواة.

تمثّلت النهضة الأدبية في مكانين متباعدين: في لبنان، وفي الأميركتين حيث ترعرع الأدب المهجري. ففي المشرق، بدأ تشكل النهضة الأدبية، وأخذ يترقى بفضل عوامل كثيرة، نذكر منها إنشاء المدارس في لبنان، الأجنبية منها مثال: مدرسة عينطورة ١٧٣٤، ومدرسة عبيه ١٨٤٧، واليسوعية في غزير ١٨٤٧، وأيضاً الكلية الإنجيلية السورية (الجامعة الأميركية اليوم) ١٨٦٦، وجامعة القديس يوسف لليسوعيين عام ١٨٧٤. ونذكر من المدارس الوطنية: مدرسة عين وريقة ١٧٨٩، والمدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني ١٨٦٣، والبطيركية ١٨٦٥، والثلاثة الأعمار ١٨٦٦، والحكمة ١٨٧٦، والمقاصد الخيرية الإسلامية ١٨٨٠، والكلية العثمانية ١٩٠٨، وغيرها. أمّا في البلاد العربية الأخرى، فالأمر كان يختلف، إذ لم يكن في مصر آنذاك سوى (الكتاتيب)، عدا (الأزهر) الذي كان جامعة تهتم بالعلوم الدينية.

ومن عوامل النهضة أيضاً نذكر الطباعة، وإن أول كتاب عربي مطبوع كان (السواعية) الذي طبع في إيطاليا سنة ١٥١٤. ونذكر من

المطابع الأولى: مطبعة دير مار قزحياً ١٦١٠، ومطبعة عبدالله الزاخر (١٦٨٠-١٧٤٨) في الخنشارة ١٧٣٤، والمطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين ١٨٤٨، ومطبعة القديس جاورجيوس ١٨٥٣. وفي مصر أنشأ محمد علي باشا مطبعة بولاق سنة ١٨٢١.

أمّا الصحافة، وهي لسان النهضة الناطق أبداً بالحرية والوعي والإصلاح والتقدم، فقد نشطت منذ منتصف القرن التاسع عشر على يد اللبنانيين، فكانت جريدة (السلطنة) ١٨٥٧ ومؤسسها اسكندر شلهوب، و(حديقة الأخبار) لخليل الخوري عام ١٨٥٨، و(برجيس باريس) ١٨٥٨ لرشيد الدحداح، و(الجوائب) ١٨٦٠ لأحمد فارس الشدياق، و(نضير سوريا) ١٨٦٠، و(الجنان) ١٨٧٠ للمعلم بطرس البستاني، و(الجنة) ١٨٧٠ و(الجنة) ١٨٧١ لسليم بطرس البستاني، و(ثمرات الفنون) ١٨٧٥ لعبد القادر القباني، و(المقتطف) ١٨٧٦ ليعقوب صروف وفارس نمر، وقد نقلها إلى القاهرة سنة ١٨٨٤، و(لسان الحال) ١٨٧٧ لصاحبها خليل سركيس. ومع أجواء الإضطهاد والظلم وكبح الحريات، التي مارستها الدولة العثمانية ضد اللبنانيين، إنتقل أصحاب الأقلام إلى مصر وأسسوا هناك الصحف والمجلات ودور النشر والمطابع. فقد أنشأ سليم وبشارة تقلا (الأهرام) ١٨٧٦، وأديب إسحق وسليم النقاش أسسا (المحروسة) ١٨٨٠، وأنشأ فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس (المقطم) ١٨٨٨، وجرجي زيدان أسس (الهلل) ١٨٩٢، وشاهين مكاريوس (اللطائف) ١٨٨٦، وغيرها من الصحف والمجلات التي انتشرت في البلاد العربية، وجاوز عددها حتى عام ١٩١٩ المئتين.

نذكر أيضاً من عناصر النهضة: المجامع اللغوية، والجمعيات الأدبية، والعلمية، والسياسية، التي اهتمت بالثقافة، وفتح المدارس، والتأليف، وتأسيس المنتديات الأدبية، والسياسية، وغيرها، ومنها: الجمعية السورية في بيروت التي أسسها سنة ١٨٤٧ المرسلون الأميركيون بالتعاون مع اليازجي والبستاني، والجمعية العلمية السورية في بيروت عام ١٨٦٨، وكان مؤسسها ورئيسها

حسين بيهم، والمجمع العلمي الشرقي في بيروت، الذي أسس عام ١٨٨٢، وجمعية التعريب التي أنشئت عام ١٨٩٢، والمجمع العلمي العربي في دمشق، ومجمع اللغة العربية في القاهرة.

ولا ننسى فضل المستشرقين، من الأجانب الذين تخصصوا في دراسة قضايا الشرق الإنسانية ونتائج الفكري، وفي البحث عن المخطوطات والنقوش المدونة وتحقيقتها وتبويبها ووضع فهرس لها وطبعها، والعمل على ترجمة الآثار العربية إلى اللغات المختلفة، وتنظيم المكتبات التي تضم النفيس من الكتب والمخطوطات. وغيرها من الإنجازات المهمة في عملية فهم التراث الشرقي المتمثل بالآثار القديمة من نقوش ومخطوطات بلغات هيروغليفية ومسمارية، ودراستها وتقديمها بمنهجية علمية رصينة.

ونذكر من أبرز هؤلاء المستشرقين: دربلو، دي ساسي، دي برسفال، كاترمار، دي سلان، كارا دي فو، وغيرهم من الفرنسيين، ومن الإنكليز نذكر: مرغليوت، نيكلسون، لان، بلمر، ومن الألمان: فليشر، وستنفيلد، كريمر، وأيضاً نذكر: نولدكه، كولديزهر، آري، غويدي، بروكلمان، دوزي، ريشر، لايل... وغيرهم.

تلك كانت بدايات النهضة العربية، وقد أسهم اللبنانيون، كما أشرنا، في رفع مداميكها واحتضانها إلى حد بعيد. ولم ينكر عليهم العرب هذا السبق، بدليل ما ورد مرّة على لسان الدكتور طه حسين القائل: «إن من يزعم من أدباء الشرق العربي المعاصرين أنه ليس مديناً للبنان بشيء من أدبه، فهو منكر للحق، كافر للنعمة، جاحد للجميل». وقال توفيق الحكيم في هذا المجال: «... فأدبنا الحديث أدب مراحل، بل أدب موجات متداخلة. فالموجة الأولى قد اندفعت من لبنان وهي موجة انتجت الشدياق واليازجي وفرح أنطون... ولعل الرمز الأكمل هو تعريب البستاني للإلياذة. والموجة الثانية أميركية، وهي التي انطلقت من المهجر. ففي المهجر، للمرّة الأولى في أدبنا الحديث، ولدت المدرسة الرومنطيقية العربية وانبعس

كانوا يخشون، فيما لو تحققت القومية العربية التي ينادون بها، من أن تستأثر بها الأكثرية، وتصبح إسلامية المنهج والمصير والسيطرة. نذكر في هذا السياق نجيب العازوري اللبناني الكاثوليكي والفرنسي الثقافة، كان هذا الرجل موظفًا لدى الدولة العثمانية في القدس، وإذ به يتخلى عن منصبه ويسافر إلى فرنسا، ثم إلى القاهرة حيث عاش حتى وفاته عام ١٩١٦. أسس العازوري سنة ١٩٠٤ (عصبة الوطن العربي)، وأصدر في باريس سنة ١٩٠٧، لمدة وجيزة، مجلة (الاستقلال العربي)، وله بالفرنسية كتاب (يقظة الأمة العربية) ١٩٠٥، الذي تحدّث فيه عن أفكاره وآرائه التي تتمحور حول أمة عربية واحدة تضمّ مسيحيين ومسلمين، وقال إن الخلافات التي تتولد بين أبناء الديانتين هي مشكلات سياسية تحركها أيادي أجنبية من أجل مصالحها الخاصة. وأشار إلى أن المسيحيين لا يفلتون عروبة عن المسلمين، وطالب بإنشاء كنيسة مسيحية عربية موحدة تضمّ كلّ الطوائف، مشيرًا إلى أن الأمة العربية تشمل جغرافيًا جميع البلدان التي يتكلم شعبها اللغة العربية باستثناء مصر وشمال أفريقيا. ودعا العازوري إلى استقلال الأمة العربية عن الأتراك، معتبرًا أن الأتراك هم سبب خراب العرب. وقد طالب أيضًا العرب والأكراد والأرمن أن يعملوا في سبيل الانفصال عن الدولة العثمانية الآخذة بالإنهيار. وحذّر من أخطار تواجه الأمة العربية من جهات متعدّدة، منها: روسيا، وألمانيا، واليهود. أمّا بخصوص الدولة العربية الموحدة، فقد نادى بوجود قيامها على أساس الدستور الليبيرالي، يترأسها حاكم مسلم عربي، شرط أن يحترم استقلال لبنان ونجد واليمن. وكان يرى في شريف مكة الخليفة، يعاونه واحد من أفراد الأسرة المصرية الحاكمة. والخلاص بالنسبة إلى العازوري لا يتمّ إلاّ بمساعدة إنكلترا وفرنسا، وهما صاحبتا التقاليد الليبيرالية.^(٨)

في خضمّ هذه الأفكار المشتتة والمتنوعة، والتي تنطلق في أساسها من مبدأ الإستقلال أو شبه الإستقلال عن الدولة العثمانية الغربية عن الأمة السورية العربية من حيث الجنس والعرق والتقاليد والتاريخ واللغة وغيرها،

وبخاصّة أن هذه الدولة قد شاخت وأصابها العجز وصارت مطمحًا لذوي القوى من الدول الكبيرة في العالم. في هذه الأجواء، كما رأينا، نمت الروح القومية العربية، والكرديّة، والأرمنيّة، وأيضًا القومية اللبنانية التي اتخذت وجهًا خاصًا مع ظهور رواد من المثقفين اللبنانيين. ونذكر أن هؤلاء كانوا يطالبون إمّا بقيام دولة (عربية واحدة) أو دولة (سوريا الكبرى) أو (لبنان الكبير)، على أساس الديمقراطية والعلمانية واللامركزية، كما دعا إلى ذلك شكري غانم وجورج سمّنة، اللذان وجدا في الأمة السورية شرخًا من ناحية الوحدة الإجتماعية والسياسية، على الرغم من الوحدة الطبيعية والتاريخية، والسبب يرقى إلى التباين الثقافي في شعوبها بالنسبة إلى العادات والتقاليد والمعتقدات، وهذه الشعوب لم تعرف حكمًا وطنيًا يضمّ سلطة نالت رضا الشعب وعملت في سبيله، وكانا يعتقدان بقيام دولة تعتمد الحكم الديمقراطي العلماني اللامركزي. ((وأن يكون دستورها دستور دولة إتحادية مؤلّفة من أفضية متممّة بحكم ذاتي واسع، تحدّد بقعة كلّ منها حسب العنصر القومي أو الدينيّ الغالب فيها، ويكون أساسها الروحي شعور قوميّ واحد يسمح لجميع الفئات الدينية أو العنصرية بأن تتعاون تعاونًا تامًا ومتساويًا، وكانا يعتقدان أيضًا أن هذه الوحدة كانت في طريق التكوّن بتأثير التربية والمدنية الحديثتين، وأن القومية السورية المشتركة قد أخذت تبرز إلى الوجود، قائمة على الثقافة، أي على اللغة العربية وكنز التقاليد القديمة المشتركة وتراث ذكريات الشرق المجيدة. لكنّهما كانا يعترفان بأن مثل هذه الروح تحتاج إلى وقت طويل كي تستكمل نموّها وتحرّر من الولاءات الدينية التي تجرّئ البشر، وبأنّ على لبنان، ريثما يتمّ ذلك، وبعد توسيع حدوده، أن يحتفظ بكيانه كمثال على ما ستكون عليه جميع المناطق في المستقبل. لكنّه، عندما يحين الوقت لإنشاء الدولة السورية العلمانية، سيأخذ مركزه فيها كإحدى ولاياتها)).^(٩)

نلاحظ أنّه على الرغم من كلّ هذه التوجّهات الاستقلالية، ((فالولاء القومي لم يكن بعد قد حلّ محلّ الولاء الدينيّ لدى الكثيرين من

المثقفين، وربّما لدى معظم عامّة المسلمين، فبقيت قوّة الإسلام وسلطة الخليفة واستقلال الإمبراطورية أهمّ الاعتبارات لديهم))^(١٠). هكذا شعر أنصار القومية العربية من المسيحيين، بأنّه ليس من الممكن فصل العروبة عن الدين الذي أوجده العرب وجعلهم أمة موحّدة، وأعطاهم الثقافة والقوانين وسبل الحضارة، فكان البديل لديهم المناداة بالقومية السورية، التي، كما ظلّوا، هي الحلّ الوحيد والأنسب، فيؤسسون دولة ذات تاريخ عريق، وعادات وتقاليد متقاربة قبل أن يكون لها ديانات، فكلّ فرد في هذه القومية يؤمن بما يشاء وولاءه يكون للدولة الموحّدة، فالأمة هي موضوع الولاء الأوّل والأخير، وتكون المصلحة القومية هي مقياس السياسة والتشريع. وبالمقابل نرى إدمون رباط يعارض في كتابه (الوحدة السورية والمصير العربيّ) فكرة القومية السورية وينادي بالقومية العربية، ولبنان جزء متميّز من هذه القومية. فهو عربيّ في شعوره كما في لغته، غير أن (مدنية عربية بطابع محليّ) أو شعور إقليميّ، قد نشأت فيه مع الزمن... وقد دام واستقرّ بفضل تراث قائم على الحرية الدينية والحكم الذاتي والسيطرة المسيحية

٨- Azoury, Najib, Le Reveil de la nation Arabe, Paris 1905.

٩- م. ن، ص ٣٤١-٣٤٢، بالإستناد إلى المراجع الآتية:

Khairallah, K.T, Les regions Arabes liberees, Pari s, 1919 , pp32.

Khairallah, La Syrie, R du monde Musulman, 1912 v.14, 1-143, pp 16, 106. Samne, G. La Syrie , Paris 1920.

١٠- الفكر العربيّ في عصر النهضة ، ص ٣٤٢.

أما بخصوص المسيحيين العرب فأمرهم يختلف طبعاً، مال بعضهم إلى حد ما نحو القومية بأشكالها المختلفة، وآخرون توزعوا في انتماءاتهم بحسب ما تملية عليهم طوائفهم. فالطوائف التي كانت تدين بالولاء إلى روما الكاثوليكية، بقيت على ولائها لسلطة بطاركتها، حيث لها امتيازاتها وعاداتها وطقوسها الخاصة الموافق عليها من قبل روما. وقد جعلوا اللغة العربية أو السريانية لغة الطقوس لديهم، وقاموا بشدّة كل محاولة يقوم بها المرسلون الكاثوليك الغربيون لحملهم على تبني الطقوس والفرائض الدينية اللاتينية، والإذعان لرقابة الفاتيكان التامة عليهم. أمّا الأرثوذكس فكانوا ينزعون نحو الإستقلال والحرية، ومال قسم منهم نحو القومية العربية. فلقد كان البطريرك اليوناني في القسطنطينية رئيساً مدنياً لكنيسة الأرثوذكسية كلها منذ عام ١٤٥٣، وكان بطاركة إنطاكية والقدس والإسكندرية من اليونان. نتيجة لهذه السيطرة اليونانية، بدأ الامتعاظ يتكوّن في بلاد الشام من قبل السكّان الأرثوذكس، وأخذت النعمة تنمو وتزداد منذ أواخر القرن التاسع عشر، ولاسيما مع دعم الروس لهم،

فصاروا يطالبون بالإستقلال عن سلطة اليونان. في تلك الأثناء جرى تنافس بالنسبة إلى منصب الكرسي البطريركي الإنطاكي بين مرشّح عربي وآخر يوناني، وأيدت روسيا المرشّح العربي، وسعت لدى الدولة العثمانية لكي تؤيد مرشّحها؛ وهكذا فاز، للمرّة الأولى، المرشّح العربي بمنصب بطريك إنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس.^(٤)

ومع دخول البروتستانتية بلادنا، أخذ التأثير بالحضارة الغربية يزداد، وبخاصّة مع إنشاء مراكز مهمّة للعلم والثقافة، وعلى رأسها الجامعة الأميركية في بيروت.

لبنان... وبدايات اليقظة والتمرد

أنشأ عدد من الشبّان المسيحيين من حلقة البستاني عام ١٨٧٥ جمعية سرية، مناوئة للدولة العثمانية. وصاروا بين عامي ١٨٧٩ و١٨٨٠ يلصقون ليلاً على جدران بيروت المناشير الخاصة بهم، والتي يدعون فيها أبناء بيروت ولبنان وسورية للإتحاد، والإستقلال، وجعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية. وطلبوا في هذه المناشير أيضاً بالحرّيات، وبخاصّة حرية الفكر والتعبير وإبداء الرأي. ولعلهم في ذلك الزمن كانوا على اتصال بمدحت باشا العثماني، الذي كان متحرّراً ويرغب في جعل تلك البلاد مستقلة أسوة بمصر.^(٥)

هؤلاء الشبّان كانوا ثمرة مدارس الإرساليّات، وكان لديهم توجهات مختلفة تطلّوها فكرة التحرّر. منهم من كان يرى في قيام لبنان المسيحيّ المستقلّ تحميه دولة أوروبية كاثوليكية، أي بتعزيز سلطة المتصرفيّة التي أنشئت عام ١٨٦١. نذكر هنا ما كتبه اللبنانيّ بولس نجم الذي كان يوقّع مقالاته باسم (مسيو جوبلان). هذا الكاتب تحدّث عن سوريا كوحدة تاريخية مميّزة، ولها خاصيّة فريدة ذلك بأنّها كانت منذ الأزمنة البعيدة صلة الوصل بين الحضارات المتنوّعة، ويجب أن تبقى كذلك. بيد أن لبنان الذي هو من بلاد سوريا فله وضع خاصّ. فشعب هذا البلد

الصغير مساحة شكل أمة لبنانية منذ بدء التاريخ، وكان لها خصائصها المميّزة في العالم السوريّ، وتمنّع بحكم ذاتي واسع على الرغم من احتلاله من قبل العثمانيين. وطالب بولس نجم بأن يكون للبنان دستور أكثر ديمقراطية، وأن توسّع حدوده لكي تشمل بيروت وعدداً من الأقضية. وطالب فرنسا بأن تسعى في هذا السبيل.^(٦)

إنّ توجهات من طالب بلبنان المستقلّ كانت ترمي في معظمها تقريباً إلى جعله ضمن إطار سوريا الطبيعية (من جبال طوروس حتى صحراء سيناء)، والتي تضمّ طوائف متعدّدة، يتعاونون بألفة ومودة، بحيث تزول أهميّة الأكثرية أو الأقلية. مثل هذه الأفكار نادى بها بطرس البستاني، وخليل الخوري صاحب كتاب (خرائب سوريا) ومنذ ذلك الحين أخذ اسم سوريا الطبيعية ينتشر في الأوساط المثقفة، وبخاصّة بين خريجي مدارس الإرساليّات الأميركية ومعظمهم من المسيحيين الأرثوذكس والإنجيليين. وفيما بعد، من المسلمين والدروز. ولعلّ هؤلاء وجدوا في سوريا الطبيعية بديلاً عن لبنان المستقلّ ذي الوجه المارونيّ، الفرنسيّ التوجهات والثقافة. ومع ذلك فقد كان عدد من الكاثوليك يطالب أيضاً بقيام دولة سوريا، متأثرين بتوجهات الأب اليسوعيّ البلجيكيّ هنري لامنس، الذي كان من المؤمنين بسوريا الموحّدة المستقلة عن العرب. ونذكر أيضاً المطران الماروني يوسف الدبس الذي وضع كتاباً في تاريخ سوريا يقع في ثمانية مجلّدات، يعرض في واحد منها لفكرتي سوريا ولبنان وما يدور حولهما من لغط.^(٧)

إنّ هؤلاء الإستقاليين كانوا يكبرون ويعتروّن بأهميّة الثقافة العربية التي تضمّهم جميعاً وينتمون إليها، وبخاصّة اللغة العربية التي كانوا يجلبونها ويحبونها. ولكتهم كانوا يناهضون قيام خلافة يترأسها الحاكم العثمانيّ، ويعتبرون أنّ ذلك من حقّ العرب وحدهم، وهذا ما كان ينادي به جرجي زيدان الذي عمل من خلال كتاباته الكثيرة على إحياء ماضي العرب التليد. ولكنّ هؤلاء النهضويين

٢- الفكر العربيّ في عصر النهضة، ص ٣٢٢-٣٢٣.

٤- المصدر نفسه: ص ٣٢٦-٣٢٧.

٥- جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص ٧٩ (طبعة ١٩٣٨ بالإنكليزية)

٦- راجع كتاب (مسيو جوبلان) بالفرنسية: Jouplain, M, La Question du Liban, Paris 1908, pp 587.

٧- الفكر العربيّ في عصر النهضة، ص ٣٣٠.



د. أنطوان يوسف صفيير

الجيوسلوكية.. في بلاد فارس

من سيروس الثاني وقمبيز إلى داريوس (٦٥٣ - ٥٢١ ق.م.)..

إلى محمود أحمد نجاد (٢٠٠٦-...)

ماذا بقي من الموروث الفارسي في سلوكيات إيران اليوم؟

قراءة في جذور مكونات السياسة الإيرانية

توطئة |

بات من الثابت أكثر فأكثر، في العلم الحديث، أن الكائن البشري ومن ثم كل كيان إنما هو منظوم ومرسوس من قبل هذا الكائن؛ فالسلوكيات والأحداثيات الملازمة لمسار هذا الكائن أو ذلك الكيان.. لا تتأتى من الغيب واللاشيء، ولا يجوز استقراؤها خارج الأفهام التاريخية- الوراثي لهذا الكائن أو تلك الأحداثيات.

لا ظاهرات بعد اليوم خارج المفهوم أو فوق مقدور التفسير والتعليل. ثبت أن علوم الجينات أو الثورة الجينية La révolution génétique هي في أساس ما اسميه لعبة الشطرنج الوراثي أو التاريخ الوراثي لكل كائن أو شخص طبيعياً كان أم معنوياً، فلا الزمن ولا عناصر الكون والحياة أو متغيرات الوجود كانت لتؤثر أو تبدل في جوهر هذا الموروث. على ضوء إرشادات هذا المكون وغيره نحاول قراءة جديدة لمكونات السلوكيات السياسية لإيران في غرة الألفية الثالثة بعد المسيح.

عودة إلى الجذور

من الثابت، تاريخاً وعلماً، أن الخطوط الكبرى للعلاقات بين الشعوب أو المجموعات البشرية ترتسم في المحصلة نتيجة تجذرهم الجغرافي، كما تفيد الاكتشافات الأركيولوجية- الأثرية. أضف إلى ذلك

المسالك الطبيعية وطرق المواصلات التي على امتدادها تطورت التجارة، وتلك البقاع التي كان يسهل فيها استخراج المواد الأولية، وبالتالي إنتاج السلع والبضائع الضرورية للبلدان المعروفة زمن ذلك بالبلدان المتحضرة قياساً على البلدان الأخرى المسماة بلداناً بربرية لبعدها عن المناطق والأقاليم المتوسطة المجاورة للبحر الأبيض المتوسط. فعلى ضوء هذا المعطى الجيو- تاريخي أيضاً يسهل فهم المجريات والأحداثيات في البلدان الآسيوية الواقعة بعيداً إلى الشرق من المتوسط، ويهمننا منها هنا المنطقة الميبدو- فارسية Médo- Perse التي تشكلت جسر وصل واتصال بين سهول آسيا وسهوبها والأقاليم الشرق أوسطية.

في سلسلة موجات الهجرة عند الشعوب القديمة، حدثت حركة انتقال وترحال باتجاه الشرق لمجموعة من الشعوب الهندو- أوروبية، عُرفت بالشعوب الآرية أو الآريون Les Ariens. إلى هذه المجموعة تنتمي قبائل «السيث Scythes» و«السيميريين Cimmériens» الذين حافظوا على أنماط حياة البدو الرحل؛ تليهم القبائل الهندية أو الهنود Indiens. وبين هذه وتلك احتلت أرومة الشعب الإيراني مرتبة مرموقة. وقد ازدهرت أصول الشعب الإيراني عندما هاجرت مجموعات منها صوب الهضبة الواقعة إلى الجنوب من منطقة الكوكاز Caucase. وكان أن غزا «الميديون Médes»

المنطقة التي إلى الشمال الشرقي من بلاد «اليلاميت Elamites». أما الفرس الذين ظهروا في البداية مجموعة عشائر شبه بدوية «Semi-nomades» على تواصل مع «السيث» و«السيميريين»، فكانوا يعيشون في الشمال الغربي من بلاد «الميديين» في جوار بحيرة «فان Van»، ثم ما لبثوا أن استوطنوا جنوب «ميديا Médie» في الأصقاع الممتدة حتى الساحل الشرقي من خليج فارس.^(١) أما الرأي السائد عامة فهو في أن الفرس وصلوا إلى هناك قبل «السيث» و«السيميريين» بقرن كامل، وأعطوا اسمهم لمنطقة «ارشنا Barshana» على بحيرة «أورانيا Auranie»، ثم نزحوا في موجات متعاقبة صوب الجنوب واستوطنوا الشواطئ الشمالية- الشرقية من الخليج الفارسي. وكان سيروس الكبير، رابع حاكم عشيرته، يترع على عرش «أنشان أو أنسان Anshan / Anssan» في القسم الجنوبي من بلاد «اليلاميين Elamites» الواقعة إلى الشرق من بابل^(٢) في جوار مدينة «سوز Suze»، التي ستصبح عاصمة

من سلسلة «أبحاث في الحضارات القديمة»

(١) مرجع الخريطة مستند رقم ١.
(٢) إلى هذا التجاور الجغرافي منذ ذلك الزمن وجب إرجاع تداعيات ذات البين بين العراق وإيران عبر التاريخ.

والإتصال بالغرب... ويقول ربّاط: يجب الاحتفاظ بوضع خاصّ للبنان ضمن الوحدة العربيّة.^(١١)

أمّا لبنان، فكان أكثر المطالبين باستقلاله، يتطلّعون إلى استقلاله أيضًا عن سلطة دمشق عاصمة القوميّة العربيّة المنشودة، بنظر دعاة هذه القوميّة. وكانوا يعتبرون لبنان بلدًا متوسطيًا، له علائق مميّزة وقديمة مع الغرب المسيحيّ، مع حرصهم أيضًا على استقلال كنائسهم الكاثوليكيّة الشرقيّة، وكانوا فخورين بلغتهم العربيّة وآدابها، ومدركين بأنّه ليس بإمكانهم تجاهل ما وراءهم من بلدان سوريّة وعربيّة لها تأثيرها الإقتصاديّ والثقافيّ فيهم.^(١٢)

جاءت الحرب العالميّة الأولى، وقد راهن كثيرون على اندحار الدولة العثمانيّة، فتعدّدت الآراء والأفكار. منهم من راح يطالب بقيام دولة عربيّة برئاسة ملك عربيّ، يمكن أن يكون شريف مكّة. وآخرون نادوا بدولة عربيّة واحدة يرأسها خليفة. ومنهم من طالب بالدولة السوريّة المستقلّة ذات النظام الإتحاديّ، وتكون علاقتها مرنة مع عراق مستقلّ، وحجاز مستقلّ. ورأى عدد من اللبنانيين وبخاصّة الموارنة منهم، ضرورة استقلال لبنان استقلالاً تاماً، تخوّفاً من عودة الحكم الإسلاميّ، أو إنهم وجدوا أنّ

بريطانيا وأطماعها وراء الشريف وأولاده، ولبنان فرنسيّ الإتجاه بحكم المودّة والصداقة القديمة، من أجل هذا طالبوا بلبنان المستقلّ الموسع الحدود مع بيروت عاصمة له. وهكذا ترأس داود عمّون الوفد اللبنانيّ الأوّل في مؤتمر السلام، الذي عقد بُعيد انتهاء الحرب، في فرساي. وقرّرت فرنسا إنشاء دولة جبل لبنان بموجب خارطة ١٨٦٠، ويتبع ذلك ضمّ بيروت وطرابلس، مع إعطاء بلديّتي هاتين المدينتين صلاحيّات أوسع. وسافر أيضًا إلى فرنسا من أجل المفاوضات البطريرك المارونيّ الياس الحويّك (١٨٤٣-١٩٣١) واجتمع فور وصوله إلى باريس في ٢٣ آب سنة ١٩١٩ بالرئيس الفرنسيّ ريمون بوانكاره. وقد استطاع بعد مفاوضات مكثّفة الحصول في ١٠ تشرين الثاني على وعد مكتوب باستقلال لبنان، وذلك من خلال رسالة خاصّة كتبها رئيس المؤتمر كليمنصو، ويمكن أن نعتبر هذه الرسالة بمكانة الوثيقة الشرعيّة الأساسيّة لاستقلال لبنان الحديث. بقي البطريرك في باريس حتى ٢٥ كانون الأوّل من السنة عينها، عاد بعدها إلى لبنان على أن تتابع المفاوضات في السنة القادمة.^(١٣)

وهكذا صار، فأوفد البطريرك في أوائل شباط من سنة ١٩٢٠ المطران عبدالله خوري، ليرأس الوفد اللبنانيّ إلى باريس بغية إتمام المفاوضات من أجل الإتفاق على إنشاء دولة لبنان الكبير المستقلّ، وقد تألّف الوفد من: إميل إدّه، يوسف الجميل، الأمير توفيق ارسلان، وانضمّ إليهم فيما بعد المطران كيرلس مغيب. كان من المقرّر أن يكون من أعضاء الوفد أيضًا كامل الأسعد، والفرد سرسق، لكنّهما اعتذرا عن السفر لأسباب شخصيّة! كما ورد في مفكّرة المطران عبدالله خوري. استمرّت تلك المفاوضات حتى ٢٥ أيلول، ولم تكن سهلة، بل وقفت في وجهها ظروف وأحوال سياسيّة مختلفة، منها حركة الأمير فيصل بن شريف مكّة التي كانت ترمي إلى الإستقلال بسوريّة الطبيعيّة كلّها تقريبًا بما فيه لبنان، وجعله ملكًا عليها، وذلك بدعم من الإنكليز، ومن لبنانيين من مختلف الطوائف. وثمّة تباين في الآراء بالنسبة إلى توسيع رقعة لبنان، كما نلاحظ من خلال ما

ورد في مذكّرات رئيس الوفد، وأن آراء اللبنانيين أنفسهم لم تكن متطابقة، وكان ثمة اختلاف في الرأي، وبخاصّة بالنسبة إلى ضمّ بيروت إلى لبنان الكبير، كما كانت تبرز آراء متنوّعة، منها جعل جبل عامل وجبل النصيريّة دويلات منفردة تنضمّ إلى لبنان بحسب النظام الكونفدراليّ. هذه الآراء المتباينة كانت موزعة بين الموارنة أنفسهم^(١٤)، وكذلك كان الأمر بين غيرهم من الطوائف والمذاهب الأخرى. وقد أشرنا سابقًا كيف تخلف كامل الأسعد ممثّل الشيعة، والفرد سرسق ممثّل الأرثوذكس عن المشاركة في المفاوضات. ومهما يكن من أمر اللبنانيين ونزاعاتهم، فإنّها تترك مجالاً لمن يتدخل ويقنع ويفرض الحلّ في النهاية، وكان ما كان من الإنتداب الفرنسيّ، واستقلال لبنان بعد الحرب العالميّة الثانية.

ونختم بحثنا هذا الذي تناول حقبة مهمّة في تاريخ لبنان والبلاد العربيّة، بالإشارة إلى أن اللبنانيين كان لهم الدور البارز والمهمّ في تفضيل الحركة السياسيّة والفكريّة والأدبيّة والقوميّة والوطنية في هذه الحقبة التي تحدّثنا عنها والتي شملت القرن التاسع عشر وامتدّت حتى بداية الأربعينيّات من القرن العشرين. هو لبنان المزيج من مدنيّات متنوّعة ومختلفة، متوسطيّة وعربيّة، أسهمت كلّها في تكوينه منذ أوف السنين. من هنا نرى أهميّة تعدّد الثقافات لدى سكّانه منذ زمن بعيد، فنراه منفتحًا على كلّ الأفكار التي تهبّ عليه من كلّ صوب. الحرّيّة ميّزته: حرّيّة الفكر والرأي، وحرّيّة الاقتصاد والتجارة، وحرّيّة الانفتاح على دول الكون كلّ، وتنوّع في المجتمعات والتقاليد والعادات والطقوس... ويبقى الولاء في النهاية للبنان. هذه الميزة الفريدة كانت دائمًا سبب قضيّته، ومشكلته، ومحنته المتكرّرة، وعزّته، وسؤدده. فهو لا يقوم إلّا بالحوار وبالتآلف، فلا تطغى فئة فيه على أخرى مهما بلغ عددها، والكلّ يجب أن يكون تحت سلطة القانون الواحد. لبنان هذا الطود المشربّ بأنفة وشموخ بين البحر الأوروبيّ والصحاري العربيّة، يبقى على أصالته مهما صارعته الأنواء والعواصف العاتية.

١١- المصدر نفسه، ص ٣٧٠-٣٧١، نقلًا عن: Rabbat, Edmond, Unite Syrienne et devenir Arabe, Paris 1937.

١٢- م.ن. ص ٣٤٢

١٣- مفكّرة المطران عبدالله خوري، منشورات جامعة سيّدة اللوزية.

١٤- المصدر نفسه، ص ١١٩.

بعودة العبرانيين إلى موطنهم بعد سبيهم إلى بابل. وربّ سائل راءٍ أو متطيرٍ يقول: هل من شبه بين الأمس واليوم؟ سياسة مسلّكية التسامح هذه الموروثة من أيام سيروس وقمبيز، تطوّرت في عهد داريوس إلى انبثاق مبادئ الموائفة التضامنيّة Symcrétisme الممهّدة لتسهيل اقتبال مفهوم الشموليّة والجامعيّة Universalité الملازمة زمن ذاك لأخلاقيّات وقيم الزرادشيّة، والمتوافقة اليوم- بفعل منطلق الموروث الحضاريّ- مع مستلزمات عقيدة التوحيد monothéisme أو ثورة التوحيد المستعر أوارها، ولاسيما بعد قيام الثورة الخمينيّة، الأمر الذي أعاد إلى الذاكرة شيوع مبادئ العقيدة البانسلاميّة Panislamisme في غرّة القرن العشرين.

وحيث أنّه في البعد الحضاريّ والإنسانيّ تبقى الموائفة والشموليّة مآثرتين في التاريخ البشريّ، فلا بدّ من أن نسجّل لحكام بلاد فارس في ذلك الزمان من سيروس إلى قمبيز إلى داريوس مآثره ثالثة أخرى: فعلى نقض قساوة جيروت الأشوريين والبابليين، تصرّف حكام بلاد فارس بمشاعر تفهم وتعاطف إنسانيّة Humanisme et Compréhension، تجاه الشعوب التي أخضعوها وتقاليدهم وتراثهم. فقد نصّبوا ولاة محليّين وحكاماً بلديّين على رأس المقاطعات الخاضعة لهم. وجهودا في وضع قوانين وأنظمة وشرائع معقولة ومقبولة من شعوبها بهدف إشاعة العدالة والأزدهار. وكان من صلاح هذه السياسة المضبوطة والممسوكة أن شاع ما نفاخر بتسميته اليوم- وربّما عبثاً- بحوار الثقافات أو الحضارات. ونتج عن هذا التفاعل الطوعيّ والتبادل الخصب ارتفاع المنسوب الثقافيّ الحضاريّ لدى الشعب الفارسيّ وعند الشعوب المتداخلة معه جغرافياً وحياتياً. هذه الطريقة في الحكم بلغت سدرتها العليا وقمة كمالها مع داريوس الذي قسّم إمبراطوريّته الشاسعة إلى عشرين إقليمًا أو مقاطعات Satrapies، تميّزت بحسن تنظيم الإدارة والقضاء والماليّة والدفاع. وأولى اهتماماً خاصاً بشقّ طرق المواصلات وتأهيلها بمحطّات وقلاع محصّنة وصلّت عملة ذهبيّة موحّدة: «داريك» (Darique) (والتسمية مشتقة

من الكلمة الأكاديّة ومعناها الذهب). وإلى جانب غايات التواصل والتبادل والتفاعل المادّي والفكريّ، كان لشبكة الطرق الواسعة مهمّة أخرى، وهي تسهيل الدفاع عن الإمبراطوريّة الشاسعة بواسطة فيالق جيش كبير، دائم الحضور والتأهب. ورغم أنّ هذا الجيش كان يفتقد بعض الوحدة واللحمة والانسجام، بسبب الاختلاف والتباين بين مجموعاته لجهة العرق والجنس واللغة والتقاليد، فقد لعب هو أيضاً دوراً أساسياً مكوّناً في حركة التواصل والتمازج والتفاعل بين شعوب وأقاليم مختلفة وبعيدة بعضها عن بعض، بأن سار بها إلى تقاسم شراكة حياة واحدة وعيش واحد. أضف إلى ذلك ظاهرة أخرى: لقد استعان أباطرة الفرس، لبناء قصورهم ومدافنهم الملوكيّة، بجمهرة من الحرفيّين والمهندسين من أقاليم شديدة الاختلاف والتنوّع، وفي هذا أيضاً تمازجت وتخالطت المفاهيم والنظريّات الفنيّة والعمرانيّة في لوحة رائعة من الفسيفساء الحضاريّة، عنوانها الكبير: حوار الثقافات ولقاء الحضارات، وذلك قبل ما ينيف على ألفين وخمسمائة من القول بهذه المصطلحات وتنزيلها في لكسيك العلوم الاجتماعيّة والسياسيّة في خاتمة الألفيّة الثانية بعد المسيح.

وبعد، وفي نهاية النهايات نخلص إلى ثوابت الاستنتاج الخمس التالية:

□ | الثابتة الأولى: الدولة القويّة المحكمة التنظيم هي التي استولدت وأنتجت القوميّة الفارسيّة، وليس العكس.

□ | الثابتة الثانية: التمدّح الدينيّ أو التطيّف هو في خدمة- أو لخدمة- هذه القوميّة، وليس العكس.^(٧)

□ | الثابتة الثالثة: نزعة التوسّع والمدّ والامتداد؛ من التوسّع الجغرافيّ الأقاليميّ ماضياً، إلى نزعة التوسّع والامتداد في النفوذ والأيدولوجيا حاضرًا.

□ | الثابتة الرابعة: مبدأ القطبيّة. بلاد فارس: من قطب جاذب مستقطب لبلدان وشعوب في العالم القديم، إلى السعي اليوم لتبؤ مركز القطب في الشرق وحجز بطاقة العضويّة في النادي النوويّ الكونيّ.

□ | الثابتة الخامسة: وفي كلّ ذلك ومنذ أقدم العصور مآثره شيوع مبدأ التوائف Syncretisme والإنسانيّة Humanisme والتسامح Tolérance بين المكوّنات اليسريّة لهذه الإمبراطوريّة الفارسيّة الشاسعة الأرجاء. وهكذا فعل قمبيز الثاني بعد سقوط منفيس وتنصيبه فرعوناً شرعيّاً على مصر حوالي ٥٢٢ ق.م. وهكذا كان أمر داريوس والزرادشيّة ٥٢١ ق.م. وهل تكون هذه حال إيران الأمس واليوم مع الصوفيّة والتشيّع؟!

في مناظرة مباشرة على قناة الجزيرة مساء الأحد ٣١ كانون الأوّل ٢٠٠٦ بموضوع «الانتشار النوويّ والأمن القوميّ العربيّ»، يقول د. عبدالله النفيس، أستاذ العلوم السياسيّة في جامعة الكويت، ما حرفيّته: «إيران تشيّع العراق لمصلحة المشروع الفارسيّ.. فهل تعترف إيران بعروبة العراق؟»، ويقول د. عزمي بشارة، المفكّر والنائب العربيّ في الكنيست الإسرائيليّ: «إيران مرتاحة مع حالتها الفارسيّة.. إيران تستغلّ الحالة الشيعيّة». وهل نذكر كلمات صدام حسين الأخيرة وحبل المشنقة حول عنقه: «ليسقط الفرس.. لتسقط أميركا».

بيبلوغرافيا

- G. Bibby- Le millénaire retrouvé. Trad. D. Meunier- Paris 1961.
G. Contenau- Les Civilisations anciennes du Proche- Orient. Coll. "Que sais-je ?" Paris 1955.
Unesco- Histoire de l'Humanité. Tome II- Antiquité- R. Laffont ?
J.- Palamque- Les Impérialismes antiques. Coll. "Que sais-je?" Paris 1960.

(٧) هكذا كانت الحال مع سيروس الثاني وآله البابليين غداة احتلال بابل ٥٣٩ ق.م.

«الأندوس Indus»^(٤). حاول وضع حدّ لتدخّل قبائل «السيت Scythes» و«السيميريين Cimmériens» في حملة اجتياح طاولت ضفاف نهر الدانوب عابراً مضيق اليوسفور. وقبل استئنافه سياسته التوسّعية، انصرف إلى تنظيم إمبراطوريته الشاسعة تنظيمًا محكمًا^(٥)، حيث كانت إمبراطوريته تشمل مساحات جغرافية هائلة: من حدود مصر حتّى بحر إيجه والأندوس؛ ومن الخليج الفارسيّ حتّى البحر الأسود وبحر Gaspieenne. وكان طموح داريوس أن ينتظم العالم المتحضّر برمته تحت سلطان عرشه في كيان سياسيّ موحد^(٦).

هذا الكيان كان قد مهّد لقيام سيروس الثاني ثمّ قميبيز من خلال سياسة الفتوحات والتوسّع الجغرافيّ مدعومة بتركيز آلية حكم ثابتة مع وسائل عمل متحرّكة ومتجدّدة بحسب الظروف والأحوال والأهداف البعيدة. من هنا نفهم أسرار ميزة سياسة التسامح Tolérance لناحية الدين عند كلّ من سيروس وقميبيز، مثلما رأيناها يتقربان من آلهة البلدان التي يستوليان عليها. وفي عمق هذا السرّ وغيره، بتنا نعرف السرّ في قرار سيروس



(٣) في هذه الواقعة وإلى جانب حساسيات التجاور الجغرافيّ وجب تلمّس بذور التصارع التاريخيّ بين إيران والعراق.
(٤) أوّل بادرة تقارب فارسيّ-عربيّ على أرضية مصالح إستراتيجيةّ عسكريةّ مقدّمة لما سيكون في التاريخ من دواعي مصالح إيدولوجيّة دينيّة.
(٥) ميزة الدولة الفارسيّة الإيرانيّة في ما بعد وفوق كلّ التسميات.. كانت وما تزال في ثوابت هذا التنظيم المحكم للدولة.. غداة سقوط شاه إيران سنل أحد قادة العالم الكبار: وماذا بقي من إمبراطوريّة الشاه بعد سقوطه المدوّي؟ أجاب: دولة عظمى منظمّة.

(٦) والسؤال الملحّ اليوم: هل يكون طموح محمود أمّدي نجاد، رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، أن ينتظم العالم الشرق أوسطيّ اليوم (المسمّى «العالم المتحضّر» أيام داريوس) تحت سلطان عرش الأيدولوجيّة الخمينيّة، فنكون انتقلنا بذلك ولمنطق آليّة الترانسفير Transfert من الفتوحات العسكريّة إلى الفتوحات الأيدولوجيّة، ومن نزعة المدّ والتوسّع في جغرافيا الأراضي والبلدان إلى التوسّع والامتداد في جغرافيا العقيدة والوجدان؟!

الزّمان^(٤). أرسل جيوشه مع حلفائه إلى غرّة. انتصر على الفرعون المصريّ «بسامتيك Psammétique الثالث». ومع سقوط «منفيس Memphis» أمر باعتقال الفرعون المصريّ وسجنه وجرى تنصيب قميبيز الفارسيّ فرعوناً شرعيّاً على مصر مشمولاً برضى الآلهة المحليين وإنعامهم، كما حظي سابقه سيروس الثاني غداة احتلاله بابل كما سبق ذكره.

لكنّ قميبيز عجز عن مواصلة فتوحاته صوب الجنوب حتّى الحبشة (أثيوبيا) أو التقدّم غرباً حتّى قرطاجة العاصية على الفاتحين. فاضطرّ إلى التوقّف في منطقة «النوبة Nubie» في مصر و«سيرانيك Cyrénaique» (ليبيا اليوم). عند وفاته تنازعت إمبراطوريته الواسعة محاولات انفصاليّة في بلاد فارس وبابل وليديا ومصر.

واعتلى داريوس (٥٢١-٤٨٦ ق.م.) عرش الإمبراطوريّة الفارسيّة، وهو من سلالة «الأرشميد Achemenides» ومعتنق العقيدة الزرادشتيّة.

في المرحلة الأولى من حكمه انصرف داريوس إلى توسيع رقعة إمبراطوريته في مناطق

«الأرشميديين Archéménides». ولمعرفة تاريخ هذه السلالة التي توارثت الحكم على الأراضي الفارسيّة تحسن مراجعة: Cambridge. Ancient History- 1926 IV. P. 2 et sequens. وأطلّ عهد سيروس الثاني (٥٥٨-٥٢٩ ق.م.)، وهو من «الأرشميديين» الذين كانوا أمراء بلاد Anshan، فأنهى توحيد بلاد الفرس، وأخضع لسلطانه بلاد الميديين، واستولّى على مدينة إيكتابان Ectabane (٥٥٠ ق.م.) ومن ثمّ على كامل الإمبراطوريّة الميديّة L'empire médé. وصعد غزواته بدءاً من ٥٤٧ ق.م. فحقّق انتصارين كاسحين على كريزوس Crésus ملك ليديا Lydia. وكان هذا الأخير احتاطاً للأمر، فعقد تحالفاً وقائيّاً مع كلّ من الكلدانيّين إلى الشمال^(٣) والمصريّين إلى الجنوب. وهكذا استتبّ الأمر لسيروس، فأحكم سيطرته واحتلاله لمملكة كريزوس، ومعها المدن اليونانيّة على الساحل الآسيويّ، فأصبحت جزءاً من مملكته. وواصل سيروس زحفه حتّى بحر Gaspieenne: إلى الشمال وصل حتّى بحر «أرال Aral»، وإلى الشرق وصل حتّى ضفاف نهر «الأندوس Indus»، ومنه إلى هضاب جبال حملايا. وبعد أن استتبّ له الأمر، شرع في أخذ الثأر من حلفاء كريزوس، فاحتلّ عنوةً بابل (حوالي ٥٣٩ ق.م.) والمناطق المجاورة، ونصّب نفسه الحاكم الشرعيّ المطلق عليها مكتسباً قبول ورضى الآلهة المحليين؛ وهذا ما سنرى خليفته فاعله لاحقاً في مصر- وفي هذا أكثر من علامة فارقة...

عند وفاة سيروس، عجلّ خليفته قميبيز الثاني (٥٢٩-٥٢١ ق.م.) بمتابعة حملاته وتوسيع مساحات فتوحاته. تحالف مع عرب ذلك



د. زهيدة درويش جبور

الواقعية في أدب نجيب محفوظ

«السريرية» نموذجاً

لقد أراد الكاتب من خلال هذه الشخصية أن يقدم نموذجاً للمثقف الذي يعيش أزمة الانفصال بين الفكر والواقع، ويعاني من ازدواجية الهوية، ويقع فريسة الشعور بالخيبة والمرارة، فمدرس اللغة الانجليزية في السلحدار الابتدائية هو في الوقت عينه قارئ نهم لكتب الفلسفة، وباحث قلق عن الحقيقة التي تقوده إلى الشك والتساؤل وإعادة النظر في الأخلاق والمعتقدات والأفكار السائدة. غير أنه لا يترجم ذلك على سعيد الممارسة، ولا يتمتع بالجرأة الكافية ليعيش وفق ما تعلمه عليه ميوله وقناعاته: يشرب الخمر ولكن ليس في الأماكن المأهولة، ويرود المواخير ولكن بسرية تامة مما يحمل صديقه إلى أن يخاطبه قائلاً: «كيف تطيق هذا الوقار كله؟ نظارة وشارب وتقاليد! حررت عقلك من كل قيد أما جسمك فكله قيود، أنت خلقت بجسمك على الأقل لتكون مدرّساً...» (ص ١٥٢). ولعل هذا التناقض في الشخصية يضيء عليها الطابع المأساوي من دون أن يسلبها سمتها الواقعية، ذلك أن ازدواجية المثقف هي من الأدواء التي يعاني منها المجتمع العربي بشكل خاص والمجتمعات التقليدية بشكل عام حيث تطفئ سلطة

دقة الوصف والعناية بالتفاصيل، مما يجعل الرواية شديدة الالتصاق بالبيئة المصرية، ويضفي عليها طابع الالتزام كما سببنا لاحقاً. يكشف الروائي في الرواية نفسها عن طبيعة انتقائه لشخصياته وعن العلاقة التي تربطهم بنماذج واقعية حيث يقول على لسان رياض قلندس الذي جعل منه كاتب أقصوصات: «إنّ كثيرين ممن قرأوا أنفسهم في أقاصيصي قد زعلوا... لعله لأن لكل إنسان فكرة عن شخصه من خلقه هو، فإذا جرّده الروائي منها أبى وغضب... لكنّ الروائي قد يبدأ من شخص ثم ينسأه كلية وهو بصدد خلق نموذج بشريّ جديد، لا صلة بينه وبين الأصل إلا الإيحاء» (ص ١٩١). نستدلّ من ذلك على أنّ الكاتب يستقي الشخصية من الواقع من حوله، لكنّه لا يكتفي بمجرد نقلها إلى الرواية، بل يسعى من جهة إلى النفاذ إلى حقيقتها عبر التحليل والنظرة الثاقبة، ويخضعها من جهة أخرى إلى فعل خياله التحويليّ فيعيد ابتكارها من جديد حتى لا يبقى ممّا يربطها بالنسخة الأصل سوى خيط رفيع ضروريّ ليعطيها المصدقية. تتنوع الشخصيات وتكثر؛ فكلّ فصل من فصول الرواية يكاد يطالعنا بشخصية جديدة تدخل إلى عالم الحكمة التي تسير وفق خطّ مستقيم وتتابع فيها الأحداث في زمن أفقيّ يتطور بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٤٥. لكنّي لن أتناول منها سوى الشخصية الأساسية كمال أحمد عبد الجواد، لأنها الأكثر إتقاناً والأكثر تبلوراً.

من المعروف أنّ الرواية نوع أدبيّ محدث في تاريخ الأدب العربيّ مقارنة بالشعر الذي ترقى نشأته إلى قرون طويلة ماضية. ويعود ذلك لأسباب يستطيع أن يحددها علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع. فالعرب الأوائل اشتهروا بالمعلقات والملاحم والسير التي تناقلتها الأجيال ليتشكّل منها الأدب الشعبيّ أو الأدب الشفهيّ حيث يحتلّ الراوي مكانة مركزية. والواقع أنّ رواية السريرية لنجيب محفوظ، وهي المادّة التي تناولتها بالبحث، تشي بتأثير هذا الأدب الشفهيّ على فن القصّ عند الكاتب الذي يبدو لي فيما يبدو «حكواتياً»، غالباً ما يستسلم لمتعة السرد مسترسلاً في الكلام كأنه يكتب كما يتكلّم ممّا يؤثر سلباً في رأيي على القيمة الجمالية للغة من جهة، وعلى القيمة الفنيّة للرواية التي إذا ما قورنت بالرواية المعاصرة ذات الحكمة المعقدة المتماسكة والبنية المركّبة لكشفت عن سهولة واضحة في البناء والتقنيّة الإبداعية. لكن حتى لا نظلم الأديب الكبير العربيّ الأوّل الذي حاز على جائزة نوبل للأدب، علينا أن نضع العمل في سياقه التاريخيّ؛ فهو يعود إلى مطلع الخمسينيات حيث كانت الرواية العربية لا تزال في بداياتها، وحيث كان السرد الكلاسيكيّ هو السائد. ولعلّ أهميّة أدب نجيب محفوظ تكمن في تصوير الواقع المصريّ، وفي تسليط الضوء على بعض المشاكل والآفات الاجتماعيّة معتمداً مذهب الواقعية التي تظهر من خلال انتقائه لشخصيات الرواية الذين يتحرّكون في إطار زمنيّ ومكانيّ شديد الصلة بالواقع، وكذلك من خلال

توطئة

عندما كان الشرق يرزح تحت احتلال المغول لبغداد عام ١٢٥٨ كان المشرق العربيّ يعيش حالة بؤس وتخلف وانحطاط؛ فلا صوت يعلو، ولا قلم يثور، ولا أمل يخرق ظلمات الاستبداد والفساد.

في هذا الواقع المرير انغلق المجتمع العربيّ على نفسه، وسدّ جميع المنافذ على ذاته، ولم يعد بالإمكان التحرّر من هذا التخلف إلاّ من خلال نافذة تشرف على الخارج.. فكان إنشاء المدرسة المارونيّة في روما سنة ١٥٨٤، التي اعتنت العناية الفائقة بتعليم اللغات الأجنبيّة، وإتقان تلامذتها هذه اللغات ونقلهم منها وإليها، تعريباً وترجمةً، فنشأ التفاعل بين الشرق والغرب ثقافياً وحضارياً.

وخلال الحكم العثمانيّ لمشرقنا العربيّ، ابتكر الرهبان الموارنة الكتابة الكرشونيّة (العربيّة بأحرف سريانيّة) لحماية ما يمكن حمايته من اللغة العربيّة من آفة التتريك (التحويل إلى التركيّة).

نتيجة لهذا التفاعل الأدبيّ تولّدت نظرة جديدة، لم يكن للأدب العربيّ بها عهد من قبل، فأخذ النثر العربيّ يغزو مجالاً جديداً، هو مجال القصص.

وقد مهّدت الترجمة لهذا الفنّ ووطّدت بدايته، وساعدت على انتشاره.

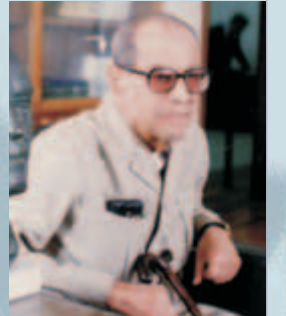
ومن العوامل المهمّة الأخرى التي أسهمت في خرق الجدران المحيطة بالمجتمع العربيّ آنذاك وانفتاحه على حضارة الغرب وفنونه الأدبيّة: مطبعة دير قزحياً سنة ١٦١٠، وافتتاح مدرسة عين ورقة سنة ١٧٨٩، التابعتين للكنيسة المارونيّة.

أيها الأصدقاء

ومتابعة متّ لهذا الدور الرياديّ والأدبيّ، نجتمع اليوم إحياءً لذكرى الروائيّ الواقعيّ الأديب نجيب محفوظ.

... ثمّ لا يسعني إلاّ أن أرحّب بكم موجهاً الشكر الجزيل لكلّ من أسهم في نجاح هذه الندوة، وخاصةً الجمعية اللبنانيّة لتشجيع المطالعة.

بهذا البعض ممّا قاله الأب جان أبوشورورش، مدير الجامعة في الشمال (برسا)، انفتحت الندوة جول جوانب من أدب نجيب محفوظ، والتي منها ننشر هذه المداخلة:



إنبي سائح في متحف لا أملك فيه شيئاً،

مؤرخ فحسب، لا أدري أين أقف

الجواد. هذه البوابة الخشبية التي تبدو من الخارج كأنها مدخل وكالة قديمة، وذلك السور العالي الذي يخفي ما وراءه خلا رؤوس الأشجار العالية، أمّا هذه الحديقة المظللة بأشجار التوت والجَمِيم والمهندسة بأشجار الحنّاء والليمون والفلّ والياسمين فشأنها عجيب، وعجيب أيضاً بركة المياه التي تنوّسّها، ثمّ الفرندا الخشبية التي تمتدّ بعرض الحديقة» (ص ٤٠).

ويتقن محفوظ فنّ البورتريه، فكأنّ الشخصيات أشخاص من لحم ودم يكاد يخرجون من مساحة الصفحة إلى ساحة الحياة:

«جلسا متجاورين (رضوان وعزّت حلمي في لقائهما مع عبد الرحيم باشا) على كنية مذهبة ذات غطاء أزرق وثير. ومرّت دقائق ثمّ سمعت حركة آتية من وراء الستار المسدل على باب كبير تحت صورة سعد، فاتّجه ناحيتها رأس رضوان وقلبه يخفق باهتمام. وما لبث أن تراءى الرجل في بذلة سوداء أنيقة، تنتشر بين يديه رائحة زكية، وقد بدا داكن السمرة، حليق الوجه، نحيل الجسم، مائلاً إلى الطول نوعاً، ذا قسماّت دقيقة براها الكبير، وعينين ذابلتين، أمّا طربوشه فقد مال إلى الأمام حتى كاد يمس حاجبيه، وكان يتقدّم هادئاً وقوراً في خطوات متقاربة وبطيئة معاً، فانعكس منه إلى قلب الشاب إجلالاً وطمأنينة» (ص ٦٨).

بشيء واحد هو استئصال الضعف البشريّ بكافة أنواعه، ومهما بدا علمنا قاسياً، وذلك للوصول بالبشريّة إلى مثال قويّ نظيفاً»، ومنهم الوصوليّ الذي لا يتردّد في أن يبيع نفسه للباشا الذي لا يقوى على مقاومة جماله وسحره: إنّه رضوان الذي ما إن حصل على شهادة الليسانس حتى عين سكرتيراً للوزير، في الدرجة الثانية، بينما يتعيّن خريجو الجامعات في الدرجة الثامنة (ص ١٧٥)، ومنهم الماركسيّ أحمد، «الزنيق» حسب تعبير أخيه عبد المنعم وهو من الإخوان المسلمين. عبر هذه النماذج يهدف الأديب إلى تصوير حالة المخاض في المجتمع المصريّ الذي يتلمّس طريقه للخروج من التقليد إلى الحداثة، ومن التبعية إلى الاستقلال، ومن الهيمنة الانجليزية إلى الانتماء الوطنيّ، وتتصارع فيه الأفكار والتيارات المتضاربة بين وافد من الغرب ومتأصل في الهوية الدينية. وهو يسهم من هذه الناحية في تسليط الضوء على مرحلة مهمّة في تاريخ المجتمع المصريّ، يصوّرها بواقعية وموضوعية، ويعرض وإن بطريقة غير مباشرة إلى بعض القضايا والمشكلات التي سنتطرّق إليها لاحقاً.

من مقومات الواقعية دقّة الوصف والعناية بالتفاصيل؛ وهذا ما يتوفّر في هذه الرواية، سواء بالنسبة لتصوير العادات والتقاليد- كاجتماع العائلة نهار الجمعة في البيت الكبير، واحتفالات شَمّ النسيم، وحفلات الأعراس ومجالس الأُنس- أو بالنسبة لتصوير الأمكنة الذي يتمّ أحياناً وفق تقنيّات الفنّ السابع وكأنّ هناك كاميرا تلتقط المشهد تدريجياً من الخارج إلى الداخل ومن الأكبر إلى الأصغر:

«كان منظر بيت محمّد عمّت بالجمالية من المناظر المألوفة المحبوبة لدى أحمد عبد

وبمحاذاتها دكّان اللبّان، وبيومي الشرباتي، وعلى بعد خطوات قهوة أحمد عبده التي يتهدّها الزوال والتي سيستعيز عنها كمال بمقاهي عماد الدين أو بقهوة الحسين الكبرى. فالمقهى من مكّونات المكان الأساسية في الرواية المصرية. إنّه مساحة للقاء، وللتأمّل، ولرصد حركة الشارع وإيقاع الحياة فيه، كما هو جغرافياً للضجر والكسل والبطالة، بل هو عالم مصغّر يختزل النماذج البشرية. هذه النماذج التي تنوّع في السكريّة، كما تنوّع فيها الأجيال ضمن عائلة السيّد: الجدّ والجدّة، الأبناء والأحفاد. فإذا كان أحمد عبد الجواد نموذجاً للأب المتسلّط الذي يهابه الجميع في العائلة البطريركية، فإنّ ابنه ياسين أراد أن يكون نقيضاً له في علاقته بأولاده: «ومهما يكن الأمر، فإنّه لم يطق لحظة واحدة أن يمثّل حيالهم دور الأب القاسي الذي مثله أبوه حياله، وكره من صميم قلبه أن يخلق في قلب رضوان شعور الرهبة والخوف الذي كان يجده نحو أبيه... وعندما كان يجمعهم حوله بعد منتصف الليل كان يفصح عن ولعه بهم من دون تحفّظ...» (ص ٦١). وإذا كانت أمينة زوجة مطيعة متفانية في خدمة زوجها وأولادها، فإنّ سوسن خطيبة حفيدها أحمد فتاة مستقلة عاملة مؤمنة بحريّة المرأة وبمساواتها بالرجل. فالزمن قد تغيّر، والمجتمع يتحوّل، والانفتاح على العصر الحديث لا مفرّ منه.

هذا من جهة. ومن جهة أخرى استطاع نجيب محفوظ أن يقدّم نماذج مختلفة لجيل الشباب في الأربعينيات: منهم المنبهر بإنجازات العلم وبفوق القوّة الذي تتأسّس عليه كلّ الإيديولوجيات العنصرية الفاشية. إنّه حلمي عزت الذي يعلن بحماس: «إيمان... إنسانية».

الغد! كلام فارغ، النظام القائم على العلم وحده ينبغي أن يكون كلّ شيء، يجب أن نؤمن

الجماعة على حقوق الأفراد وحرّيتهم. يتخبّط كمال أحمد عبد الجواد في مأساة مزدوجة عاطفية وفكرية مستسلماً للحيرة والعذاب، غير قادر على أن يمسك بناصية قدره وأن يختار حياته، بل لكأنه يقف منها موقف المشاهد المتأمّل، يعد أيامه وهي تكرر أمامه رتيبة، ويفتقد إلى المبادرة التي تعطي لوجوده معنى. ومرّد ذلك إلى اغترابه الفكريّ عن محيطه من جهة وإلى عدم تمثله للأفكار الغربية التي ينهلها من منابعها، لكنّها تبقى غريبة عنه ولا يتجاوز فعلها سطح ذاته من جهة أخرى. فهو يراكم المعرفة ليس إلا. لكنّه يبقى غير قادر على تحويلها إلى أداة لابتكار حقيقته الفريدة التي تتصالح فيها الذات والآخر. وخير دليل على ذلك قوله واصفاً تجواله عبر الكتب والمذاهب الفلسفية: «إنّي سائح في متحف لا أملك فيه شيئاً، مؤرّخ فحسب، لا أدري أين أقف» (ص ١٠٥). بل قد يكون شغفه بالمعرفة مجرد هروب من واقع لا يستطيع السيطرة عليه، فيستعاض عن العالم الحقيقيّ بآخر من الكتب والأفكار يلجأ إليه كلّما ضاقت به السبيل: «قد يلوذ من الوحشة بوحدة الوجود عند سبينوزا، أو يتعرّى عن هوان شأنه بالمشاركة في الانتصار على الرغبة مع شوبنهاور، أو يهون من إحساسه بتعاسة عائشة بجرعة من فلسفة ليبنتز في تفسير الشر...» (ص ١٥). كلّ ذلك يجعل من كمال أحمد عبد الجواد نموذجاً

سلبياً للبطل un anti-héros وفق مفهوم جان بول سارتر، ذلك أنّ الحرية التي يتمتّع بها تفتقد إلى صنوها، أي إلى الفعل القائم على الاختيار الواعي المسؤول. إنّ كمال عبد الجواد متخفّف من كلّ التزام، يفضل الشكّ على اليقين، ويستسيغ الوقوف على مفترق الطرق، غير أنّه لا يجروّ على تحديد وجهة واحدة يسلكها. ولعلّ صديقه رياض قلّس الذي يعيره الأديب صوته يختصر طريقة وجوده حين يقول: «مشاهدة وتأمّل وحرية مطلقة، وأخذ من كلّ شيء أخذ السائح» (ص ١٠٦). لقد نجح نجيب محفوظ في بناء هذه الشخصية من الناحيتين السيكولوجية والفكرية. وممّا لا شكّ فيه أنه قد استلهمها من رصده لواقع المثقّفين المصريين في الثلاثينيات، التي شهدت انفتاحاً على الثقافة الأوروبية لم تواكبه حركة تطوّر في بنية المجتمع المصريّ الذي بقي على المحافظة والتقليد، ممّا أسهم في تكوين طبقة من المثقّفين الهامشيين المنتقدين لمجتمعهم القاصرين عن إحداث التغيير المنشود. لكن لا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ شخصية كمال أحمد عبد الجواد تتمتّع أيضاً بسمات تجعلها تنتمي إلى المدرسة الرومنسية الغربية؛ فإحساسه المرهف، وميله إلى الكآبة، واستسلامه للحزن والخيبة، تذكّرنا بفيرتير أو بلورنزايشيو: «أمّا هو فالدموع لا تزال تطرق أبواب عينيه الخلفية... وقلبه يقطر حزناً، فيذكر بذلك القلب القديم الذي اتخذ من الحزن شعراً...» (ص ٥٣). نستطيع القول إذن إنّ شخصية كمال أحمد عبد الجواد مزيج مركّب من مكونات مختلفة، بعضها مستقى من الواقع، وبعضها من المخزون الثقافيّ للكاتب، وبعضها محض ابتكار.

من شروط الواقعية في الأدب أن يكون الإطار الزمانيّ والمكانيّ الذي تتحرّك فيه

الشخصيات على صلة بحقيقة جغرافية وتاريخية معيّنة. وهذا الشرط متوقّف بامتياز في السكّرية التي تدور أحداثها في مدينة القاهرة في مرحلة تاريخية تقع فيها أحداث سياسية تشكّل الخلفية التي تتطوّر عليها الحكبة: فمع مظاهرة نوفمبر ١٩٣٤ التي ألقى فيها مصطفى النحاس «رمز الاستقلال والديموقراطية» خطبة ألهمت الجموع المحتشدة الناقمة على الملك والانجليز، والتي سقط فيها الضحايا والشهداء، تكليف النحاس بتشكيل وزارة ائتلافية وإصرار هذا الأخير على تطبيق دستور ١٩٢٣، وفاة الملك فؤاد وصعود ابنه فاروق إلى العرش، إعلان استقلال مصر، إقالة فاروق لمصطفى النحاس في ديسمبر ١٩٣٧، اندلاع الحرب العالمية الثانية وعودة النحاس إلى عابدين على رأس الدبّابات البريطانية خلال الحرب. من الملفت أنّ الروائي لا يولي عناية لتحديد تواريخ الأحداث السياسية، لكنّه لا يهمل الإشارة إلى الشهر أو اليوم أو السنة التي تقع فيها أحداث الحكبة، فنستطيع أن نستنتج أنّها تتطوّر في مدّة زمنية تتجاوز العشرة أعوام، وهي مدّة كافية لكي يرصد الأديب التحولات السياسية والاجتماعية التي طرأت على الحياة المصرية. ليس التاريخ إذا مادّة للرواية، بل هو مجرد إطار خارجيّ يسبغ على أحداث الحكبة صفة الواقع تكرّسها أسماء الشوارع والأماكن التي تشكّل جغرافيتها: العباسية، الحسين، الماوردي، قصر الشوق، الموسكي، العتبة، شارع فاروق، الأزبكية. إنّها أحياء مصر الأصلية، إنّها البقاع الطيبة» على حدّ تعبير عبد الرحيم باشا (ص ٧٠) الذي يتكلّم هنا بلسان الأديب نفسه. ترسم أحياء مصر الشعبية على مساحة الصفحات، عالمًا مصغّرًا أليفاً بسيطًا، تتأخى فيه الدكاكين: هنا حسنين الحلاق، وإلى جانبه درويش الفؤال،

ليقاوموا موجات الطغيان...، في حاجة إلى ثورات دورية تكون بمثابة التطعيم ضد الأمراض الخبيثة، والحق أن الاستبداد هو مرضهم المتوطن» (ص ٣٨)؛ ولنستمع قليلاً لما يقوله كمال في الانتخابات: «انتخابات مزورة، كل شخص في البلد يعلم أنها مزورة، ومع ذلك يعترف بها رسمياً وتحكم بها البلد، ويعني هذا أن يستقر في ضمير الشعب أن نوابه لصوص سرقوا كراسيهم، وأن وزراءه لصوص سرقوا بالتالي مناصبهم، وأن سلطاته وحكومته مزيفة، مزورة، وأن السرقة والتزيف والتضليل مشروعة رسمياً» (ص ١٥٦).

كل ذلك يحملنا على أن نطرح السؤال: هل الزمن العربي محكوم بالثبات، يدور على نفسه في حلقة جهنمية تخنق كل تطلع إلى المستقبل؟ هل قدرنا أن نبقي تحت سيطرة اللاعبين بمصائرنا في سبيل خدمة مصالحهم الخاصة وطموحاتهم في الداخل والخارج؟

ولا يقل انتقاد نجيب محفوظ للثقافة حدة عن انتقاده لأحوال السياسة. فالمشكلة في رأيه هي العداوة القائمة بين الإنسان والكتاب وقلة الإقبال على المطالعة، اللهم إلا عند نذر قليل أو عند بعض الباحثين عن متعة التسلية ممن يعرضون عن الكتب الرصينة التي تعود على الفكر بالفائدة: «القراءة في مصر ملهامة رخيصة، ولن نتطور حتى نؤمن بأن القراءة ضرورة حيوية» (ص ٨٩). إحدى مشاكل العقل العربي هي الثقافة القائمة على الجمود والتكرار والحفظ ومراكمة المعلومات دون إعمال الحس النقدي، والابتعاد عن المنطق العلمي الذي لا بد منه لتكوين الرأي الموضوعي وللتحرر من الأفكار المسبقة

والأحكام القاطعة. وليس من باب المصادفة أن يعبر محفوظ عن رأيه هذا على لسان عدلي كريم صاحب مجلة «الإنسان الجديد»، فيجعله يخاطب أحمد قائلًا: «أدرس الآداب كما تشاء، واعن بعقلك أكثر ما تعنى بالمحفوظات، ولا تنس العلم الحديث... لكل عصر أنبياءه، وأنبياء هذا العصر هم العلماء» (ص ٩١). أما موقف الأديب من الأدب ومسؤوليته ودوره في بناء الإنسان والمجتمع، فيتضح في هذه العبارات التي لا تخلو من النقد ومن التحذير من أن الأدب يمكن أن يكون سلاحًا ذا حدين: «الأدب وسيلة من وسائل التحرير الكبرى، ولكنه قد يكون وسيلة للرجعية؛ فمن الأزهر ودار العلوم خرجت آداب مرضية عملت أجيالاً على تجميد العقل وقتل الروح. ومهما يكن من أمر فالعلم أساس الحياة الحديثة... على كل مثقف أن يضحي نفسه بنوره، وأن يعتنق مبادئه ومناهجه ويتحلى بأسلوبه. ينبغي أن يحل العلم محل الكهانة والدين في العالم القديم...» (ص ٩١). يبدو لي محفوظ متطرفاً في موقفه وإقصائياً. ولعل هذا النوع من المواقف مسؤول إلى حد ما عن صعوبة تطور الفكر العربي بشكل مضطرب وثابت نحو الحداثة؛ فكل إقصاء يولد الانكماش والتشدد، ولا بد من التسامح ليس كموقف أخلاقي بل كقناعة وجودية لتحقيق الانسجام الضروري للسير نحو التقدم. إن العلم لا يمكن أن يحل محل الدين، بل لكل منهما حيّزه الخاص الذي يجب أن لا ينافسه عليه الآخر. وفي رأبي طالما أن الإنسان مركب من مادة وروح، فلا يمكن إلغاء الدين ولا الكهانة ولا الإيمان بالغيب. إن القبول بالتنوع، واحترام الرأي الآخر، والافتتاح بالوجوه المتعددة للحقيقة، والإقرار بأن الدين والنظم والقوانين إنما وجدت لخدمة الإنسان وليس لاستعباده وإخضاعه وسلبه حرّيته

وكرامته أصبحت من الحاجات الملحة للبشرية التي تواجه في القرن الحادي والعشرين أزمة حقيقية وتهددها أخطار جمة ليس أقلها الإنفلاقات على الهوية، والتهديد بصراع الحضارات والأديان والثقافات. إن الفكر الغربي الذي أنتج الثورة الصناعية، والذي بلغ قمة تفتحه في عصر النترون والالكترون قد يقود البشرية إلى الهلاك، وثمة من يدق اليوم نواقيس الخطر في أرجاء العالم الأربعة منبهاً إلى الحاجة الملحة لضوابط أخلاقية ولتسليم قيم جديد لا بد من ابتداعه حتى لا يقودنا فوق القوة وسيطرة العقل إلى تدمير البيئة والقضاء على الجوهر الإنساني في بني البشر. ولا شك بأن للآداب والفنانين دورهم الأساسي في هذا المجال، لأن الفن الحقيقي هو الذي يلتزم قضايا الإنسان بالمعنى الواسع للكلمة: «ينبغي أن تكون الكتابة وسيلة محدّدة الهدف، وأن يكون هدفها الأخير تطوير هذا العالم والصعود بالإنسان في سلم الرقي والتحرر. الإنسانية في معركة متواصلة، والكتّاب الخليل بهذا الاسم حقاً يجب أن يكون على رأس المجاهدين» يكتب نجيب محفوظ.

كان الشعب يثق في قوم
ويريدهم حكّامًا. لكنّه يجد
فوق رأسه دائمةً أولئك
الجلّادين البغضاء، تحميهم
هراوات الكونستبلات
الإنجليز، وسرعان ما يقولون
له بلغة أو بأخرى أنت شعب
قاصر ونحن الأوصياء...

تطرح الرواية قضايا لا تزال راهنة، إلى اليوم، وتعبّر عن موقف نقديّ من واقع اجتماعيّ وسياسيّ تبدو صلته وثيقة بزمننا الحاضر. وسأتوقّف عند بعض الآراء في المجتمع والسياسة والثقافة التي عبّر عنها الكاتب عبر شخصيّاته لأهميّتها التي تتجاوز لحظتها التاريخية لتنطبق على مجتمعاتنا العربية المعاصرة:

«في بلادنا شيوخ جاوزوا السنين، ولكنّهم ما زالوا شبّانًا بعقولهم، وفيها شبّان في ربيع العمر ولكنّهم معمرّون- منذ ألف سنة وأكثر- بعقولهم، وهذا هو داء الشرق» (ص ٨٩)؛ «في أمّتنا احتياط من الخونة لا ينفد» (ص ٨١)؛ «الوفد مدرسة الوطنيّة والديموقراطية، لكنّ المسألة أنّ الوطن لا يقنع ولا ينبغي له أن يقنع بهذه المدرسة، نريد مرحلة جديدة من التطوّر، نريد مدرسة اجتماعيّة لأنّ الاستقلال ليس بالغاية الأخيرة، ولكنّه الوسيلة لنيل حقوق الشعب الدستوريّة والاقتصاديّة والانسانية» (ص ٩٠). كم يتخذ هذا الكلام كلّ دلّالته في وطننا لبنان في هذه اللحظة التاريخية بالذات حيث أفرغ بعض المتاجرين بالسيادة والاستقلال هذين المفهومين من مضامينهما الحقيقيّة.

وكم يشبه الأمس اليوم عندما يصوّره محفوظ قائلاً: «كان الشعب يثق في قوم ويريدهم حكّامًا، لكنّه يجد فوق رأسه دائمةً أولئك الجلّادين البغضاء، تحميهم هرّوات الكونستبلات الإنجليز، وسرعان ما يقولون له بلغة أو بأخرى أنت شعب قاصر ونحن الأوصياء...» (ص ٣٥)؛ إزاء ذلك لا بدّ في رأي الكاتب من الثورة والانتفاض على قوى الاستبداد: «إنّ قومه في حاجة إلى الثورة

المدينة فالمجتمع فالوطن، من كتابة الرواية إلى التفكير في الرواية وفي الأدب والفنّ عامّة. فإذا كانت نقطة الارتكاز في «السكريّة» عائلة سيّد عبد الجواد وهي بطيركيّة بامتياز، إلّا أنّ المجتمع المصريّ برمّته يخضع لهرميّة قاسية تتحكّم بالطبقات الاجتماعيّة التي تنفلق على ذاتها وتسودها علاقة السائد والمسود. وليس ذلك بمستغرب في ظلّ نظام ملكيّ، وفي بلد اجتمعت فيه جاليات أجنبيّة عديدة تتمتع بامتيازات خاصّة، وتشكّل إلى جانب الطبقة الحاكمة نخبة كوسموبوليتيّة لها ثقافتها وأنماط عيشها المختلفة بل ومدنيتها الخاصّة. فلا شيء يجمع بين الشوارع الفسيحة حيث قصور الأرسطوقراطيين والأجانب من فرنسيين وإنجليز وإيطاليين ويونان، وبين سيّدنا الحسين أو السكريّة أو خان الخليلي وبين القصرين. من جهة أخرى، فإنّ قيمة الفرد، بل ربّما مصيره أيضًا، يحددها انتمائه الطبقيّ أو ثروته أو الوظيفة التي يشغلها. إنّ تعاسة كمال سببها الأساسيّ حبه المستحيل لفتاة تنتمي إلى الطبقة الغنيّة، وانسداد سبل الطموح والترقيّ الوظيفيّ أمامه بسبب استقلاليّة رأيه وعدم تسكّعه على أبواب النافذين. في المقابل، تمكّن رضوان ابن أخيه من صعود السلم الاجتماعيّ بسهولة بسبب علاقة مشبوهة تربطه بالباشا. أمّا ابن الحمزاوي، فقد استطاع أن ينتصر على الحاجز الطبقيّ، لأنّه درس الحقوق ودخل في سلك البوليس. هكذا يشير الكاتب بطريقة غير مباشرة إلى القوّتين المتحكّمتين في المجتمع المصريّ: الطبقة الأرسطوقراطيّة القريبة من القصر، والأجهزة الأمنيّة كما نقول اليوم. أمّا المثقّف فيبدو عاجزًا عن إحداث التغيير والإصلاح المنشود. قدره أن يعاني من التمرّق والخيبة والمرارة.

ومن خصوصيّات فنّ الوصف عند محفوظ تصوير عدّة شخصيّات في الوقت نفسه، وهذه أيضًا من تقنيّات السينما حيث تلتقط عدسة الكاميرا المشهد بكلّ تفاصيله وفي اللحظة ذاتها. أستدلّ على ذلك بفاتحة الرواية، وهي موفّقة جدًّا، لأنّها تقمّ القارئ فجأةً ومن دون مقدّمات في عالم الحكمة عن طريق مشهد من الحياة اليوميّة تحنّله أربع نساء تختصر هويّتهن بأيديهنّ، ولأنّها ترسم المناخ العامّ الذي سيسيطر على الرواية بأكملها: أيّ مناخ التحوّل نتيجة لقانون الزمن:

«تقاربت الرؤوس حول المجرّة، وانبسطلت فوق وهجها الأيدي، يدا أمينة النحيلتان المعروفتان، ويذا عائشة المتججّرتان، ويذا أمّ حنفي اللتان بدتا كغطاء السلحفاء، وأمّا هاتان اليدان الناصعتا البياض الجميلتان فكانتا يدي نعيمة. وكان برد يناير يكاد يتجمّد في أركان الصالة، تلك الصالة التي بقيت على حالها القديم يحصرها الملوّنة وكنباتها الموزعة على الأركان، إلّا أنّ الفانوس القديم بمصباحه الغازيّ قد اختفى وتدلى مكانه من السقف مصباح كهربائيّ، كذلك تغيّر المكان فقد رجع مجلس القهوة إلى الطابق الأوّل» (ص ٥).

يتبع نجيب محفوظ في روايته مبدأ الانطلاق من الخاصّ إلى العامّ، من عالم العائلة الصغير إلى عالم

هذه الرقابة غير مجدية، فأصحابها قد يكونون أزالماً لأرباب النفوذ. وقد يكونون ذوي طموح، فيجعلون المركز مطيةً للمال أو السياسة. وقد يكونون جبناء، فيستنسون على الضعيف، ويستبغثون إزاء القوي، أو يتعامون أو يتجاهلون، أو يبررون ويبرنون أو يغسلون أيديهم من دم كلّ زنديق.

وقد يطغى الرؤساء ويتجبرون فويل لمن يعاندهم.

إليكم بعض الأمثلة:

١- رئيس مجلس الوزراء يهدّد أحد رؤساء مجلس الخدمة المدنية بكسر رجله إن هو عاود حضور جلسات اللجان النيابية ليناقد معها شؤون الوظيفة العامة وشجونها، فينصاع الرئيس المسكين.

٢- يأمر رئيس مجلس الوزراء أحد رؤساء مجلس الخدمة المدنية بالكف عن عقد اجتماعات لمجلس المديرين العامّين، الذي يوجب قانون التنظيم الإداري انعقاده مرّة كلّ ثلاثة أشهر على الأقلّ، فينصاع الرئيس المسكين.

ويأتي إلى الحكومة رئيسّ ثانٍ ثمّ ثالث ثمّ رابع، وتمضي عشر سنوات فلا يعقد مجلس المديرين العامّين اجتماعاً واحداً، لأنّه قد يعكّر أمزجة من يتوجّب عدم إزعاجهم. ولا يرتفع صوت واحتجاج أو مطالبة يعقد جلسة لمجلس المديرين العامّين إلا صوتي، وتكراراً ثلاث مرّات، بكتب رسمية أدلّت فيها المستنكفين عن الدعوة والمديرين العامّين الذين يتفرّجون ولا يتجرّأون.

٣- وتتعاظم المعاناة في نفس رئيس مجلس الخدمة المدنية المذكور من قوانين تعطلّ، ومن سلاسل تكبلّ مجلس الخدمة المدنية، ومن تجاهل قراراته وتوصياته بل مخالفتها أو الاستغناء عنها، فيخلّص ذلك الرئيس المخلص في أحد تقاريره السنوية إلى أنّه بات يميل إلى المطالبة بإلغاء مجلس الخدمة المدنية. تلك الصرخة التاريخية كانت صرخة في وادٍ، إلا أنّها صرخة لا تزال تدوي في نفوس الأحرار، وإن كتمها وخنقها رئيس الحكومة، فحال دون نشر التقرير السنوي في الجريدة الرسمية، عملاً بالقانون.

٤- وعندما أُحيل على التفتيش المركزي مدير عامّ مدعومّ بتهمة اختلاس أموال أحد الصناديق العامة، نصحه التفتيش بتقديم استقالته، ففعل ونجا من التحقيق والتفتيش والإدانة وسلم له ما اختلس.

٥- وعندما ضجّت البلاد بسمرات مدير إحدى المؤسسات الماليّة العامّة بعدما فاحت روائح سرقاته، كان للمدير العامّ ذاك مرجعية ذات حَوْلٍ وطولٍ أنقذته من شرّ ما صنعت يدها وامتألت به جيوبه، واكتفي له بوضعه في التصرف.

٦- وعندما أبدت رأيي في مشروع مرسوم يقضي بنزع صلاحية التلزم من إدارة المناقصات وإناطتها بالوزارات تمهيداً لإلغاء الإدارة المذكورة، وتساءلت: «لماذا يلتمسون تبرئة ساح مرتكبين كبار، ويبررون مخالقاتٍ تُولّف تحايلاً على القانون وتسبّب هدراً للأموال العامّة»، أحالني رئيس مجلس الوزراء على التفتيش المركزي معتبراً أنّي تجاوزت

إبداء الرأي إلى اتهام وزراء ومسؤولين كبار.

ولدى تحقيق رئيس التفتيش المركزيّ معي، دَوّنتُ العبارة التالية: «إنني، في هذه المناسبة، أبدي اعتذاراً عمّا فاتني قوله في معرض «إبداء الرأي» ولا أرى عذراً لاعتذار عن واجب وطني وأخلاقي أدبته».

وفي مكان آخر من دفاعي، قلت: «إن الدفاع عن أموال الدولة يسمو على الدفاع عن أي مصلحة شخصية. فهذه الأخيرة قد نضحّي بها، أمّا المصلحة العامة فنقدّم لها المهجّ أضحى. هي ليست ملكاً لنا، إنّما هي أمانة في عنقنا».

□ | ثانياً: الرقابة القضائية التي يتولّاها ديوان المحاسبة، ويمارسها مجلس الشورى من رقابة الإبطال، إلى رقابة التعويض، إلى رقابة التفسير وشرعية الأعمال الإدارية.

ونشير إلى أنّ عدداً من قرارات مجلس الشورى التي تبطل مراسيم تقضي بوضع بعض الموظفين في التصرف وتقرّر إعادتهم إلى وظائفهم، تبقى حبراً على ورق، إذ يمتنع المسؤولون الكبار عن تنفيذها متجاوزين كون الإدارة ملزمة بتنفيذ قرارات المجلس المذكور.

□ | ثالثاً: الرقابة السياسية أي رقابة السلطة التشريعية على

الأموال العامة وكرامة المواطنين كرامات في أعناقنا



د. دياب يونس | ○

... الإدارة العامّة هي الخدمة العامّة، أي الخدمة التي تعود على المجتمع بالنفع العامّ، وتؤمّن الصالح العامّ؛ وهي تتكوّن من جميع العمليّات التي تهدف إلى تنفيذ السياسة العامّة، وتشمل الحقوق الاجتماعيّة والاقتصاديّة، بل تكاد ترعى حياة المواطنين من المهد إلى اللحد.

تلك الأهداف التي تسعى الدولة إلى تحقيقها، يتولّى الموظّفون العامّون تأديتها في إطار السياسة العامّة المرسومة، وفي نطاق المصلحة العامّة المنشودة.

من الطبيعيّ، والحال هذه، أن يؤلّف اختيار وتعيين الموظّفين أهمّ العمليّات الإداريّة، لأنّه على مدى حسن اختيار الإدارة العنصر البشريّ الكفاء والمؤهل لتأدية مهامّ الوظيفة، يتوقّف نجاح الإدارة.

في لبنان، أضحى مجلس الوزراء المرجع الصالح لتعيين الموظّفين وفقاً للأسس التالية:

■ موظّفو الفئة الأولى يعيّنون بمرسوم يتّخذ في مجلس الوزراء، بعد استطلاع رأي مجلس الخدمة المدنيّة، ويُعتبرون مثبّتين فور تعيينهم، ويُوزعون مناصفةً بين المسيحيين والمسلمين عملاً بالمادّة ٩٥ من الدستور.

■ أمّا موظّفو الفئات الأخرى فيعيّنون بمرسوم، بعد موافقة هيئة مجلس الخدمة المدنيّة، دونما اعتبار طائفيّ.

■ وأسندت القوانين اللبنانيّة إلى مجلس الخدمة المدنيّة، المنشأ في العام ١٩٥٩، مهامّ عدّة أبرزها إجراء الاختبارات لاختيار وتعيين الموظّفين على أساس الجدارة والاستحقاق، ما ساهم، إلى حدّ كبير، في القضاء على المحسوبيّة والفساد والرشوة، وأدى إلى تزويد الإدارات بموظّفين يتمنّعون، على العموم، بالمؤهلات العلميّة اللازمة.

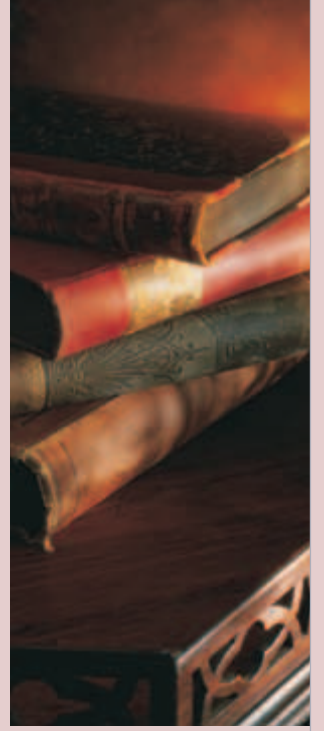
■ إلّا أنّ الموظّفين قد يخطئون وينحرفون، قد يستبدّون ويتعسّفون، قد يتجسّدون القياصرة والأكاسرة ويتقمّصون الوحوش الكاسرة، وقد ينصبّون أنفسهم آلهة الأرض فيخرّ الضعفاء أمامهم ساجدين. فلا بدّ عندئذ، وقد مات الوزع، من رادع.

والرادع ثلاثة أنواع هي:

□ أولاً: الرقابة الإداريّة التي تبدأ بالرقابة الرئاسيّة، وتمرّ بالرقابة الوصائيّة، وتنتهي إلى رقابة الأجهزة المتخصّصة وهي: مجلس الخدمة المدنيّة، التفتيش المركزيّ، ديوان المحاسبة، المجلس التأديبيّ العامّ، وزارة الماليّة.



ألقيت في مؤتمر: معاينة واقع العلمانيين في لبنان، المنعقد في ١١-١٠ شباط ٢٠٠٧، في دار «بيت عنيا» - حريصا، بدعوة من المجلس الرسوليّ العلمانيّ.



رائد الرواية العربيّة الليبنانيّ فرح أنطون

د. جميل جبر | ○

فصارت «الجامعة»، وجعل نزعتها فلسفيّة سياسيّة اجتماعيّة، تعمل على نشر الأفكار التحرّرية الغربيّة، ولاسيّما أفكار الثورة الفرنسيّة وفولتير ورينان، وقد عربّ الكثير من آثار هذين الكاتبين.

○ | عمله الصحافيّ

مع إصداره «الجامعة»، ترجم عن الفرنسيّة روايات كان ينشر بعضها في مجلّته. إلا أنّ عمله الصحفيّ لم يؤمّن له أسباب الحياة على ما كان يتمنّاها، فانتقل سنة ١٩٠٥ إلى نيويورك، وكانت شهرته قد سبقته إلى أوساط المغتربين فيها. وهناك شاء أن يعمل في التجارة والصحافة معاً، فأصدر جريدة «الجامعة اليوميّة»، فما حققت أمانيه، فعاد إلى مصر بعد إعلان الدستور العثمانيّ، وانصرف إلى الأدب السياسيّ وإلى الكتابة في المسرح ترجمةً واقتباساً وتألّيفاً. إلا أنّ بعض ترجماته كان من نوع الدراما العاميّة الغنائيّة.

الرواية. على رغم حداثة عهدها. أخذت تحتلّ مركزاً مرموقاً في الأدب العربيّ. وهي تنافس الشعر على مقام الصدارة. والليبنانيّون هم وراء هذا اللون الأدبيّ الرائج.

فالروايّتان الأوّليان اللتان صدرتا في العربيّة هما «الأجنحة المتكسّرة» لجبران و«زنبقة العوّر» للريحاني في أوائل ١٩١٢. وقد أنجزها الأوّل سنة ١٩٠٨. والثاني سنة ١٩٠٩. ثمّ ظهرت بعد حين «زينب» لحسين هيكل المصريّ. لكنّ الليبنانيّ المقيم في مصر فرح أنطون كان قد مهدّ طريق الرواية في محاولاته منذ أواخر القرن الماضي. وهو بالتالي أجدر من سواه بأن يسمّى برائد الرواية العربيّة.

فمن هو هذا الأديب الذي يكاد يكون مغموراً؟ في ما يلي بعض أضواء على سيرته ونتاجه.

○ | نشأته

يساعده على تحقيق أمنيته الأدبيّة. وكانت مصر قبلة أنظار المثقّفين الأحرار، فمضى إليها.

فسنة ١٨٩٧ أقام في الاسكندريّة وعمل محرّراً في «الأهرام»، ثمّ أنشأ مجلّة «الجامعة العثمانيّة»، وشعارها إصلاح الدولة العثمانيّة. ولمّا يئس من إصلاح يتمّ على يد من لا يقوم سلطانهم إلاّ على الفساد، غير اسم مجلّته،

ولد وتعلّم في طرابلس، وتميّز بحبّ المطالعة، وكان أسمر اللون، نحيف البنية، واسع الجبين عاليه. مارس التجارة بعد خروجه من ثانويّة دير كفتين، فلم يستجب هذا العمل لطموحه الأدبيّ، فانصرف إلى التعليم، وحاول أن يكتب، لكنّ الحرّيّة كانت مخنوقة في عهد عبد الحميد، فتألّم وسعى إلى الانطلاق نحو جوّ

وتُطَلِّقَهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ، فَخَيَّطُوا لذواتهم من وحيها منهجيات وسلوكيات تجعل المواطنين يباركون الأَحْشَاءَ التي حملتهم، والأُتْدَاءَ التي أرضعتهم. لم يَعدَّ بين الكنيسة وبينهم سوى حيل صرّة رهيبة دقيقة. باتوا لا يحملون منها سوى ثمار نبتِ غرسته في أعماقهم والضمان. طاروا من حضانها يحملون صورة لها وإليها حنينًا. تكبر بمسيرتهم وتفخر. تطمنن إلى رسالتهم وتبارك. أو لا؟ فهي تعظ وتذكر، أحيانًا. وهي تشير وتبشر. وهي تهزّ العصا، في الثدرة، في وجه من ذفن الوزنات، وشوّه محيا المسيح في قلبه واللسان والمسار، وقد تسكت عن مرتكبين يلوزون بها، وبعاءات أساقفتها الطاهرات يلتصقون.



ولقد حملتك، يا مسيحي، يا كنيسة المارونية الأنطاكية، أيقونة في فؤادي، وأنشدتكِ صلاةً ربانية منسوجة من أقوال وأفعال. رأيت في فقراء البقاع إخوة للمسيح صغارًا، فضممتهم إلى ملكوت قلبي؛ وبصرت في المشردين والمهشمين إخوة للطفل الإلهي؛ ورأيت في كربلاء الحسين شهبًا بجلجلة الناصري؛ وأعلنت أن يسوع حبيبي بمحمد وعلي وبكل محمد هاد وبكل علي إمام، فليس لي من محبة المسلمين بديل ولست بخارج عما علمني أب وبابا وبطريك وبيعة وإنجيل. كنت السينودس من أجل البقاع، قبل أن يضع الحبر الأعظم يوحنا بولس الثاني السينودس من أجل لبنان. لم تدعني قذائف الحقد تنهمر على منزلي أيامًا متواليّة ليلاليها لتستأصلي من مدينة زحلة والبقاع كرها. ولم يرجف إيماني بلبنان شك فيقعدي فاستسلم. ولم يغرنني شيك يسطره قارون من قارونات لبنان والعالم. وهنا وهناك، في محافظة البقاع وفي إدارة المناقصات، وأنا على قمة السلطة، وممالك المال منثورة تحت قدمي، قلت لإبليس المجرّب: «إليك عني، يا شيطان! فإنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد».



إذًا، ليكن الموظفون العامون من المسيحيين ملح الإدارة. وليتناذ رؤساء الطوائف في لبنان لينشئوا حلفًا وحصنًا يطهر التشريع اللبناني من شوائب تعيب كرامة الإنسان وتعيق حريته، وتوقظ في الموظف العام حسّ الدين الرهيف لمحاربة الرشوة والفساد والتمييز بين المواطنين، طوائف ومذاهب ومشارب ومناطق، وترفع لها ولنا شعارًا يردّد القول الشريف: «من ظلم إنسانًا وكلّفه فوق طاقتة، فأنا حجيجُه يوم القيامة». وهل من دور أو رسالة أسمى ممّا رسمت من عميق إيماني بوطني وديني، يحملهما إلى لبنان وأبناء لبنان، الموظفون العامون المسيحيون؟ وهل أشرف من أن نقول ويقول الناس عن كل موظف عام مسيحي بيتًا للبحرّي ما فتئت أردده:

صنّت نفسي عمّا يدنس نفسي وترفعت عن جدّ كلّ جيبس

السلطة التنفيذية، ولاسيما على الإدارة العامة التي هي أداة السلطة التنفيذية.

وتبقى هذه الرقابة دون جدوى. فالنواب المراقبون ليسوا، على العموم، أدرى من الموظفين المراقبين. وليسوا أنصع كفا منهم. وهم، في الغالب، من ينتمي إليهم هؤلاء ويجدون لديهم الرعاية، ويؤمنون من خلالهم الخدمات. وهم، في كل حال، جزء من السلطة، والموظفون جزء منهم، وعصب لهم وعضد. عن مصالحهم يدافعون، وعن سياساتهم ينافحون، وإلى أحزابهم ينتسبون، وإلى طوائفهم ينتمون، وإلى ذيل حمايتهم يلتجئون. وهم لهم، في السراء والضراء، تابعون ومبايعون، فمن ذا يجرو على سؤالهم عن لون الكحل في عيونهم! ولتسقط السماء على الأرض، ولتتأزم البلاد بخضاتها، فشعرة من رؤوس هؤلاء أو من أذناهم هيهات أن تسقط! وكيف لا، وللمنتصر تعود المغانم!



| أين الكنيسة من كل هذا؟ وأين طوائف لبنان؟ وما دور هذه وتلك؟

وكيف يساهم المسيحيون العلمانيون في المحافظة على مصالح طوائفهم في مؤسسات الدولة؟

ليس للسلطة الكنسية سلطة في اختيار موظفي القطاع العام، حسبها أن تنشئهم وتودعهم خمائرهما

من نبض باريس



○ | جورج مغماس

يدورُ دورته الفضيّة حول المدينة، تنسابُ فيه السفنُ السياحيّة، وعلى جسوره أرتالُ السيّارات تُقبلُ وتُدبرُ، لا تسمعُ منها زموراً واحداً، بانتظام ما بعده انتظام.

وكان غداً، كانت فيه رقائق لحم زهرى نديّ (كارباتشيو دو بوف)، مغمورة بزيت زيتون وبهارات؛ وألوان من الأجبان؛ ونبيد أحمر لذيذ.

لكنّ، ما كنّا لهنناً بغدائنا لولا أنّنا لم نخرج ما في الحقيبة الصّغرى والكبرى معاً من بعض جهاز للحفيدة العتيدة، وأرزّة مرصّعة بذخائر من قديسي لبنان، وحفّات من مشتهى الفم والذاكرة، كادت تكون معرضاً للمأكولات اللبنانية من حديقة قلب الأم!

وبعد استراحة، تواصلَ فيها الكلام على كلّ شاردة وواردة من أضيّق الرّوايا في البيت إلى أوسعها في العالم، كأنما هو المطرُ انهمر بعد طول انحباس، قلتُ نقومُ إلى المدينة أقارب نبضها...

ومن البيت في سان كلو، عند التماس مع سوران في محلة قال دور، انحدرنا صوب البوادوبولوني، من دون أن يستميلني الفضول لاستراق النّظر إلى بعض أنوار خافتة وأطياف متحرّكة، لأنّ بيع الأجسادِ وشرائها لم يكن عندي، في يوم من الأيام، إلاّ أمراً مقيّناً.

وبوصولنا إلى بورت مايو انعطفنا نحو المون مارتر، حيث كنيسة القلب الأقدس تشرف بجلالها على أقصى آفاق باريس، ومن حولها الأزقة تضيق بالمشاة يلتقطون صوراً تذكاريّة أو يختارون هداياهم ويستريحون في مقاهي الرّصيف...

ولأنّ باريس هي المدينة التي لا تنام، ولاسيما في الميلاد ورأس السنة، حيث الأنوار تجعل ليّلها أكثر إشراقاً من نهارها، فقد جُلنا بعض جولة في بعضها، قبل أن نحط الرّحال في

لم يكن في وصولي إلى مطار شارل ديغول، من بيروت، ما أثار فضولي حقاً. فالسّماء الغائمة الماطرة الخفيفة من الشّائع المتوقّع. لكنّ، ثمة ما أثار فيّ وجعاً، أسعى للهرب منه، وهو أنّني من بلاد المعاناة التي بلا عناية، منذ زمن بعيد، ولما تنتهى: فقد عمدت سلطات أمن المطار إلى ركن الطائرة بعيداً من ردهة الاستقبال، إبعاداً ليد الإرهاب المحتمل في حمّة التّحديّات المرّكبة. فالطائرة من بيروت، وبيروت عامرة بالمغامرات القاتلة، والاعتيالات المدويّة، والنّظاهرات المهذّدة بالموت لأمریکا.. واللاعنة المباركة كيفما اتّفق، ووافق هوى أهل التّديبر والتّيسير، هنا وهناك، من هذا العالم الغارق حتّى أذنيه في مستنقع وحشية الأنا دون الآخر.

ثمّ حدّثت نفسي وما في عيون رفاق الرّحلة من أسفٍ حزين أن هذه هي عاقبة ما نحن عليه ولا يطاق، فإذا نفرّد «إفراد البعير المُعبّد»! وإني لم استفق من هذه الدوامّة إلاّ لحظة وقعت عيني على ابنتي تشرئب وراء الرّجاج تستطلع قدومي؛ ولن أنسى عينيها المغرورقتين بوميض الفرحة!

بل إني لا أدري ما الذي اعتراني حين رأيتُ حملها، لكنّما قلبي ارتكض في صدري ليقبل الجنين الذي في حشاها!!

وبعد حين، وبعد اللقاء الحميم، رحنا نعبّر الشّوارع العريضة المحفوفة بالشّجر، نعرى من أوراقه، ولا ورقة منه على الأرصفة، حتّى انكشفت لنا المدينة المجيدة منبسطة مثل كفّ في أصابعها خواتم فنون الكلام والشّكل واللون والصّوت...

ومن سان كلو، الضّاحية العريضة المجلببة بالهدوء والأناقة، وقفت بشرفة البيت أجيل النّظر من مون مارتر إلى الديفانس إلى الإيتوال إلى تور إيفل.. وأرى نهر السّان سيواراً



أبرز الكتب التي نشرها

أهم مؤلفاته خمس روايات اجتماعية هي: «أورشليم الجديدة»، «سياحة في أرز لبنان»، «المدن الثلاث أو الدين والعلم والمال»، «مريم قبل التوبة»، «الحب حتى الموت»؛ وأربع مسرحيات هي: «صلاح الدين»، «مصر الجديدة»، «بنات الشوارع»، «أبو الهول يتحرك». وقد تكون رواياته «أورشليم الجديدة» و«الحب حتى الموت»، أفضل آثاره. فني الأولى يتناول قضايا اجتماعية وفلسفية ودينية في إطار غرام رومنطقي؛ وقد صور فيها بشكل مؤثر وأسلوب بسيط عضوي مدينة أورشليم يوم عيد الميلاد، وكان العرب قد فتحوا الشام وحاصروا بيت المقدس.

قلنا إن روايته «الحب حتى الموت» أفضل آثاره. فما موضوعها وما قيمتها؟

«الحب حتى الموت»، التي نشرها بالتسلسل في مجلة «الجامعة»، تروي قصة المهاجر اللبناني إلى أميركا في ذلك العهد. فهي من أولى المحاولات الروائية العربية. بطل الرواية شاب اسمه «إميل» يعزم على السفر، فيأتي نسيب له راهب يودعه عند رابية بين البترون وطرابلس (منطقة المؤلف). ودّعه هناك لأنه

أراد أن يسافر خلسة إلى الولايات المتحدة؛ فالهجرة كانت محظورة عهد ذلك. تدور بين الراهب والفتى محاورة طريفة، يقول فيها إميل إنه عزم على مغامرة السفر، لأنه يأبى حياة خانعة في ظلّ جدران أربعة. وينطلق المسافر من على شاطئ البترون في قارب ينقله «بالتهريب» إلى الباخرة. وفي الفصل الثاني يصف المؤلف مجازفة بطله في نيويورك، حيث وجد نفسه غريباً مستوحداً، فما لبث أن عشق فتاة من أصل لبناني، تبين له في آخر الأمر أنها أخته، وقد سافرت مع أمها وهي طفلة، فتبنتها رفيقة لها وأعطتها اسم عائلتها بعد موت أمها.

الضنّ الروائي قد يكون بدايئاً هنا من حيث التحليل والتسلسل، لكنّه يمهد لنشأة الرواية العربية بمفهومها الحديث.

ومن أسلوبه هذا النموذج: وقف وهو في الولايات المتحدة أمام شلال نياغرا يناجيه، ويستطلع سرّ الوجود، ويطلعه بدوره على حضارة إنسان عصره المزيفة القائمة على زخرف وهّاج.

أما تعبيره فبالطريقة السلسة المباشرة. وهذا مقطع من نجواه: «لقد طفت في ربوعك وحادتلك وسألتك فلم تجب. وها أنا عائد عنك، فوداعاً أيها الشيخ. تذكر في المستقبل رجلاً جاءك من أقصى الشرق، وأجال في ضفتيك مزيجاً غريباً من روح الشرق والغرب ممزوجاً في نفسه، وأفكاراً قد تستأهل الإهمال وعدم المبالاة، ولكنها لا تستأهل الضحك والهزاء. وإذا هزأت بها فاهزأ، فقد هزأت قبلها

بالدهر، وضحكت من الزمان. ولكن قبل أن تهزأ، تذكر أنها نتيجة تأثير قومك وأجداد قومك. فنحن تلامذتكم في الصغائر، كما نحن تلامذتكم في الكبائر. صدّقني أيها الشيخ، غير مجراك واذهب إلى بلادي، فهناك تجري خاملاً مجهولاً، ولا يعكر ماءك ذئاب قديمة أو ذئاب جديدة، ولا يستأسرك الناس ليجعلوك فرجة وأعبوة، بل تعيش على هوائك معيشة الخمول والسلامة بعيداً عن الناس. هناك تسمع حفيف أشجار الأرز، وتهبّ عليك ريح الأهرام، وينبت زنبق البرّ على شاطئك. وإذا مرّ بك اتفاقاً بعض الناس، مرّوا باحتشام. ولا تسلني أيها الشيخ لماذا أتيت منها إلى بلادك، فلتقادير أحكام».

وبالسؤال عن قيمة مسرحياته، فإن لها قيمة تاريخية، وبعض قيمة فلسفية اجتماعية إصلاحية، بتأثير من فلاسفة فرنسا في القرن الثامن عشر.

هكذا نرى أن لبنان الذي انطلقت منه في القرن التاسع عشر نهضة اللغة العربية، انطلقت منه كذلك نهضة الآداب العربية في مختلف ألوانها، ولاسيما في حقول المسرح والشعر والرواية. ففرح أنطون لا يقل شأنه كرائد الرواية العربية عن شأن جبران في تجديد التعبير الشعري، ولا عن شأن مارون نقاش في خلق المسرح العربي. إن دور الريادة في حقول النشاط الحضاري في صميم رسالة لبنان التاريخية التي يتوالى أبنائه على حملها عبر العصور.

التويللري صوب التروكاديرو، تمنيت لو قضيت ما تبقى من العمر وسط هذا التاريخ من الجمال البديع العظيم، وغبطت أرتال الأطفال من المدارس يتنشأون على دروبه، وأكبرت من بالتقليد والمحاكاة يستوحون المعلمين الأوائل ويتمرسون رسماً وترسيمات، واستفاقت في أعماقي كتب وكتائب منذ رابليه ومونتاني ورونسار إلى لافونتين وموليير وكورناي ورأسين إلى ديدرو وفولتير وديكارت وباسكال إلى موسيه وفينيي ولامارتين وشاتو پريان وهوغو وفلوبير إلى مالارميه وفاليري ويولدير وكلوديل وكوتو وإليوار إلى سان إكتزوباري ومرسيل ومونييه وبروست وسارتر... وعانقت روجي جورج شحاده وأمين معلوف وفينوس خوري...

وقد زاد في شغفي بهذا التراث، ليس ما نحن عليه من قهر وتقهر في لبنان بفعل النزعات الهجينة، التي تجتاحنا وتنتج الأزمات الحادة، وتندِرُ بالفن المدمر للسلّم الأهليّ فصيغة العيش المشترك ولبنان الرسالة، وهو هم لا يفارق لا في اليقظة ولا في المنام... بل تلك الاحتفالات الثقافية والفنية التي تشبع في متاحف ومعارض أخرى، ضخمة وفخمة، يؤمها الناس شيباً وشباباً وعائلات عائلات. وهل كمثل هذه العادات الحميدة ما يهدب النفس ويرقيها ويشرع أفقها على السمر في الأنوار، ما أتاح تلك الثقافة الإنسانية التي أولت الأولوية للمعوقين والمسنين والحبالي يتقدمون الصفوف، في كل ملتقى ومنتدى؟! وإني أدركت ذلك مرة بعد في مسرح قصر الرياضة في الدائرة ١٥ من باريس، حيث تعرض مغناة الملك الشمس منذ وقت بعيد، ولا زال الإقبال عليها منقطع النظر، وفي ما هرّني من دعوة لحفظ مكان المعوق: إذا أخذت مكاني فخذ معي إعاقتي!

ولكي تكون باريس ملتقى الشعوب حقاً، بعدما كانت ثورتها قوتها في القول والعمل لحقوق الانسان، فيها متاحف من تراث هذه الشعوب كمثل متحف الكاي برانلي، ولاسيما منه المجموعات الدائمة من أوقيانيا ونيوزيلندا وأميركا وأفريقيا وآسيا، ما قد يغني عن

أسفار في جبال وأدغال وصحارى، ويتيح معلومات موضوعية علمية موثقة. ولكم استوقفتني هنا أيضاً ظاهرة السياحة العائلية، حيث يجول الأولاد مع الوالدين يستمعون إلى شروحاتهم أحياناً.. ويتأملون ويبتون عوالم في انكشافات الخيال...

وثمة معارض موسمية لفنون حديثة، تستقطب هي الأخرى الهواة من كل حدب وصوب، فإذا الناس، رغم البرد القارص، في صفوف طويلة في سبيل بطاقة دخول!

بلى. إن الفن يستحق تكبد التضحيات! وهل الحياة، في نهاية المطاف، إلا هذه اللحظات من المتعة، نؤمل النفس بها حتى آخر التحديات: الشيخوخة.. والموت؟!

صحيح أن حواسك جميعاً تنبئك أن باريس هي العاصمة الأولى للثقافة في العالم، بكل ما للثقافة من معان وأبعاد، على المستويين العلمي والعملي، في مسار الحياة اليومية... إلا أن في ضواحيها أيضاً ما يشبه أو يكمل ما فيها، وصولاً أحياناً إلى بعض الريف، حيث تنتشر القصور الأثرية، كما في تواري مثلاً؛ وقد فرزت، قرب القصر، مساحة حرجية كبرى، بعضها للمشاة والآخر للسيارات، جعلت حديقة للحيوانات الوحشية التي استقدمت من مربيها الأولى، ليس للفرجة فحسب، ولكن وأولاً للمساهمة في الحفاظ على أنواعها وحمايتها من الانقراض من خلال توفير العناية الغذائية والصحية لكل نوع منها في المدى الطبيعي الملائم والمشابه لبيئته الأولى، فإذا أنت أمام عالم غرائبي نموذجي حقاً!

ولكن، إن في باريس أيضاً بانسين يذكرونك برائحة هوغو؛ فهم يفرشون زوايا شوارع بعض الأحياء، يتهددهم الجوع والبرد والمرض. ثم ترى الحملات تندلع لإيوائهم.. بل هي حملات في هذه المدينة الأممية، لتصويب وتدارك ما آل إليه تدفق الأجانب، ولاسيما الأفارقة، من خلل أحياناً في التوازن الاجتماعي الحضاري. وفي اعتقادي أن، ومهما كانت الظروف، من غير الجائز كسر وجه هذه المدينة العريقة أو تشويهه. وقد عرّ علي

وآلمني، بعد عشاء ساهر، ليلة رأس السنة، في تشارلي بيردي، أن أرى الشانزليزيه أشبه ببرج بابل أو بجحيم دانتي، يجتاحه الهاجون يتعتهم السكر وما يبدي من حسد ناغم على هذه المدينة الجميلة، فإذا هو: رُحف كتل بدنية وصوتية هجينة مريبة، وكوم من النقبات، وحطم من قناني الكحول... فتمنيت لو أني لا جئت ولا رأيت! أفهكذا يُستقبل العام الجديد.. بمثل هذا الهيجان المخيف، يوقعه الطارئون على قيم المدينة ومعانيها؟! وأين ذا الغريب الأديب يتماهى ويتوهج؟! أنا أفهم وأنفهم أن تكون حركة اعتراضية ضد حلوله، لأنه يسرق عمرنا، فنحطم الساعات، ونريق النبيذ والشامبانيا على عقاربها حتى لا تقوم لها قيامة... ولكن ما ليس كمثل هذه البارقة الممتعة فأدينه وألعنه وأدعو عليه إلى ديار البلى..

وفي كل حال، ومهما يكن، فإن باريس مدينة محولة مغيرة: الخارج منها هو غير الداخل إليها.. وقد يراود النفس الأمارة بعبادة الجمال قضاء ما تبقى من العمر فيها! ولكن، بعد ذي الألفة مع عشيرة وعشرة وشهرة، أطبق النفس وترتضي أن تكون النكرة على أرفصة اللامبالاة؟!

اللهم أبعذ عني حلاوة تجربة الكأس المرة.

٠٧/٠١/٠٣ - ٠٦/١٢/١٦

الحيّ اللاتينيّ، حول السوربون
جامعة الجامعات، حيثُ كلُّ ينادي
على طعام بلاده وتكادُ لا تجدُ موطنًا
قدم في مطعمه، لكنّما هو العالمُ
تجمّع هنا بمطابخه وأفواهه!
وانقضى السهرُ على أنوار شقّت
الشانزليزيه والبيغال... بلُّ باريسَ
كلّها، حين أقيتُ عليها، من على
شرفة البيت، نظرة ما قبل النوم...
والأحلام!

في باريس يتأخّر طلوع الضوء إلى
نحو الثامنة والنصف بالتوقيت
المحليّ شتاءً. ولذلك شعرتُ أنّ
ليلي ليلان.

ولمّا سُئلتُ في احتمالات الزيارات
السياحيّة، قلتُ: أريدُ أن أذهب أولاً
إلى الناس: الوجه.. والحركة..

والتعاطي في الأسواق والمقاهي،
لأستشعر النَّبْضَ والحرارة، وأكسرَ
حدّة الغربة، وأقيم شيئاً من الألفة
مع روح المدينة.. المدينة التي تكادُ
تكون مدينة الغرباء، ولاسيّما من
أفارقة عاملين ويابانيين سائحين،
هي سماتهم تنطقُ بأصولهم!

وفي الطرقات والمباني، تلفتُ
انتباهك أعمالُ الصيانة الوقائيّة، لا
تفاجئك التحويلاتُ عنها؛ بل ثمّة
حول ما يُعرفُ بالبريفريك، أي
الأوتستراد الدائريّ، مساربُ تفتحُ
وتغلقُ غيبُ الحاجة. والعملُ جارٍ على
خطوط سيرٍ إضافيّة للسياراتِ
والمetro والترامواي لئلا تختنقَ
المدخلُ والمخارجُ بالازدحامات مع
بدء الأعمال وانتهائها، ما يخففُ
عبء التنقلات على المواطنين،
ويوفرُ الراحة للسائحين.

وإنك متى كنت في غاليري لافاييت،
حيث تلك المحالُّ الكبرى الباهرة، لا
تستطيع إلا أن تقفَ بقبة العطور
نشوان من شمْ ونظر. ولولا قلة ذاتِ

اليدي ما كان ليكون أعذب على القلب من
اختيار الأحبِّ إلى الأحبِّ في حياتي.. ولكن!!

فإذا أنت انسلختَ من هناك وظلّت تتولّك
عناية الجمال، فليس إلا أن تسلمَ دهشتك
لأنامل صاغية المعادن الثمينة والأحجار الكريمة
عند رأس الريفولي، وهو يتلألاً قبالة
البلاسفانندوم بثريّات العيد؛ وما هو هنا يُغني
عن ألف حلالٍ وحرامٍ في دنيا السحر، منذ أن
اشتدَّ جنّاح في عين الخيال!

ومما يجمعُ بين اللافاييت والريفولي
والفانندوم، لا المولان روج والشانوار، روحُ
المرأة، لأجلها يراقُ تريقا الرجال، لكأن كلَّ
شيءٍ كان ليكون من كلِّ شيءٍ فيها لكلِّ شيءٍ
فيها مفاثن مفاثن حتى انبلاج فجر الطفولة
فوق خرائب العمر!

فأنت، وامرأة في القلب تسكته، ترتج عظمة
عظمة، ويتواثب بعضك في بعضك، وتنداحُ
كمثل الدراويش يذكرون ويذكرون حتى
الانكشاف والانخطاف والتلاشي... فليس
كمثل ما للمرأة ما يستدعي المرأة؛ وإن الذي
ما بين الجمال والحب كالذي ما بين الحب
والجمال: العلة هي المعلول، والمعلول هو العلة!

بلى. وسطّ ذلك الجمال، صرخ الحبُّ: أين أنتِ
يا امرأة!! وساعتئذٍ، استعادت الحجارة الغبراءُ
بياضها الأول، وخرج المعماريون والنحاتون
والرسّامون والموسيقيون والمغنون
والراقصون والمسرحيون والروائيون
والفلاسفة والشعراء والثوار... خرجوا من
محترفاتهم ومتاحفهم وجنائهم وساحاتهم
والميادين... خرجوا من البانتيون.. وصاروا
يطعمون الحمام الرماديّ كقرميد السطوح
وقصديرها حبات الخلود لتشرق الشمس من
وراء الغيوم التي تكادُ تلامس ذوابات المدينة
أبدًا..

بعد ذا، وكان طلع نهارٍ جديد، قمنا بعزم إلى
فرساي، العاصمة القديمة قبل تمام وحدة
الفرنسيين، حيث القصر الشهير، الذي يضجُّ
بأحلام الملك الشمس استنارت العظمة

فتجسّدت في الموقع الطلق وفي الهندسة
والنحت والحضر والرسم والحياسة والتعدين
والبرك والميادين والحدائق... حتى يكاد قلبك
ينفطر من فيض الروعة تتراكم حجرة إثر
حجرة من جناح إلى جناح يطلُّ على أمدا الماء
والخضراء، في أنتظام يشفُّ ويثم عن أسلوب
حكم أحسن بقدر ما أساء: فإذا كانت احتشدت
ثروات في سبيل هذه التحف المتحف، التي من
أعمدة تراث فرنسا ومواردها السياحيّة، فإنها
الثروات التي من ضرائب الأعناق والأرزاق،
التي استنارت التمرّدات وصولاً إلى ثورة
الحرية والأخوة والمساواة... لكنّما لا عظام
إلا من عظام ولا شواهد إلا من سحق وزهق!
وهل إلا من يرون أنهم هم والدولة.. والله
أحياناً وأيضاً واحداً أحد من يخلدون في
التاريخ؟ ومن قال إن التاريخ هو ما يصنعه
القدّيسون؟ أليس في أكثره من صنع
الشياطين، فيكون ما يكون من جنونهم فنون
وفنون؟!

ولعل ما كان من حسن الصدف أن زيارة قصر
فرساي قدّمت لزيارة متحف اللوفر، فهيأت
في الصدر مكاناً لمقاربة روائع من روائع
الشعوب والعصور حتى أن تقول: شاهد اللوفر
ومت!

ولكن، من ذا الذي يدعي أنه شاهد اللوفر،
وكلُّ حقبة، وكلُّ اسم، وكلُّ عمل.. في هذا
المجمع الفني المنتخب المنوع الأرحب في
العالم، يستدعي التمهّل في التأمل والتذوق...
ومن أين الوقت والأقدام لذلك!

ولذلك، يطوشُ نظرك وتنهالك على مقعد هنا
أو هناك، ثم تندفع من صالة إلى صالة ومن
رواق إلى رواق، صعوداً ونزولاً، وفي
الاتجاهات الأربعة، حتى يصيبك الإعياء وتطلق
المكان، وخلفك قلبك كله، وقد انشق عن نشوة
أقلقها السؤال: ولم تحرم بلدان وشعوب ممّا
يُتاح لبلدٍ وشعب؟ ولم يقبل أناس على ما
يُدبر عنه أناس؟.. لم هذه القسمة وهذا
النصيب؟!

ثم إنني، وأنا أشدُّ السير في ممشي حديقة

٥ | من وقائع الندوة حول كتاب في خلقية المدينة

بمناسبة صدور كتاب: في خلقية المدينة (أعمال مؤتمر). عن منشورات جامعة سيّدة اللوزية. نظّم المركز اللبناني للأبحاث المجتمعية ندوةً. أدارها د. أمين ألبرت الريحاني. وشارك فيها رئيس الجامعة الأب وليد موسى والأستاذ أوليفيه مونجين (رئيس تحرير مجلة Esprit الفرنسيّة) والدكاترة بولس سرّوع وأنطوان سيف وفيفيان نعيمه وعبود القاعي (منسق المركز).



The book Ethics and Society, that we are celebrating, discusses significant issues of social and political perspectives. The themes include: revision of the moral rules and regulations, globalization and socio-cultural radicalism, the dialectics of ethics, the human, symbolic, and esthetic aspects of religion, ethical conduct and modernism, the virtuality of the real, the experience of dialogue and the criteria of success, the moral incertitude and the search for human substance, certitude, ethics and dialogue: gaining perspectives from the past, the problem of ethics, the ethics of professions, the globalization of ethics, the ethical resistance at home, at school and in the community, principles and compromises in ethics. These issues are of a main concern today as part of our key tools to confront the present and future challenges at the individual, institutional, national and international levels.

Could we lead these themes into a kind of a synthesis? Could we conduct these concerns into a sort of moral, rational and ritual blend? Or the further we go in this imperative and insightful concern the more complicated this issue becomes?

I would like here to refer to the core question that has been always put forward and that is: Would a society stand without ethics? And to the other associated question that has been as well always posed: Is it possible to talk about ethics without society? In other words, are there ethics outside society? If ethics disappeared, what society would exist!

Indeed, ethics and society are in vital correlation. The development of one goes along the development of the other. Nevertheless, at the heart of both, there is the human being, the main and only constituent of ethics and society. As a matter of fact, the value of ethics persists when they are lived out!

We, at Notre Dame University, believe our relationship with society to be prolific and constructive. As well, we understand our role in this country, Lebanon, to be significant and shaping. We moreover see ourselves initiators and contributors to the development of Lebanon and reformers of its unacceptable facets.

At NDU, this belief leads us to unveil the weaknesses and deficiencies of our Lebanese society and to explore the possibilities of their reduction finding ways for enhancement.

٥ | الدكتور الريحاني

(Dr. Rihani) قدّم للندوة بقوله
في الكتاب:



٥ | ورئيس الجامعة الأب وليد

موسى (Fr. Walid Moussa) سأل
ما إذا كان في الإمكان أن يقوم
مجتمع ويدوم من دون الأخلاق،
قائلاً:



٥ | روبير خانم

القطار

يأخذني القطارَ
إلى بلادِ الشمسِ والمرايا
إلى سُهوبِ السّجَرِ والخفايا
ويَمحى النّهَارَ.

يأخذني..
يمرُّ في أزمنةِ السّحَرِ
مسافراً في الرّيحِ والمَطَرِ
كما عبورَ النّارِ.

يأخذني القطارَ
إليكِ يا حبيبتي
إلى سُوغِ الدهرِ والمكانِ
أصيرُ في الغيوبِ والفُبارِ
أنامُ في أرجوحةِ الزمانِ.

إليكِ يا أميرةَ البهَاءِ
تأخذني الرّيحَ.. والسّفَرَ
يزرّعني القَدَرُ
على حدودِ الغيبِ والسّمَاءِ.

حبيبتي.. حبيبتي...
إلى جزائرِ الرموزِ والأحلامِ
يأخذنا القطارُ
تهاطلتْ على الدُّنى الأيّامُ
فعدنا وَعَدَ الخَلْقِ والأسرارُ.



مدينة النعاسِ والمَطَرِ

وما هيَ «هنا»؟
سوى خرافةٍ مِنَ اليباسِ
يسكنُها الوَسواسُ

«أحلمُ أن»...
- بأن-

سيأتي يومٌ
فننظفي..
ونختفي...
تزرعنا الطيورُ في الأفلاكِ
في مُدُنِ الرّجاءِ
فننتهي إلى نقاءِ
ويهلكُ الهلاكُ.

«أحلمُ أن»...
- بأن-

سيهطلُ المَطَرُ
ويُعقدُ الثَمَرُ
نسيرُ صوبَ الحبِّ والجمالِ
يتسعُ الخيالُ
فنغدو أتقياءَ
أفكارنا تطاولُ السّمَاءِ.

أرحلُ في البعيدِ
إلى مدينةِ النعاسِ والمَطَرِ
يسكنني القَدَرُ
فأستعيدُ مِنَ المواضي «الغابراتِ»
عبرةً ولونَ
أصيرُ في الأحلامِ بعضَ كونِ.

فعلاً، أنا أتيتُ
أمّ ما نراهُ
- لا نراهُ؟!
ذرةً مِنَ الغبارِ
هُوَ.. هُوَ
يشئلني الدوّارُ
على نخومِ الفيضِ والنّعاسِ
وتَمحى الحواسِ.

يا مَنْ يردُّني «إلى أنا»
يقولُ لي
لا.. لا تخفُ
فأنتِ أنتِ
-«هنا»-

"Je ne suis plus dans le monde ; eux sont dans le monde [...] Je leur ai donné Ta parole et le monde les a haïs, parce qu'ils ne sont pas du monde, comme moi je ne suis pas du monde" (Jn 17, 10 et 14).

Travaillant dans le secteur disciplinaire économique et financier, à chaque fois que je relis ce passage de la "Prière sacerdotale", je me sens tiraillée entre une vision professionnelle de ce monde qui en fait un objet crucial d'investigation et l'enracinement christique hors du monde.

La vision économique et financière du monde n'est *a priori* pas éthique. Tout au plus sa normativité épouse-t-elle la positivité des pentes des courbes d'extrapolation modélisatrice des données investiguées, à telle enseigne que le "décatalogue des économistes" pourrait se décliner comme suit: "Tu ne décroîtras pas le PIB; Tu ne surendetteras pas le secteur public; Tu ne rigidifieras pas les acteurs économiques; Tu n'emploieras pas l'épargne privée à des fins non productives etc."

Cette amoralité ontogénique des disciplines économiques s'est trouvée accentuée ces dernières décennies par la prépondérance quasi doctrinaire des thèses ultralibérales accompagnant l'essor de la globalisation financière et économique. Pourtant, des mécanismes régulateurs ont fini par opposer des garde-fous à ces thèses au double habillage scientifique (rationalisation implique dérégulation tous azimuts) et sotériologique, frisant l'eschatologique ("Nul salut hors de la libéralisation cosmique!")

Ainsi en est-il de l'étude des marchés émergents, qui, au cours des dernières décennies, a fait apparaître les processus de libéralisation financière dérégulatrice et d'ajustement structurel comme autant de sources d'incertitudes conduisant à des comportements de rationnement de crédit. Ces constats ont amené des auteurs comme Greenwald et Stiglitz à prouver que les allocations du marché peuvent être améliorées à travers des interventions gouvernementales adéquates, décrédibilisant ainsi la rage antiétatique du moment.

L'un des paradoxes de la mondialisation est, en effet et comme l'a décrit Olivier Mongin, qu'elle est "globalisation de la dissémination [liée aux flux technologiques] qui produit des fractures" économiques, politiques et culturelles². Force est de constater avec Abdo Kahi l'étonnante concordance qui existe, dans le contexte de la mondialisation, entre vitesse et liquidité des sociétés et radicalisations socioculturelles³. Et au Père Walid Moussa d'observer à juste titre que cette globalisation a, en fragilisant les structures sociétales des états, renforcé les crispations communautaires identitaires et favorisé par là même l'émergence de féodalités à la fois locales et mondialisées, visant à protéger les groupes se sentant menacés, tout en s'inscrivant dans le cadre d'un marché globalisé unidirectionnel. La conséquence en est la nature constamment conflictuelle des relations entretenues par ces féodalités entre elles et avec le système globalisateur lui-même qui, en épousant la même visée protectionniste que ses adversaires, s'est érigé en une entité tout aussi féodale et totalitaire (toujours selon le Père Walid Moussa).⁴

Les autorégulations paradoxales et les apories systémiques inhérentes à un processus en même temps disséminateur et fractal, qui démystifient la globalisation ultralibérale, constituent certes un juste retour du balancier, peut-être même des garde-fous salvateurs, mais ne permettent pas à elles seules de ramener à la dimension éthique.

Plus précisément, l'intrusion du virtuel dans le mondain réel a tendance à "déchaîner les possibles par rapport à l'avenir"⁵ dans un contexte à la fois d'accentuation extrême de la responsabilisation envers des actes à venir fortement indéterminés et de dépréciation du réel. En somme: un monde globalisé, liquéfié ("dans lequel on se noie beaucoup")⁶ et

○ | وتحت عنوان: Vaincre le monde une lecture chrétienne
الدكتورة نعيمة (Dr. Naïmy) قالت d'Éthique et société

- 1- Greenwald B., et Stiglitz J.E., (6891) "Externalities in Economies with Imperfect Information and Incomplete Markets" *The Quarterly Journal of Economics*, mai: 229-264.
- 2- Mongin, O., "L'éthique à l'heure de la mondialisation". *Ethics and Society*, NDU Press, 2006, p. 39-40.
- 3- Kahi, A., "Mondialisation, vitesse et liquidité des sociétés versus radicalisations socioculturelles, Quelle éthique?". *Ethics and Society*, NDU Press, 2006, p. 15.
- 4- Moussa, P. W., "Pour faire face au conflit entre les systèmes des valeurs, l'espoir de l'expérience éthique". *Ethics and Society*, NDU Press, 2006, p. 10.
- 5- Mongin, O., op. cit., p. 41.
- 6- Daniel Cohen, cité par Olivier Mongin, op. cit., p. 42.

٥ | وقدم الدكتور بولس سرّوع
(Dr. Boulos Sarru') نظرة فلسفية
عن المفهوم الخلقّي وتطوّراته:

To address the question of ethics is a paramount challenge accentuated by the nature of the subject matter, a nature that has taxed human efforts to address it since time in memoriam. From ancient times to the present, landmarks have been identified in the field by outspoken geniuses from Hammourabi to Durkhiem, to the contemporary Alasdair MacIntyre. Yet the definitive word has not been uttered yet, and we have serious doubts that it will ever be. The domain is too broad and volatile to allow for any continued stability. The point of optimism, however, is that the general outlines and parameters of ethics are still constant. Corollary to the variability of the specific situation and the constancy of the general is the dynamism of any argument that touches on the ethical dimension.

This dynamism gains a more accelerated momentum and complicated application when it is related to the social phenomena. Auguste Comte admitted that these phenomena are the most problematic and difficult to organize scientifically as there are three modes of thinking controlling the human mind: theological, metaphysical, and positive. Consequently, social re-organization requires, on the one hand, a unification of the thinking mode along scientific or positive lines, and, on the other hand, the devising of a new ethics concordant with this new mode. Needless to say that such endeavors remain visionary and frustrated at best, at least in the foreseeable future.

Though not addressing all these issues, or some of their details, the conference held at Notre Dame University, Louaize to discuss the theme of "Ethics and Society" on April 28-29, 2006 did, nonetheless posit a number of related issues in the hope of shedding more light on possible approaches and solutions to the question at hand. In an opening session and five subsequent ones, scholars from various, but related, disciplines tackled the correspondence between ethics and society. The keynote speaker, Monsieur Olivier Mongin, explored the issue of ethics and mondialization, touching on immediate and global ethics. The formal sessions of the conference explored such issues as ethical behavioral between the multiplicity of values and the search for meaning. The second sessions addressed the theme of the challenges of ethical behavior in contemporary societies. Other issues and dialectics were discussed and are listed in the proceeding of the conference included in a book published by NDU Press.

The presenters in these sessions had one major concern on mind: why is ethics so formative, and if so, what next. The papers were not only analytical and descriptive, but dealt with prospects of ethics in a changing world and an ever complex society. The

scholars presented. The recommendations of the conference highlight the projected futuristic challenges that must be addressed. At the heart of these challenges is the real need for an ethics that guards against relativity of values. It is to this last note, and to my presentation in the said conference, I would add the following concluding footnote. Ethics is not isolated or utopian, though it have originated in such spheres. Essentially, it is rooted in the human psyche in its rational and affective manifestations. And as reason and emotions are not concordant all the time, the duty of ethics, at least in its positive application, is not always fulfilled. It is imperative then to broaden the scope of the application of ethics in order to augment its role and influence. It is not enough to view ethics as a formant in the civil life of society; Equally important is the application of ethics to civic life in the sense social duty and application. The coupling of theory and practice, constant and variable, individual and communal, earthly and sublime, and other emerging ramifications renders our duty more difficult, yet more rewarding. Indeed, it is very assuring to know that we still have so much to do. The paradox lies in the fact that the more we explore in this field, the more the distance that lies ahead. And this is the beauty of it all.



◀◀ occidentale et d'une certaine part de l'islam, en renversant la visée : alors que la théologie patristique et le soufisme, dans leur approche apophatique de la relation théanthropique, voient l'homme selon le point de vue divin, donc potentiellement déifiant par amour¹¹, le thomisme et le fidéisme islamique se recroquevillent, l'un, sur une réduction cataphatique du divin en un objet rationnel, donc exit toute velléité déificatrice, et l'autre (peut-être en réaction aux velléités péripatéticiennes médiévales¹²) sur une scission définitive entre un plan divin totalement inaccessible et un plan humain définitivement mondain.

Lorsque les religions ne sont plus des traditions initiatiques de déification et d'amour, elles ne sont plus, comme dit l'Apôtre, "qu'airain qui sonne ou cymbale qui retentit" (1 Cor 13, 1). A cet exercice, la modernité philosophique fait encore plus pâle figure, ne possédant même pas de caisse de résonance pour "donner le la" de l'éthique au sein de la cacophonie actuelle. Gageons qu'elle n'en a pas la capacité. Ce n'est pas la raison autonome de l'homme qui peut instiller du sens et surtout de l'amour et de la miséricorde, là où tout est livré à la logique fractale de l'économique, du financier, du sociologique et du psychologique.

La modernité idéologique est responsable, pour ne pas dire coupable, après avoir dénaturé les religions, d'avoir amené l'homme à s'enfermer dans le mondain et à se disloquer avec lui.

Oui, Père Walid Moussa, vous avez raison de désigner la globalisation modernisatrice comme source des désastres que connaît le monde et particulièrement ce secteur de la planète. Et ce n'est pas par le recours à une quelconque éthique intellectualiste et universaliste, issue du vivier rationaliste séculariste que l'humanité s'en sortira. Loin de toute incitation à un repli sur la composante institutionnelle du fait religieux, la voie qui reste à explorer est celle des Pères de l'Église. Il s'agit de plonger l'intellect dans le cœur

pour l'ouvrir à l'illumination par l'Esprit Saint, permettant la déification de cet intellect, de cette âme, de ce corps. Par la multiplication de ces personnes déifiées, y compris hors de l'Église visible, comme Al-Hallâj ou Gandhi, l'humanité et le cosmos sont progressivement déifiés et, par Celū¹³ qui a vaincu le monde par l'amour, avec Lui et en Lui, nous pourrions vaincre la globalisation et la transformer en une mondialité féconde et éthique.

11- Voir Vladimir Lossky, *Essai sur la théologie mystique de l'Église d'Orient*, Paris, Aubier, 1944.

12- Voir Henry Corbin, *Histoire de la philosophie islamique*, Paris, Éditions Gallimard, 1964-1974-1986.

13- Yašū' veut dire en hébreu: "Dieu qui sauve".

تبدو مكابرةً نافرة المحاولات المستعرة منذ عقدين للإحاطة بوقائع العالم، ناهيك باستشراف مستقبله! إلا أن استدراج الأفكار إلى ساح هذه المنازلة غير المتكافئة يستبطن، في ظلال اللهج بالحدث الكوني المستجد وغير المسبوق الذي هو العولمة، الكثير من أوهام المعرفة المطمئنة التي لم تترك لها الحوادث المتلاحقة فرصة مراجعة واقع أدواتها المنهجية للتنبؤ من استمرار نجاعة فاعليتها، عندما تكون خصوصاً محمولة على وقائع لم تعدها من قبل.

الباحثون الذين التقوا هنا منذ عام في مؤتمر «في خلقية المدينة» الذي نتخلق اليوم في هذه الندوة حول الكتاب الحاوي لأعماله الكاملة، واجهوا السؤال القاعدي والمركزي القلق، التالي: كيف نطرح مسألة الخلقية في زمن العولمة؟ وطرحوا جملة من الأسئلة المشتقة، عالجوا مضامينها: الإشكاليات والحلول، وفي غير مجال من حقول الأفعال والأنشطة الإنسانية. جوانب القلق في السؤال متعددة، قد يختصرها عنوان كتاب آلان تورين الذي تعمد وضعه بصيغة السؤال: «هل باستطاعتنا العيش معاً متساوين ومختلفين؟» (١٩٩٨)؛ ولاحقه سؤال دريدا المقلق حول المستقبل: «مِمَّ سيتكوّن الغد؟» ونضيف نحن: ما معنى «الغد» في هذا السؤال القلق؟ إنه تسام ليس على الحاضر فحسب، بل على مستقبل يشبه هذا الحاضر المرفوض الذي يهدد بأنه يحبل بمستقبل يشبهه!

الفلسفات الإرادوية تقول: المستقبل يبدأ الآن! أليكون القلق محايداً للجواب أيضاً؟ إشارة إلى القاعدة المعرفية بأن الأجوبة هي التي تصوغ أسئلتها المقابلة؟ والأسئلة أيضاً تستبطن سلفاً الأجوبة الممكنة، أي الأجوبة التي بإمكانها أن تصوغها. ليس ثمة مخالطة متعمدة في هذا النهج خاصة بأفراد أو جماعات بعينها، بل سلوك فكري غير واعٍ لمختلف تصرفاته، يسعى الفكر النقدي الذاتي لكشفه وضبط شروده.

لم يتردد منظمو المؤتمر، بإدارة عبود القاعي، في اختيار المقاربة الخلقية لهذه المسألة المعقدة والمتشعبة التي تشكل موضوع مؤتمريهم: أي سلوك البشر وأفعالهم في إطار العولمة. أوليفيه

◉ | وجاءت كلمة الدكتور أنطوان سيف في «خلقية المدينة» لتؤكد على «الحوار الدائم من أجل عالم أكثر تنوعاً وتضامناً ومساواة»، قائلاً:

◀◀ réfractaire à l'éthique (fluide, horizontal, mais fortement inégalitaire) dans lequel la menace à venir a remplacé l'espérance: un océan en pleine tempête pour des individus et des corps sociaux émiettés.

Est-ce à dire qu'il faille instaurer une dichotomie à l'échelle personnelle entre l'engagement professionnel et la quête de sens, inhérente à la foi? Ou bien faudrait-il que ceux qui cherchent le Royaume de Dieu le fassent ailleurs, en abandonnant ce monde à son Prince?

Pourtant, Celui qui, dans la prière susmentionnée, a affirmé l'enracinement hors du monde de Ses fidèles, milite clairement contre une telle désertion: "Je ne Te prie pas de les enlever du monde, mais de les garder du Mauvais" (Jn 17, 15).

D'aucuns rétorqueront que c'est précisément l'excès de l'emprise du religieux qui entrave la réalisation d'un projet éthique à l'échelle de la mondialisation contemporaine. Déjà le marxisme a récusé en son temps ce modèle dans son aptitude à préparer les hommes à transformer le monde pour la plus grande libération de l'homme. Que dire alors aujourd'hui des crispations conflictuelles globalisées issues du repli observé, depuis le dernier quart du XXe siècle, sur les attitudes fondamentalistes et totalitaires du fait religieux? Le Père Walid Moussa va jusqu'à faire de cette légitime interrogation l'incipit de l'ouvrage collectif *Ethics and Society* qui motive la présente réunion: "Quelles sont les raisons des crispations, des replis et des affrontements actuellement en cours à l'Est, à l'Ouest, au Nord et au Sud, entre les systèmes religieux, normatifs et éthiques, qui vont jusqu'au point de provoquer des guerres civiles?"⁷. Cependant, en bon herméneute de la religion, le Père Walid Moussa n'incrimine pas celle-ci dans l'engrenage décrié, mais précisément son dévoiement dogmatique et totalitaire, loin de son élan initial (et initiatique) vers une pleine réalisation humaine

Toujours est-il que la philosophie, de Baruch Spinoza à Paul Ricœur, se targue-t-elle de pouvoir construire l'éthique en dehors du champ religieux, tout en récusant le relativisme. Ainsi en est-il de tel héros de *La Peste* de Camus qui veut devenir saint sans Dieu, ou la notion de capabilité, forgée par Paul Ricœur et l'économiste Amartya Sen, où "on retrouve la force de l'agir comme capabilité ou comme possibilité concrète de pouvoir réagir aux situations de droit"⁸. Mais, n'en déplaise aux philosophes et malgré l'apparent discrédit amené sur le fait religieux par les intégrismes et les anathèmes, la foi, tout comme l'éthique, continue à être irréductible aux plans phénoménaux psychologique et sociologique.

Il ne suffit pas de faire confiance aux traditions critiques internes aux systèmes religieux pour contrebalancer les aventures totalitaires, et de mettre "en relief la multifondation des valeurs universelles à distance du discours relativiste d'une part, et du discours hégémonique d'autre part"⁹. mais de reposer clairement et dans un contexte contemporain la question de la transcendance poétique de l'éthique.

C'est précisément une des interrogations cruciales amenées par Abdo Kahi dans sa conclusion à la présentation de la problématique de l'ouvrage objet de cette réunion? l'excès d'incertitude conséquent à l'essor de la virtualité en contexte de globalisation

technologique, avec son lot d'angoisses existentielles, il y a la réponse de la foi, "car c'est avec cette foi seulement qu'on arrivera à accepter, sans chercher à le comprendre, pourquoi les incarnations particulières de l'absolu ne sauront jamais l'épuiser"¹⁰.

Le chaos (si peu créatif) engendré par la globalisation, certes, révèle l'incapacité des religions, dans leurs composantes dogmatiques et institutionnelles, instrumentalisées par les crispations identitaires du monde globalisé, à fournir une réponse éthique qui satisfasse à l'exigence d'universalité face au défi de la mondialisation. Ces composantes, par nature, ne peuvent que participer activement au chaos ainsi désigné. Cependant, qu'il me soit permis de dire que la philosophie fait montre à ce titre d'une incapacité tout aussi accablante que l'institutionnalité religieuse dogmatique. Son immanence déclarée est tout aussi doctrinaire que la transcendance de façade affichée par la théologie scolastique en christianisme aussi bien qu'en islam. L'aristotélisme médiéval n'a-t-il pas perverti les élans spirituels du christianisme ◀◀

7- Moussa, P. W., op. cit., p. 9.

8- Mongin, O., op. cit., p. 45.

9- Mongin, O., op. cit., p. 46.

10- Kahi, A., op. cit., p. 30.



إلا أن غنى النص عند القاعي يكمن في تظهير الجوانب المختلفة للمسألة، وبخاصة تلك التي لا يمكن لحظها تلقاءً وبسهولة. فهو يوحد المبعثر، كأنه يستردُّ وحدةً للعالم قامت العلمنة ببعثرتها وأرست تراخيًا في الرباط الإنساني لا بدَّ للخلقية المتجددة من شدّه ورأبه. يبقى المسكوت عنه في هذه المواقف، وبعضه يثير الدهشة، إذ إنَّ ضبابية «المحلي» الوطني، الذي هو «مطرح الجمرة»، يحجب ويبدّد الآفاق البعيدة للعالم وللعولمة معًا.

ثمّة وهم تفرّضه علينا أرقام السنوات والقرون: نحن الأحياء لا نعيش بالحقيقة، في هذا الآن، وفي كلِّ آن، عالمًا مترامًا (synchronique). وبالتالي، يصعب الكلام على المساواة على مستوى الحقوق الدولية؛ أو الأخوة على مستوى العلاقات الإنسانية (الدولية، أو المحلية)؛ لقد ذكر جويل رومان في كتاب المؤتمر، وربّما بوحى من مايكل ولزر، بأنَّ الأخلاق الدولية هي وهم. وأخلاقيات المصلحة، كما في فلسفة بنثام النفعية، لم تفض إلى التفاؤل التي تكذّبه وقائع البؤس البشري. فضلًا عن أنّ حساب المصالح على مستوى الأفراد كما على مستوى السلطات المختلفة، ليس معصومًا عن الأخطاء. فغالبًا ما يؤوّل إلى عكس المصالح المطلوبة.

إلا أن الجماعة المؤتمرة، على اختلاف مشاربها وتجاربها واتجاهاتها ومذاهبها، يمكنها أن تضمّر وحدةً ما في ما بينها، ناجمةً عن وحدة جرحها وأملها: فالعالم السريع التغيّر لا يشترط، سريعًا وتلقاءً، تغيّرًا فينا، في أخلاقنا، وخلقياتنا، ومناهج تفكيرنا، وقيمنا التي هي التعبير المكثّف عن خلقيتنا التي قد نحسن صياغتها كما قد لا نحسن صياغتها. فالفكر الملتزم (ودليل التزامه مشاركته البحثية في المؤتمرات والأبحاث والأنشطة الخاصة بالشأن العام...) ذو أفق تزاوئيّ، رجائيّ بحسب التعبير المسيحيّ. ما من فكر ملتزم عدميّ. هذا الرجاء النابع من مساوية الواقع وصعوباته هو ثمرة خلقية متجددة نصوغها معًا، هنا وثمة، وبالحوار الفكريّ والروحيّ والحياتيّ. هذه الخلقية المتجددة، التي لا تحوز إجماعًا على كلّ مضمونها، تلغي، كما يقول الأب الرئيس وليد موسى، أنظمة القيم السلطوية الأبوية التي تشبه الأنظمة الإقطاعية في حكم الدولة والمقاطعات. وهذه الخلقية، بحسب عبد الجبار الرفاعي، هي خلقية النزعة الإنسانية في الدين أي التخلّق بأخلاق الرحمن. وهي خلقية بناء علمانية الحوار، كما يقول جويل رومان، في المكان العامّ المشترك للجميع. وهي، في حياتنا اللبنانية خصوصًا، خلقية التسوية، كما يقول أنطوان مسرّة، أي المفاوضة بالحوار والتنازل المتبادل الذي هو غنى للمتجاوزين مجتمعين.

الخلقية الجديدة هي وقائع نصنعها وتصنعنا، مع توسّع أفقيّ لا سابق له لهذه الصناعة المتبادلة، غير المتكافئة بين الدولة والسلطات، في عصر العولمة، والتي يصعب السيطرة عليها. إنَّ إلغاء العولمة، أو الهروب منها، هو وهم من أوهام الضعف والسذاجة والجهالة. إنَّ البديل الممكن عن العولمة هو عولمة بديلة أكثر خلقيةً، وأكثر تنوعًا، وأكثر تضامًا ووحدةً. وهي تحدّد لهذه الوقائع باتجاه تصوّر أسميّ للإنسان الفرد والإنسان الجماعة المحلية، التي تكتسب طابعًا مسكونيًا «معوّلما» متناميًا بأطراد سريع. وهي معركة ديمقراطية، وليست حربًا عسكريةً عادلة مشكوك بعالمية عدالتها أو إنسانية عدالتها. هذه المعركة الدائمة الموسّعة لأعداد أنصارها في العالم المنفتح على بعضه البعض، قد لا تلقى جزاءها نصرًا قريبًا! وقد تلقى هزائم منكرة على يد البربريات التسلطية العائدة متنكرة بأزياء عرقية ودينية وحضارية متقدمة. إلا أنّها (هذه الخلقية) تبقى أهلةً مفتوحة للتجدد الدائم وللمواكبة الحية لقيم التقدم العدالة والمساواة إلى الحدّ الأقصى، والمحبة والسلام التي لا تأتي، ولن تصمد، من غير ثقافة جديدة تقوم على حوارنا معًا، وتعاوننا المتعاطف أبدًا.

معروفة لا يهتمّ بذكرها، أو بالردّ مسبقًا على اعتراضات خصومها: فعندما يقول بأنَّ العالم اليوم هو نموذج تصوّر غربيّ، فإنه يعيد فعلاً مقولة إدوارد سعيد الشهيرة والمثيرة للجدل المستمرّ منذ ثلاثين سنة، التي عرضها في كتابه «الاستشراق»، والتي هي تطهير خاص، وباعتراف سعيد نفسه، لنقدية ميشال فوكو والتسامي الخلقية (transcendence éthique) عنده مزيج، لا يتألف بسهولة، من النظرة الكانطية العقلانية والحدسية الروحانية. عبدو القاعي، المعلم والمرّبّي الفدّ، يراهن في مواجهة العولمة على خلقية جديدة، متجددة لا قواعد يعطيها لها (وإلا لن تكون خلقية، بل أخلاق) نصل إليها بذاتنا وفي ذاتنا. فلسفته النفسانية الأخلاقية هذه، لا تكثر كثيرًا بالمفاصل التاريخية الكبرى (هنا يختلف كليًا عن مونجان): فلا تواريخ فاصلة عنده، ولا حوادث تحضر هذه التواريخ، ترسم الما قبل والما بعد، وتؤكّد تاريخية الإشكاليات والحلول الخلقية التي، في غياب هذه التاريخية، تتخذ طابع «التعليم» أو الإرشاد الذي تعقد عليه رهانها الأوّل والحاسم. هنا تبدو الخلقية الجديدة المشتهاة والضرورية، نتيجة «اقتناع» مكتسب بالتعليم والارشاد، أي تعبيرًا عن محاكاة (imitation) التلاميذ (أو الناس) لمعلمهم وإرشاداته، ويتمّ بذلك إساءة قدر العوامل «الموضوعية» المعقدة والمستجدة التي لا تشترط ضرورة الخلقية الجديدة، وتصطدم بالمووروث الأخلاقي المتجدد في النفوس والسلوك.

مونجان أعلن بوضوح أنّ العولمة أحدثت «اضطراباً في تصوّراتنا الخلقية، نحن الأوروبيين، وعند سوانا؛ لأنّ السمة المخالفة للعولمة هي أنّها انقطاع تاريخي في غاية الضفاظة لم نعره اهتماماً كبيراً. ويشير إلى موقف الفيلسوف بول ريكور في مقالة له بعنوان: «قبل الأخلاق: الخلقية» (Avant la morale: L'éthique) حيث القانون الأخلاقيّ يدلّ على الممنوع والمحظور، أي أنّ قاعدة السلوك وُضعت في الأصل لإحباط العنف. ولولا العنف، يضيف ريكور، لما كان ثمة حاجة لقواعد أخلاقية. هذه القواعد هي في التقليد الأوروبي «شكليّة وإجرائيّة»، لذا هي لا تندرج في نطاق القيم، هذا الاندراج الذي يسمّيه ريكور: الخلقية. فالمؤتمر انحاز في الأصل إلى الموقف الريكوري الذي أكّدت صحّة خياره الوقائع المتلاحقة مذكّات. إلى هنا تبدو الفكرة وكأنّها لا تقول أيّ جديد لم تقله الفلسفات الكلاسيكيّة: الأخلاق هي مجموعة قواعد سلوك عامّة، والخلقية تقوم على إعطاء معنى، وقيمة، لهذه القواعد، أو لسواها. إلا أنّ الجدّة في هذا الطرح تكمن في أنّ السؤال بات له الآن واقع تاريخي مغاير بعد العام ١٩٨٩، أي بعد سقوط الأوتوبيا المساواتية الشيوعية بين البشر التي كان يمثّلها عياناً الاتحاد السوفياتي الذي انهار لاحقاً، وبعد سقوط جدار برلين، والحرب الباردة، وبروز حدث كونيّ مركزيّ عقب ذلك هو العولمة، التي هي برأي مونجان، ثورة اقتصادية قائمة على التبادل الواسع، وثورة تكنولوجية

أيضاً رمزها سرعة الاتصالات والمواصلات، وثورة إقليمية بدل أن توحد بعثرت وفجّرت الهويّات المحليّة والشروحات الإثنيّة، وبخاصّة ثورة الأديان. «فالصحات» الدينيّة والصراعات المذهبيّة العنفيّة، المعلنة عن ذاتها أو المضمرة هويّتها أو المموّهة لها تحت مسميات أخرى، هي سمة أساسية من سمات العولمة. من هنا، فبعد أن كانت فكرة المستقبل تقوم على التطوّر الذي كانت تمثّله أوروبا، والتفاؤل المصاحب له، بات مستقبل العالم، في ظلّ العولمة، غير محدّد. القلق عند مونجان متنوع: القلق على أولادنا، القلق من تحميلنا مسؤوليّة ما لم نقيم به، الكمبيوتر يفصل الإمكانات عن المستقبل، أي أنّه (بوصفه صورة افتراضية) يقدّم لنا حطاً لقيمة الواقع، وسرعة الاتصالات والمواصلات أحدثت «سيولة» وغير ثبات في المدى والمكان؛ وعلى الخصوص باتت العولمة تهدّد الأمن الشخصي، لأنّها لا تسعى إلى الدمج كما تفعل دولة العناية التي اعتادها الأوروبيون.

لا بدّ أن يكون لمونجان، كما أرجح، دوافع للقلق والخوف من فقدان الأمن، من النوع اللاواعي والمسكوت عنه: فشوارع باريس الحضارة، ومدن فرنسيّة أخرى كثيرة، شهدت أعمال عنف كبرى دُمّرت فيها الممتلكات الخاصّة والعامة، وأحرقت السيّارات بالآلاف، ولمرات عدّة، على خلفيّة ملتبسة تتأرجح بين الفقر والبطالة من جهة، والاختلاف الدينيّ (الإسلامي) والعرقّي (الأفريقيّ الأصل، أو الشرقيّ) من جهة أخرى. هذه الصورة الافتراضية (virtuelle) التي نشاهدها في منزلنا ومؤسّساتنا على شاشة التلفزة، لا تختلف في شكلها عمّا نراه كلّ يوم في العراق. كما لا تختلف في مضمونها ربّما، عن حادثة ١١/٩ في أميركا؛ ألا يكون الخوف من العولمة نقلة نفسانية (transfert) هي تعبير لا واع عن الخوف من السطوة الأميركيّة التي لا تقارنها أيّة سلطة دوليّة أخرى؟ وما معنى أن يرى مونجان الحلّ في بناء «عوامل في ما بيننا» تجمعنا معاً، ولكن «من دون أولئك الذي بإمكانهم أن يخيفونا، كما يقول، أو يمكن أن نخاف منهم» (ص ٤٣)!

باختصار، لا يرى مونجان أنّ هذا العالم بواقعه الراهن جدير بالقبول به كما هو. لا بدّ من بناء قيم إنسانية عالميّة نتشارك فيها، متعدّدة، لأنّ العالميّة ذات أسس متعدّدة. هذه التعدّدية التأسيسيّة هي، بحسب ريكور الذي يذكره مونجان، بمثابة هندسة للخلقية. من جانب آخر، ففي بحث له بعنوان: «العولمة، سرعة المجتمعات وسيلولتها؛ بمواجهة التجذيرات الاجتماعيّة الثقافيّة، أيّة خلقية»، يبدو عبود القاعي في موقف متجانذب (ambivalent)، كأنّه يكمل بعض مواقف مونجان من جهة، ويخالفه في الرهان على بعض المواقف، وبخاصّة في الركائز الفلسفيّة للخيارات العمليّة، من جهة ثانية. يلتفت القاعي كثيراً إلى «الأخر» المختلف المكمل للأننا. ثمة عنده تصوّر لوحدة كونية مضمرة، ينبغي اكتشافها في ذواتنا أولاً، إذ ليس لها مؤشّرات حسية نافرة. فالأخلاق المهيمنة على السلوك، أو كما يسمّيها مايكل ولزر: «أخلاق الحد الأدنى»، أي أخلاق المبادئ القليلة، كمبادئ حقوق الإنسان العالميّة، لا يثق بفعاليتها.

إنّ الحلول الخلقية لهذه المسائل والقضايا المعاصرة هي، عند القاعي، هي إرادويّة (volontariste) تقوم على الإرادة الطيبة المتخذة بقرار حرّ (libre-arbitre) بالحوار والمفاوضة والاتفاق والتكامل، لا يلوي على شروطها الموضوعيّة: السياسيّة والاقتصاديّة خصوصاً. وهي أيضاً صوفيّة عرفانيّة: نبحث عن المطلق (الله) في داخلنا ونكتشفه فينا، بنزعة أفلاطونية أو غسطينيّة مسيحيّة. تجسيدات المطلق (l'Absolu) وتجلياته لا يمكنها، عنده، أن تستنفذ المطلق. وصوفيّتها العرفانية تتأكّد من اعتقادها الراسخ بأن تظهر الحقائق تكون غالباً غير ملموسة وغير مدركة بالحواسّ. الأسئلة عنده يتناسل بعضها من بعض في تصاعد وتسام، بحيث لا يستدرج السؤال الجواب مباشرة، بل يستدرج سؤالاً آخر. فالحلّ عنده نجاه «ما وراء العلم»، في الروح. لا يلتفت عبود القاعي إلى كون مواقفه الفكرية، بغالبيتها، تنمهي مع فلسفات

الصراعيّ ١٧٥، وعدم الرضى عن الواقع اللبنانيّ ١٠-١١، ومحاولة إصلاح المجتمع ١٤، «من خلال التظاهرات الطلابيّة، وخصوصاً تلك التظاهرة التي كُتِّبَ نطالب فيها بإصلاح الجامعة اللبنانيّة، وعدم التدخّل السياسيّ في شؤونها. ١٤، ١٥ المستقبل يدغدغ أحلام بطله، فهو مغامر ١٢، ١٣، يعتمد على النفس ٢٧. يأخذ قراره ١٣٥. «سنا فياض، وليلى فواز، ونوال سعد، زميلات دار المعلمين والمعلمات، يقصدن إحدى بلدات منطقة النبطيّة، وها هنّ، اليوم، في مهمّة تدبّر شؤونهنّ». ٩٩ بطله حرّ، طموح «حملتها ثورتها إلى قبول شاب بيروتيّ يحقّق طموحها إلى الحرّيّة». ٤٨ بطله مثقّف، ١١، ٢٠، ٣٢، ٧٣، ٧٧، ٧٨. يطرح أفكاره بجرأة. مفكّر ٣٣، ١١٦، ١٦٨، ١٧٢. متحسّب ٣٤، ١١٤ «الحزن يترك بصماته في أعمارنا، وفي وجوهنا ونفوسنا أكثر من الفرح. الحزن كالجرح الذي يندمل، ويبقى أثره في الجسد. أمّا الفرح فيتحوّل سريعاً إلى ذكرى دون أن يطبع فينا آثاره الدامية». ٧٣ بطله متفوّق مثاليّ، غالباً، ١٢ «أنت على حقّ، وقريباً ستعودين إلى قيادة التظاهرات ١٤، «سنا أحبّت في الرجل المثال». ١٩٣ بطله ديمقراطيّ «كان رأيه معارضاً لرأيي، مع ذلك فقد أعجبني حديثه، وأسلوبه في الإقناع». ١٥ بطله نقديّ، جدليّ، هادف إلى الإصلاح «إن هذه القناعات لا تخيفني عندما أواجهها على لسان مثقّفين أمثالك، يؤمنون بالحوار، والجدل الفكريّ والعقائديّ» ٣٤، «فالبنيانيّ لا يوالي الوطن بقدر ما يوالي الزعيم ٣٥، لذلك فالوطنية عندنا هويّة ضائعة بين مصالح الزعماء، وهؤلاء بدورهم يعتبرون الوطن شركة استثماريّة تحقّق لهم السلطة والنفوذ». ٣٦ غير أنّ بطله واقعيّ في بعض الأحيان «أنت على حقّ يا أبا علي، فالدولة غائبة حقاً عن الجنوب الذي يعاني الحرمان، والحرب، والقهر، والتسلّط الإقطاعيّ، والجهل، والفقر... فنحن على معرفة تامّة بالواقع الذي تعيشونه». ١٠٠ بطله يقبل التحديّ «تلك الصبيّة المناضلة التي تحدّثت المجتمع والتقاليد والأعراف ١٧٩، بل تحدّثت نفسها، وماضيها، وذكراياتها...». ١٨٠ بطله جريء «هو جهاد العبد الذي يتقدّم

التظاهرات الطلابيّة المندّدة بالخنوع والذلّ والخذلان، ويطالب بنصرة الحقّ». ١٤٩ بطله قدير ١٧٨، ١٨٠، ١٨٨ «غير أنّ تصميمها على زيارة جهاد منحها القوّة والعزم، وتحديّ الموت». ١٩٠ يتعلّق بطله، حيناً، بالتقاليد ١٩، ١٦٤، ١٦٦ «لا يمكننا أن نبني وطنًا حضاريًا إذا استمرت الطائفية حاجزًا في وجه الانصهار الاجتماعيّ... الله للجميع، فلماذا نختلف على عبادته». ١٣٩ وتبرز العادات جليّة ١٥٦ «... وأخذت تتراعى لها صور تلك القرية الجبلية القابعة في كنف التقاليد والعادات التي لا تقبل التمرد والتحديّ، ولا ترضى بالتغيير». ١٢٦ وتبرز الصور التراثية «حكاية شرنقة الحرير، سمعتها سنا ذات أمسية من الماضي الطفوليّ، يوم كانت تجلس في حضن خالها، وهو يتحدث عن زمن القرية القديمة». ١٣٧ يتعلّق بطله بالمظاهر. ينزع إلى نوع من الحرّيّة الذاتية «عباءة مقصّبة ترمز إلى أهميّة مقام صاحبها، وكروسيّ مطعم بالعاج يحدث عن تاريخ الأسرة: ويشهد لأولئك الرجال الذين تربّعوا عليه زمنًا بعد زمن» ٥٥، ٥٦ بطله من المؤمنين بالعرفان بالجميل «سنا اعتبرت دعوة جهاد إلى حفل تخرّجها مناسبة طيبة تعبّر فيها عن وفائها لهذا الشاب الذي سبق وأنقذها من بين أقدام المتظاهرين...». ٢٧ يتعرّض بطله للأحداث مثل سواه «لقد سقطت الزوجة الشابّة أمّ فؤاد في وهدة صخرية، بينما كانت تجمع الحطب، فأصيب في رأسها، وفارقت الحياة». ١٩ يدعو بطله إلى التغيير «كيف أثور في بيروت، وأسير في التظاهرات الطلابيّة الداعية إلى التغيير». ١٠٥ بطله قلق من النتائج «كان طيفا البدوية وابنها يضيعان وراء الخطوط التي رسمها الخصب في المساحات الخضراء، وعينا سهام تهيمان وراءهما، وذهنها شاراد في كلمات أقلت فضولها» «... أفكارها مشوّشة، وغلبيان يكوّ أحشاءها ويخفق صدرها، ويجفّف حنجرتها». ٩٦ عدا غربة بطله عن مجتمعه وهروبه من الواقع لدى دعوة الناس إلى التوقف عن النقاش، والتلهيّ بلعب الورق، فهو يخفي أشياء وأشياء

«أن أكون وريثاً للزعامة، ولكن تفكيري، وعقيدتي، وأفكاري السياسيّة والاجتماعيّة تختلف عن أدبيات تلك المنطقة ٣١. وتتوقّف السجلات السياسيّة عندما يدعو أبو فؤاد الساهرين إلى لعب الورق «الطرنيب» و«الليخة» وهو يردّد «دعوا أمر السياسة لأربابها، واستمتعوا بالوقت بعيداً عن همومها». ٧٠ بطله يعاني كما الآخرين الواقع المأساويّ ١١٨، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٨١، فأحداث الجنوب تتفاقم نتائجها المدمّرة، والسكّان ينزحون نحو صيدا وضواحي بيروت، يزرعون الخيم وأكوخ التنك. ١٣٢ يعالج بطله اهتراء الدولة ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٠، «ليعود مجدّداً إلى مقدّمة الثائرين على الدولة الفاسدة، وعلى التردّد في القرارات المصيريّة، وعلى البلادة المستشريّة في الدوائر الحكوميّة، وعلى فنون السرقة والنهب التي يتقنها أرباب السلطة». ١٧٦ الدكتور منصور عيد هو ابن هذا البلد، يدرك الواقع اللبنانيّ برمته، فيطرح الأمور بتفصيلاتها، يقف خلف بطله، أو قل: هو، غالباً، البطل، فلا يترك سترًا مخبأ. وأهمّ ما يعالجه في روايته هو قضية الزواج المختلط، ونضالات الحركة الطلابيّة في الجامعة اللبنانيّة، والتدخلات في شأن هذا الوطن الصغير، وطموحات الشباب وأهواؤهم. ويخلص إلى نتائج مؤدّاها هذا الوعي العميق لدى بطله، وهو كفيل بأن يوصله إلى ما يبغى، وإن كان، غالباً، لا يعرف النتائج؛ فنظرته إلى الحياة متفائلة مهما شابها من المشكلات، لأنّ معظم شخصيّاته منتقاة بشكل واع، تفكر، تحلّل، تناقش، تنقد، بهدف الوصول إلى النتيجة المتوخّاة عبر الوعي المكثّف.

منصور عبيد في «شرارات الرماد» روائيّ بامتياز وقصّاص محترف



○ | د. يوسف فرج عاد

عدا اختلاط الوصف بالخيال وبالواقع «... الفارس والحصان في عراق مع المسافات التي تحرّرها من عبوديّة الخمول، فيستسلمان لنشوة الشباب والحريّة، والاعتناق من شكليّات المجتمع وأعرافه وتقاليده. وعند نهاية الشريط الترابيّ المخطّط بالأخضر والظلال فسحة حصباء، جرداء إلاّ من شجرة توت غصّة الأغصان، كثيفة الظلال، تصفّق أوراقها للهواء العاصف عند اشتداد الحرّ في النهار». ٦٢، ٦٣

ونرى التصوير الرائع الذي يشدنا، ويؤثّر علينا: «في لعبة الطربيع، كما في المعارك الحربيّة، حلفاء وخصوم، هجوم وارتداد، إقدام وإحجام، خوف وقلق وانتظار، انتصارات وخيبات... إنها معارك الساهرين والمتحلّقين حول الطاولة يقرعون صفحاتها الخشبيّة القاسية، ولا يأبهون للألم الذي يصيب الأصابع الضاربة بقوة. وتنفلت من أفواه الساهرين بعض الأغاني التي تحرّك مشاعر الانزعاج لدى الخاسرين». ٧٠

لقد وصلتنا هذه الأفكار عبر تقنية متخصّص في اللغة، ومتعمّق في القصّ، وفي استخدام التعبيرات «وتغرق كفّ الفتاة في كفّ الأمّ التي توسعها قبيلات وتنهّدت». ٨

عدا ما يشوّقك إلى القراءة لدى بطله المتمرّد الثائر المختلف، وكأنّه لا يعيش في بلاد طغت عليها الوراثة والطبقيّة، وكأنّه يريد أن يتجاوز الواقع إلى عالم مليء بالثورة والحياة، لعلنا نخدم الجيل القادم. ٥٣، ١٤٢، ١٦٦

أبطاله واعون، مقدمون، مختلفون «إنّ روحي تنبض بالحياة هنا، مع أرواح الشبان المتمرّدين على التخلف، الثائرين في وجه الخنوع، والذلّ، والاستسلام». ٣٠

بطله مؤثّر، منتج، يشارك في الحقل العامّ، يناقش. يعاني ١١. يطوّر نفسه ١٢. يعالج قضايا الوطن ١٧. يصوّر الوضع الجنوبيّ ٥٩،

لكثك، إذا تعمّقت ترى أنّ منصور عبيد يتدخّل في اللحظات المناسبة، بدليل أنّه لا يعالج التاريخ وحسب، كما يظن القارئ أو كما يبدو له، إنّما يعرض لقضيّة اجتماعيّة تحصل في كلّ بيئة، وهي من الجرأة أنّ يعالجها المؤلّف، غير أنّه لا يستطيع أن يعمّمها، ذلك نأنه أنّ الزواج المختلف الذي يطرحه، وهو لبّ موضوعه وعموده الرئيس، أتى في زمان غير زمانه، وفي بيئة لم تنضج بعد لهذا الغرض. فالطائفيّة البيضة لا تزال تنهش مجتمعاتنا، فكان أولى المؤلّف إلاّ يطرح موضوعه الآنيّ، حتّى وإنّ طرحه، فأنا أقدر له وقفته، إلاّ أنّها لا يمكن أن تأتي بما هو مأمول منها.

يسلّط منصور عبيد الضوء على المجتمع اللبنانيّ بكلّ تلاوينه، فتلاحظ منذ الصفحة الأولى وطنيّة الصادقة، ومعرفته التفصيليّة، وبخاصّة ذكره أسماء الأشخاص والمناطق. وهذا دليل معرفة، وألفة، ومحبة، وتعلّق.

ينتقي المؤلّف تاريخ الأحداث والمناطق بهدف الوصول إلى مبتغاه، أو لتنويرك للوقوف إلى جانبه، بتأثيره عليك، بعرضه الشيق، وبأسلوبه الجذاب يسيطر الوصف على الرواية منذ بدايتها، وإن كان الحوار هو الطابع الرئيس لكلّ تفاصيلها. ولوحاته الوصفية الرائعة، منتشرة على صفحات الكتاب، تلوّنه بألوان زاهية تبعث فيك اندفاعاً شهياً إلى القراءة، ومثالها «هواجس الليل المحموم بالأمانى والانفعالات راحت تبرد مع النسائم البلبلة التي انسابت مع النوافذ المشرّعة للظلمة والهدوء، مع إيقاعات حفيف الأوراق في السنديانة المجاورة... فاسترسل الجميع في إغفاءات حالمة بعثت في نفوسهم وأجسادهم الاستسلام، واستراحت معها شياطين الظلام في السجون المرصودة، حيث القيود والسلاسل صُهرت من معدن الرغبة في الصمت». ٥٣

عندما تقرأ كتب الدكتور منصور عبيد تروح تتساءل، أهو الروائيّ بامتياز، أو القصّاص المحترف، أم هو الشاعر بشطحاته الإبداعية، أو هو الأكاديميّ والناقد.

قرأت رواية د. منصور عبيد بعنوان «شرارات الرماد» الصادرة عن اتحاد الكتاب اللبنانيين.

ما يلتفت النظر في هذه الرواية ابتداءً، منذ المطلع، بتاريخ محدّد. والتاريخ المحدّد دلالة على الحقيقة المعبّرة. ويعني ذلك أنّ المؤلّف لا يقول كلاماً جذافاً، إنّما في الكلام ثقة، والثقة دلالة على الواقع، ونحن بحاجة إلى الواقع لنستمرّ، ونحيا في بلد تتناشده الجماعات ويغتصبه الأفراد، فلا تبقي منه إلاّ النتف للشيّع الفقير الرازح تحت نير المتسلّطين.

«الأربعاء ١٠ نيسان ١٩٧٣» ص ٣ بداية رواية الدكتور منصور عبيد، وهذا المطلع يحدّد بامتياز وجهة الكاتب، وهي رواية الحدث كما هو، بلا تدخّل، إذا أردت أن تقرأ قراءة سطحيّة.





أما الرابعة الأخرى: ففي أن الشاعر، في ثنيتات قصائده وتلافيف معاناته وتجربته، يبقى مشدودًا إلى المابعد، إلى المستحيل ربّما، وحيث المعاناة والتجربة وحنى الحبيبة ليست سوى محطة من محطات درب وجعه أو في أفضل الحالات هي استراحة زمنيّة- جسديّة على طريق اللامتهدى.. ومن يدري يا سهيل! لعلّ ما يؤرّق نفسيتك الشاعريّة هو هذا النزوع إلى الأبقى وربّما إلى الكمال الذي تحديده في عرفي أن نسعى دومًا إليه، وستبقى نفوسنا قلقة حتّى نستريح في حضرته. وفي هذا المنعطف كم أراني ملتقيًا بك على قلة تواصل في الزمن.

الفلسفيّة مع الصور الشعريّة، فنسأل عن أيّ وطن وقوميّة يتكلّم الشاعر.

أما الخاطرة الثانية: ففي أن الحبيبة عند الشاعر هي الملجأ والمعاد كما الوطن في زمن القلق والضيق: «يا حلوة أعود إليك.. عصفورة طيش وبراعة» (ص ٢٨)، «لكأنني العصفور.. لكأنك السفر» (ص ٢٩)، «حتّى لكأنني أنت.. حتّى لكأنك أنا، حتّى لكأننا الله» (ص ٣٠)، كما في قصيدته «أحبك لأنك أنت» (ص ٨٧)، كأنه يستعيد لي مئي سفرًا قديمًا من شعر الصبا حيث قلت: «.. عيشي ولا تسألني أنا أنت أم أنت أنا» أو يستذكر قول الكاتب الفرنسيّ Etienne de la Boétie (١٥٣٠-١٥٦٣)، صديق Montaigne «.. لأنها هي ولأنني أنا».

الخطرة الثالثة: قراءتك لشعر سهيل مطر تشيل بك إلى مراقبي شعراء الحداثة من أمثال خليل حاوي في قصيدة «الجسر» والعبور إلى الشرق الجديد، الوطن الجديد عند سهيل مطر، ونزار قبّاني. والمقارنة هنا قائمة: سهيل، حبيبته تسكنه الوجد (ص ١٦)، أما نزار فهو محتاج «لامرأة تجعلني أحزن.. لامرأة أبكي فوق ذراعيها مثل العصفور.. لامرأة تجمع أجزاءي كالبور المكسور» (من قصيدته: في مدرسة الحب).

هذان الأفهومان: الوجد والحزن هما من متكأات الشعر الرومنسيّ وإن اختلف المسمّى.. إنه السأم عند صلاح لبكي والألم عند جبران القائل: «أعجب من ألم فيه لذتي»، وهو الملائخوليا mélancolie والغربة والمنفى والصحراء عند شعراء الفرنجة، وهو Spleen عند بودلير. وجلّ هذه المترادفات انطوت عليها قصائد سهيل مطر النثرية كما في مقطوعته العنوانها: «المرأة- الخطأ والأخرى» قرار ظنيّ بحقّ عينها.. «منفاي يضيق.. وغربتي تتسع، لأن الصحراء تجتاح عمري» (ص ٦٧) «.. كلما تطلعت إلى المرأة، شاهدت إكليلاً من الزهر الأسود.. تخيل لي أنك نكرتني، وأنّ بيني وبينك شلالات من الحزن والعتمة والقهر» (ص ٩٩).

3 NATIONAL / INTERNATIONAL CONTESTS
ON THE OCCASION OF THE
MONTREAL PROTOCOL'S
20TH ANNIVERSARY
FOR THE PROTECTION OF THE OZONE LAYER
ORGANIZED BY THE MINISTRY OF ENVIRONMENT & FORESTRY
IN COLLABORATION WITH THE UNITED NATIONS ENVIRONMENT PROGRAMME UNEP

بمناسبة العيد العشرين لمونتريال بروتوكول حماية طبقة الأوزون
تنظم وزارة البيئة وبرامج الأمم المتحدة الإقليم في لبنان بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة
ثلاث مسابقات وطنية وعالمية

BEST POSTER
أفضل
مطويات

BEST MAGAZINE ARTICLE
أفضل مقال
تصغيري

BEST PAPER
أفضل ورقة
علمية

Contestants should submit their POSTER, MAGAZINE ARTICLE or PAPER to the Ministry of Environment no later than 15 May 2007 as follows:
- Digital copy on CD or by e-mail to: contest@moef.gov.lb
- And hard copy by hand.
على المشاركين إرسال المطويات أو المقالات أو الأوراق العلمية إلى وزارة البيئة في مهلة أقصاها ١٥ أيار ٢٠٠٧ وفقاً لما يلي:
- نسخة إلكترونية على قرص مضغوط أو عبر البريد الإلكتروني: contest@moef.gov.lb
- نسخة مطبوعة باليد

PARTICIPANTS المشاركين

Individuals / أفراد

Media Companies / شركات الإعلام

Associations / جمعيات

Freelancers / أمهالون مستقلون

Universities & Schools Students / طلاب الجامعات والمدارس

لغو من المعلومات: يمكنك زيارة الموقع الإلكتروني: www.moef.gov.lb أو www.undp.org.lb أو الاتصال على الرقم التالي: 1780 أو 555-926-01 مفسر 429 أو 429 على الرقم التالي: إرسال النسخ المطبوعة إلى وزارة البيئة - مركز كندارية - الطابق الثاني - بناية رقم 15-B

سهيل مطر و كتاب للحب في زمن الحرب



○ بقلم
د. أنطوان يوسف صفير

هذا كتاب للحب في زمن الحرب، أو قل، بعد ارتياد يناييعه والسفر في مياهه؛ إنه بالحري كتاب الحب في زمن الحرب. التحدي الأكبر أن يكتب سهيل مطر الحب في زمن الحرب، وأن يستل من النقيض سلاحاً يلغي به النقيض الآخر: جمال الحب وبشاعة الحرب. فهل الهروب من الحب وقوع في الحرب، وهل يكون في الحب الخلاص من الحرب؟ وهل مستطاع قيام مثل هذا التحدي؟ اتضح أن نعم، ليس عند الشاعر أمر عسير.

أربعُ خواطرٍ هتفت لي وأنا أقلب صفحات الكتاب وأقرأ.

الخاطرة الأولى: سهيل مطر يرقى الحب إلى سامي الدرجات وبهيتها. هو ينتشل الحب من الذاتية الفردية والشخصانية إلى مرقاة الكلية والشمولية الإنسانية. المعاناة هنا في حجم أمة ووطن، ذلك أن الحبيبة المتجولة بين الأسطر وعلى رصيف الخيال هي هنا، وبجسدها، لتبشّر بإنسان جديد ووطن مرتجى. في الصفحة ١١، يخاطب الحبيبة قائلاً: «سرقوا منّي الوطن.. أصبحت وحدك القومية والحرية والعالم... مباركٌ وطني الجديد». هنا في ضيافة الشعر، لا تجوز الجدلية

شاعرنا أجمل الألمان وأعذبها، وكان دائم الشوق إليها: «لغة المطر في عينها» وصار كما يقول: «لكأنني أدمنت... أن لا أشرب إلا من عينيك».

سهيل مطر يعلمنا في ديوانه كيف يكون الحب على أنواعه؛ هذا الحب النقي إلى درجة الصوفيّة، والتوحد، والفناء. هذا الحب المارد في وجه صبيّة صغيرة، قد نسميها حبيبة، أو نسميها لبنان... أو الملاء الأعلى: «حتّى لكأنك أنت... حتّى لكأنك أنا... حتّى لكأننا... الله». و«صرتُ أتحّد مع جسدك لأكتشف نفسي». إنه يعلمنا الحب الصافي، المنطلق من الأعماق الروحية لا من الجسد: «الدخول إلى جسدك دون حواس، أجمل من الدخول بحاسة مشوّهة».

(كتاب للحب، في زمن الحرب) يعلو معه الشاعر فوق جراح الوطن ومحنه، وفوق المصاعب والحروب. إنه برومنسيته الرقيقة، وأنغام تفعيلاته العذبة، ينقلنا إلى عوالم من الإشراق والعرفان في الحب، فنشدت التصاقاً بالأحرف الراقصة، ونهوى السفر والإبحار في عيني الحبيبة، ونقول لها مع الشاعر: «حبيبتى... بعدها عودي لي، ولا تدعي حاجزاً يسدّ الطريق بين فراشة الحب والوردة البرية».

نعم، سوف ينتصر الحب مع سهيل مطر في كلّ زمان ومكان، ويعمّ السلام، وتنطفئ مع أشعاره نار الحقد والحروب .



○ بقلم د. عصام الحوراني

بين الحب والحرب (راء) قاتلة، حاسدة، حاقدة، حمراء ملطّخة بدم الأبرياء ودموع أهل الحب والجوى. ولقد أرادها شاعرنا سهيل مطر، التحديّ الأعظم في زمن لا يعرف ساسته غير لغة الألم والشرّ والسادية والتشردم والخراب...

في ديوانه الجديد هذا ديمقراطية أهل العشق الإنساني، وسلطة القلوب المسافرة أبداً في بحار من فرح وجمال وذوق وسلام وأمان، لا يعرف قادتتها الإستثنائ ولا الحقد، ولا يعرفون الحروب.

في الديوان وطن صنعه الزمان على لسان شاعر من لبنان، أبدعه من عيني صغيرة، «عينك نور وخلص، فدعيني... أعلن

الإنسباب إلى عمق عينيك». نعم، عيناها وطن المحبة والألفة والحوار والجمال حتى الجنون. عيناها حجم الصاعقة، وبين عينيك وبين وطني... تاريخ ومجد وحوار... علمتني عينك دروساً كثيرة: إنسانية، وطنية، أخلاقية. إلى عينها التجأ الشاعر عندما سرقوا الوطن، «تبقين أنت، وطني... وطني الذي أغترب إليه... يا صغيرة! خبئي لبنان في عينيك...»

ينتعش الوطن. هذه الحبيبة، التي تبقى مع الأيام صغيرة، لا تكبر ولا تشيخ، كما الحب وكلّ المشاعر، وكما قال الشاعر الإنكليزي وليم وردسورث: الطفل يبقى والد الرجل مهما بلغ هذا الرجل من العمر عتياً. «أنت طفلة، بعذرية عينيك، بارتجافة شفّتك... بالبراءة...» كم هي عظيمة هذه العيون الساحرة، مصدر الحياة، والذوق، والجمال، والحب. لقد غنّتها

Growth and Stability: how to increase peoples' wealth?

Dr. Rock-Antoine Mehanna's new book examines the impact of trade openness, regional integration, and stability on economic growth across countries from different regions over a period of 16 years. It investigates the role of trade openness and investment in a new context. Additionally, Dr. Mehanna's book estimates the different levels of integration across various regional blocs and their effect on growth. Most importantly, it attempts to offer a simpler and more parsimonious, yet broader, role of government in growth empirics by encompassing traditional government variables such as the rule of law, political rights, and so forth into one variable: "stability", which reflects economic, political, and financial stabilities. Interesting results, policy and business implications are discussed. This book should interest all policy makers, public policy analysts, corporate executives, international investors, development economists, academicians, researchers, as well as students of international business and trade, economics, business administration, political science, and international relations.

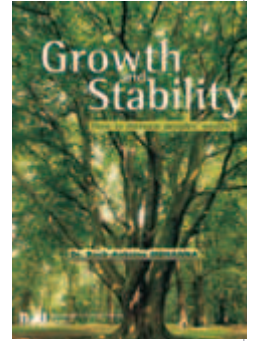
Author: Dr. Rock-Antoine T. Mehanna
Edition: 2007
Language: English
No. of pages: 136

النمو والاستقرار: كيف نزيد ثروات الشعوب؟

يسلط الدكتور روك-أطوان مهنا، في كتابه الجديد هذا، الضوء على آثار كل من الانفتاح التجاري والتكامل الاقتصادي الإقليمي والاستقرار، وعلى النمو الاقتصادي في العديد من البلدان في مختلف أنحاء العالم على امتداد ست عشرة سنة. كما يعالج، في إطار جديد، دور التجارة الحرة المنفتحة على التبادل الخارجي، وعامل الاستثمارات في جميع مصادرها. وهو يطرح سيناريوهات مختلفة للنمو بحسب اختلاف طبيعة التجمعات الإقليمية ومستويات التكامل فيما بينها. ويحاول بالتالي أن يرسم صورة حديثة لدور الحكومات في تحفيز النمو وزيادة ثروات الشعوب؛ الدور الذي عليه، بالإضافة إلى ضرورة تبسيطه وتوسيعه وحفاظه على ضبط إيقاع الإنفاق، أن يجمع مكوناته التقليدية، من حكم القانون إلى حماية الحريات العامة، في مكونة واحدة عنوانها الاستقرار، سياسياً كان أم اقتصادياً ومالياً. وفي الختام، يناقش الدكتور مهنا مجموعة من السياسات العامة والجدوال الإحصائية وتداعياتها الاقتصادية وانعكاسات التوظيفات المالية على الثروات القومية.

هذا الكتاب يتوجه إلى السياسيين والمحللين ورؤساء الشركات والمستثمرين الدوليين وعلماء الاقتصاد والأكاديميين والباحثين، بالإضافة إلى طلاب كليات الأعمال الدولية والتجارة والإقتصاد وإدارة الأعمال والعلاقات الدولية والعلوم السياسية.

المؤلف: د. روك-أطوان مهنا
الطبعة الأولى: ٢٠٠٧
اللغة: الإنكليزية
عدد الصفحات: ١٣٦



Landmarks of a lifetime... Discourse and Positions in Culture, Politics and the Nation; By Dr. Diab Younes

Illuminating statements in defense of Lebanon's values and people, glorifying innovation and beauty. Cultural landmarks bringing together the nations and religions, emphasizing the Lebanese personality. Speeches approaching thorny issues in an open and bold manner. Articles mostly treating martyred Lebanon, urging the resurrection of the country. Open letters and discussions proclaiming personal positions, and national and worldwide concerns. Respect is paid to the champions of Lebanon, who serve as an example to future generations. This book expresses forcefully the author's depth of feeling and grief, touching both mind and heart.

Author: Dr. Diab Younes
Edition: 2007
Language: Arabic
No. of pages: 500

هذا الكتاب

وقفات منبرية دفاعاً عن قيم الوطن والإنسان، وتمجيداً للإبداع والجمال. علامات حضارية تتأخر فيها الأوطان والأديان، وتميز الشخصية اللبنانية. محاضرات تقارب قضايا شائكة بأسلوب يتصف بالصدق والجرأة. مقالات معظمها حشرجات على لبنان الذبيح، وحث على الانبعاث. كتب مفتوحة ومحاورات تحمل مواقف ذاتية وهموماً وطنية وكونية. تحيات ومودات لأولي العبقريّة والمناقبية، ممن صبروا سيرتهم قدوة، وبات غيابهم عبرة. هو كتاب يتمرأى فيه صاحبه أسيّ وعصفاً ونبرةً تخترق العقول والقلوب.

المؤلف: د. دياب يونس
الطبعة الأولى: ٢٠٠٧
اللغة: العربية
عدد الصفحات: ٥٠٠

